



٤

خريطة الشيعة في العالم

دراسة عقدية/تاريخية/ديموجرافية/استراتيجية

تقديم

الأستاذ الدكتور/ ناصر العمر — الدكتور/ محمد العبدة

الأستاذ / أحمد الصويان

أمير سعيد


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

خريطة الشيعة في العالم

دراسة: عقدية ، تاريخية، ديموجرافية ، استراتيجية

بسم الله الرحمن الرحيم



الطبعة الأولى

٢٠٠٩م / ١٤٣٠هـ

اسم الكتاب: خريطة الشيعة في العالم..
دراسة
عقدية-تاريخية- ديموجرافية-استراتيجية
اسم المؤلف: أمير سعيد
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٠٨/٢٥١٥٧

تم التجهيز الفني بمكتب
منذر أنيس
٠١٠/٦٢٨٩٥٢٢

عنوان مركز الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية: مصر – القاهرة – مدينة نصر.
تليفاكس: ٠٢٠٢٢٤٧١١٠٦٤ - محمول: ٠٠٢٠١٦٢٦٥٩٥٩١
بريد إلكتروني: alresalac@gmail.com
للمراسلة: القاهرة - مدينة نصر - مكتب بريد المشروع السويسري.
الرمز البريدي: ١١٨٢٦ – ص.ب: ٢





خريطة الشيعة في العالم..

دراسة: عقدية - تاريخية - ديموجرافية - استراتيجية

أمير سعيد

مركز الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية

مصر، القاهرة - مدينة نصر

تليفاكس: ٠٢٠٢٢٤٧١١٠٦٤ - محمول: ٠٠٢٠١٦٢٢٦٥٩٥٩١

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدمة الدكتور/ محمد العبدة



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فإن مما ابتلي به المسلمون مبكرًا، هذا الحقد الفارسي تجاه الصحابة العرب ومن جاء بعدهم لأنهم شلوا عرش كسرى وأنهوا الامبراطورية الفارسية، وكان من نتائج هذا الحقد مقتل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وجاءت اليهودية (عبر عبد الله بن سبأ) تزيد هذا الضرام، ومن آثاره مقتل الخليفة المظلوم عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وقد نشأ التشيع المغالي، والأفكار الخطيرة عن العصمة والرجعة وتأليه الأئمة من ذرية علي رضي الله عنه، ونشأ بغض الصحابة وتكفيرهم وتكفير أهل السنة..

من أين جاءت هذه النزغات التي هي في النهاية هدم للإسلام ذاته، وكيف نفسر هذا الحقد على العرب، وعلي وذريته عرب قرشيون؟! ولماذا هذا الكره للصحابة؟ أليس لأنهم هم الذين بفضل الله فتحوا البلاد ونشروا الإسلام وأزالوا الدول الفاسدة من حولهم؛ فالتشيع السياسي وبمعناه اللغوي أي الذين كانوا مع علي في حادثة صفين أو حتى الذين يفضلونه على عثمان، لا يمكن أن يكونوا ممن يكره الصحابة أو يريدون هدم الإسلام.

إنما المشروع الإيراني الصفوي اليوم هو امتداد لتلك الأفكار الهدامة المتلفعة ظاهريًا (بحب آل البيت)، وهو مشروع خطير لا بد من كشفه والحديث عنه حتى لا ينخدع المستغفلون من أهل السنة، وهو خطير لأنه يملك المال ويملك الخطاب المزدوج الذي يتحالف مع الغرب سرًا وعلانية، كما اعترف أربابه أنفسهم بمساعدة أمريكا على احتلال أفغانستان والعراق.

إنه يلعن أمريكا «الشيطان الأكبر» في العلن ويتحالف معها في السر، ولكن أكثر الناس لا يفقهون.

لقد أتقن هذا المشروع الصفوي هذا الخطاب حتى حسبه الناس حقًا من كثرة ترداده.. والذين يسمعون «نجادًا» وتهديداته «الدون كيشوتية» لـ«إسرائيل»، ربما يصدقون، ولا يرون اليد الخفية التي تبرم الصفقات من السلاح وغيره مع «إسرائيل».(١) وقد يعذر العوام في تصديق هذا الخطاب الديماغوجي ولكن ما بال غيرهم من كتاب الصحف و المقالات وأصحاب الأقلام والتحليل السياسي!!

لقد أحسن المؤلف حين تكلم بعد الحديث عن عقائد الشيعة وأمورهم الغريبة عن النظام السياسي الإيراني، حيث المؤسسات التي تحكم السيطرة وعلى رأسها «ولاية الفقيه» بينما في الظاهر نظام «ديمقراطي» يعتمد على اختيار الشعب لمؤسساته.

---

(١) ينصح بالاطلاع على كتاب تحالف الغدر العلاقات السرية بين إيران و أمريكا و«إسرائيل» حيث يذكر كثيرًا من أوجه التلاقي بين إيران و«إسرائيل» وهي معروفه، ومنها احتقار العرب.

وأحسن أيضًا حين تتبع النشاط الشيعي في كثير من أنحاء العالم الإسلامي، فالشكر له، ولمن سبقه في تتبع التبشير الشيعي في سورية وغيرها وللمواقع التي وضعت كل إمكاناتها لرصد وبيان خطورة المشروع الإيراني الذي يستهدف المنطقة العربية السنية بشكل خاص والعالم الإسلامي بشكل عام .. إنه الخطر القادم من الشرق ...

د. محمد العبدة

المفكر الإسلامي


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

تقدمة الأستاذ/ أحمد الصويان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين... وبعد:

فمن المعضلات الفكرية، والسياسية التي تواجه الباحث عندما يتحدث عن خطورة المشروع الإيراني في المنطقة أنه يصطدم بجملة من التهم، من أبرزها:

أولاً: العمالة للمشروع الصهيو- أمريكي.

ثانيًا: العمالة لبعض الحكومات الخليجية.

ثالثًا: الوقوف ضد المقاومة.

رابعًا: الوهابية.

خامسا: مناهضة التقريب.

تهمة واحدة من هذه التهم ربما حاصرت الباحث، وجعلته يتحفظ أو يتردد كثيرًا قبل التصريح بآرائه. وإذا كانت بعض هذه التهم قد هوجم بها الدكتور يوسف القرضاوي حتى من بعض أصحابه وتلاميذه، فكيف بغيره من المفكرين أو الدعاة..؟!

إن القراءة الجزئية أو الانتقائية للمشروع الإيراني هي أحد أسباب اللبس الذي طغى على المشهد الفكري في الآونة الأخيرة؛ فعندما نناقش ذلك المشروع بعقلية الانبهار بمواجهات «حزب الله» مع العدو الصهيوني فحسب،

ونعزل ذلك عن سياق المنظومة السياسية والفكرية للمشروع برمته؛ فإننا سنصاب بحالة من القصور والعجز.

ومن أجل أن تكون القراءة شاملة وموضوعية من المفيد التذكير ببعض الأبعاد الغائبة، حتى تكتمل الصورة من جميع جوانبها، ومن أهم هذه الأبعاد باختصار شديد:

أولاً: البعد العقدي:

لن نستدعي الجانب التاريخي أو نجترَّ الخلافات القديمة ـ كما يزعم بعضهم ـ بل تكفي قراءة عقائد آياتهم المعاصرين، وعلى رأسهم إمامهم الخميني، فكتبه مطبوعة ومترجمة إلى اللغة العربية، بل تكفي قراءة مناهج التعليم الأولية في المدارس الحكومية الإيرانية، ومتابعة بعض قنواتهم الفضائية التي كسرت حاجز التقية، وكشفت ما كان يُزْعم من أستار، وراحت تجتر عقائد غلو الإمامية...!

إن كثيرًا من الخلاف مع الشيعة ليس في الفروع كما يدعي ذلك بعضهم إنما هو في الأصول، فهل يمكن أن نتجاوز عقيدة الشيعة في تحريف كتاب رب الأرباب، أو في عقيدة البداء، أو عصمة الأئمة؟

هل يمكن التساهل مع من يتطاولون على الشيخين أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ويجرحون الأصحاب الأطهار من المهاجرين والأنصار، ويقعون في أمهات المؤمنين ويتهمون عائشة الصديقة بالفاحشة ـ رضي الله عنها وعن أمهات المؤمنين والصحابة أجمعين ـ ويلفقون الأكاذيب والأباطيل للنيل من القانت الأوَّاه عثمان رضي الله عنه؟!

ثانيًا: موقف الحكومة الإيرانية من أهل السنة داخل إيران:

فمنذ قيام الثورة الإيرانية وأهل السنة يعانون أشد المعاناة من الإقصاء السياسي والتصفية ومصادرة الحقوق العقدية، والاجتماعية، والمدنية، على الرغم من أنهم يمثلون أكثر من ربع السكان أي حوالي ٢٠ مليون نسمة، وحسبك أن تستحضر عدد المساجد التي هدمت والمدارس السنية التي أغلقت، وعدد الاغتيالات التي طالت علماء السنَّة وخطباء الجوامع وأئمة المساجد لتقف على حجم المأساة!

ثالثًا: موقف الحكومة الإيرانية والمنظمات الشيعية الإيرانية من أهل السنة في العراق:

ومن يستطيع أن يتجاوز الحملة الشيعية المحمومة على أهل السنة في العراق، ويتناسى مجازر الاستئصال وما وقع فيها من التصفية العرقية بشتى صنوفها وألوانها؟!

هل يمكن لمنصف أن يتجاوز دماء أكثر من مائة ألف سني عراقي أريقت بكل وحشية تحت مجازر فيلق بدر وميليشيا جيش المهدي.. ونحوهما من المنظمات والأحزاب والمليشيات الشيعية..؟!

هل يمكن لمنصف أن يرى حملات تهجير مئات الآلاف من الأسر السنية من بعض المدن العراقية ثم يحسن الظن بالمنظمات الشيعية؟!

رابعًا: التواطؤ الإيراني مع المشروع الأمريكي في المنطقة:

أو سمها ـ إن شئت ـ العمالة المكشوفة؛ فقد صرح عدد من القادة الإيرانيين وفي أكثر من مناسبة عن الدور المركزي لإيران في احتلال العراق وأفغانستان، كما أشار إلى ذلك (بول بريمر) الحاكم الأمريكي في العراق في مذكراته.

وهل يخفى على أي متابع بصير فتاوى السيستاني وغيره من آياتهم في تجريم المقاومة، والمطالبة المكشوفة بالتعاون المطلق مع قوات الاحتلال..؟! وإن اشترك معهم بعض الأدعياء من المتسبين لأهل السنة في هذه الجريمة النكراء.

لقد نشر في التعاون السري بين الشيعة وأمريكا و«إسرائيل» عدد من الكتب والدراسات، من أقدمها كتاب: (رهينة خميني) الذي ألفه الباحث الفرنسي (روبرت كارمن درايفوس)، ومن آخرها كتاب: (التحالف الغادر: التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة الأمريكية)، تأليف: (تريتا بارسي) أستاذ العلاقات الدولية في جامعة جون هوبكنز.

ثم هل يصح شرعًا أو عقلاً أن تُقرأ معارك «حزب الله» ضد اليهود الصهانية بمعزل عن التحالف والتوافق بين المشروعين الأمريكي والإيراني في العراق خصوصًا...؟!

إن التحالف الاستراتيجي الإيراني الأمريكي أضحى حقيقة لا شك فيها، ولا يعكر على ذلك ـ بالتأكيد ـ الخلاف حول السلاح النووي الإيراني، فتجاذب المصالح غير مستغرب في عالم السياسة، وفي ظل التسابق المحموم لتحقيق أعلى قدر من المكاسب.

خامسًا: وهم التقريب:

دعوة التقريب بين السنة والشيعة دعوة قديمة جديدة، يوصف أتباعها ـ عند بعضهم ـ بالتسامح والانفتاح ونبذ العصبية.. ويوصف المتحفظون عليها بالتشدد والتعصب والطائفية.

لكن، وبعيدًا عن الشعارات العاطفية: ماذا عن تجارب التقارب بين السنة والسنة خلال التاريخ المعاصر؟!

مرت دعاوى التقريب بعدة تجارب، من أبرزها: تجربة العلَّامة محمد رشيد رضا حيث سعى في ميدان التقريب أكثر من ثلث قرن كما يقول، ثم سجل خلاصة تجربته قائلاً: «وقد ظهر لي باختباري الطويل وبما اطَّلعت عليه من اختبار العقلاء وأهل الرأي أن أكثر علماء الشيعة يأبون هذا الاتفاق أشد الإباء؛ إذ يعتقدون أنه ينافي منافعهم الشخصية من مال وجاه».

ومن التجارب أيضًا تجربة د. مصطفى السباعي الذي التقى بعض مراجع الشيعة وزار وجوههم من سياسيين وتجار وأدباء، ثم يذكر أن غاية ما قدَّم شيوخ الشيعة تجاه فكرة التقارب هي جملة من المجاملة في الندوات والمجالس مع استمرار كثير منهم في سبِّ الصحابة وإساءة الظن بهم واعتقاد كل ما يُروَى في كتب أسلافهم من الروايات والأخبار، ويذكر أنهم وهم ينادون بالتقريب لا يوجد لروح التقريب أثر لدى علماء الشيعة في العراق وإيران؛ فلا يزال القوم مصرِّين على ما في كتبهم من ذلك الطعن الجارح والتصوير المكذوب لما كان بين الصحابة من خلاف، وكأن المقصود من دعوة التقريب هو تقريب أهل السنة إلى مذهب الشيعة.

وهكذا تجربة الشيخ عبد اللطيف بن محمد السبكي والشيخ محمد عرفة والشيخ طه الساكت وغيرهم مع دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، وأخيرًا تجربة الدكتور يوسف القرضاوي التي لم تنته بعد الضجة التي أثيرت حول آرائه.

لقد أدرك الجميع أن الهدف المنشود من التقريب ما هو إلا وَهْم من الأوهام وخيال من الخيالات؛ إذ الخلاف في الأصول وليس في الفروع، ولن يحدث تقريب حقيقي في هذه الحالة إلا بتخلِّي أحد الطرفين عن بعض أصول مذهبه، وهنا يكمن أصل المشكلة.

إن دعوات التقريب وما يسمى بالتسامح أو الوحدة الإسلامية مهدت الطريق لاختراق شيعي خطير لصفوف السنة في دول عربية عديدة، مثل: سورية ومصر والسودان وتونس، وفي دول أخرى غير عربية، مثل: إندونيسيا وأوزبكستان ونيجيريا والسنغال..!

وخلاصة الكلام: إن تحليل صراع «حزب الله» مع العدو الصهيوني مع استحضار هذه الأبعاد مجتمعة يعطي تقويمًا شاملاً للمشروع الإيراني ويكشف كثيرًا من الاعتبارات الغائبة، كما فصَّل في بعض ذلك مؤلفُ الكتاب الذي بين أيدينا.

لكن يأتي السؤال الملحُّ: أين هو مشروعُنا السني المستقبلي؟!

وأحسب أن هذا هو التحدي الكبير الذي يجب على العلماء وقادة الرأي والفكر أن يتدارسوه بعناية، ويرسموا رؤية عملية جادة لاستنقاذ الأمة من وحشية المشروع الأمريكي، وتغوُّل المشروع الإيراني.

مشكلة كثير من مواقف الإسلاميين أنها تبنى على رؤية عاطفية، وردود أفعال مرتجلة؛ ولهذا فإنه من نافلة القول التأكيد على أهمية الدراسات

العلمية الناضجة التي تسهم في بناء الوعي وتستشرف مستقبل الأمة والتحديات التي قد تواجهها برؤية ناضجة.

ومن هذه الدراسات العلمية الجادة الكتاب الذي بين أيدينا: (خريطة الشيعة في العالم: دراسة عقدية ـ تاريخية ـ ديموجرافية ـ استراتيجية) للأستاذ أمير سعيد، وأحسب أنه أجاد كثيرًا في جمع شتات الموضوع، وعالج كثيرًا من أبعاده بمنهجية علمية جيدة، وقدم رؤية متوازنة يشكر عليها كثيرًا.

أسأل الله ـ عز وجل ـ أن يرينا الحق حقًا ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه.

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

أحمد بن عبد الرحمن الصويان

رئيس تحرير مجلة البيان



تقدمة الدكتور/ ناصر بن سليمان العمر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد الأمين، وعلى آله وأصحابه الكرام الميامين، وتبت أيدي شانئيهم أجمعين، وبعد:

فقد اطلعت على المشروع الذي يعده الأخ أمير سعيد، حول الشيعة في العالم (سياسيًا وعقديًا وتاريخيًا)، وقرأت مقدمة المشروع واطلعت على بعض فصوله، فسرني هذا الجهد المشكور وبخاصة أنه يعتمد على (المعلومة والحقائق والأرقام) في وقت نحتاج فيه إلى مثل هذه الدراسات الرصينة، نظرًا للظروف العصيبة التي تمر بها الأمة وبخاصة استغلال إيران لهذه الظروف والأزمات لتحقيق مكاسب عقيدية وسياسية عن طريق تحالفات مشبوهة مع أعداء الإسلام الأزليين اليهود والنصارى.

وآمل أن يتبع هذه المشروعات برامج عملية واقعية يشارك فيها كل المنتسبين لأهل السنة من الحكومات والشعوب للوقوف أمام هذا المدّ الفارسي المريب، وألا تكون حالنا كحال ذلك الذي سرق (اللصوص) إبله في غفلة منه فقام على جبل يسبهم ويشتمهم، ورجع إلى أهله قائلاً (أوسعتهم سبًا وأودوا بالإبل)، فشكر الله للأخ أمير صنيعه وجعله مباركًا أينما كان..

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وكتب

أ.د. ناصر بن سليمان العمر

المشرف العام على موقع المسلم

تمهيد

ربما لا يكون بالوسع التعرف إلى نظرية تَساوي ردود الأفعال مع الأفعال ذاتها عبر دراسة الحالة الشيعية في العالم الإسلامي وخارجه، وما استتبعته من إجراءات مقابلة بغية الحد من انسيابها وخروجها عن حدودها التاريخية المألوفة؛ فما يراه الباحث في رد فعل المسلمين السنة على المشروع الإيراني المؤسس على الفكر والعقيدة الشيعية، وتنامي أظفاره، هو دون ما يحرز للسنة كينونتهم وقدرتهم على البناء فوق ما تبقى لهم من مفردات القوة.

وستظل ردود الأفعال دون المأمول ما فتئت تدور في فلك الأوراق والأبحاث، إذ لن تتجاسر كثرة الكتب والدراسات عن الشيعة والتشيع وإيران وتناسلها من رحم المطابع أن تكون تعبيرًا حقيقيًا عن مشروع سني يقف ممانعًا تمددًا إيرانيًا خالف حقوق الجيرة، وتجاوز حدود المسكوت عنه، وإنما تبقى هذه الظاهرة البحثية معبرة عن الانزعاج من هذا التغول الذي أفاد من الظروف الإقليمية والدولية على نحو بارع ـ وكانت الأزمة السنية هي إحدى تلك الظروف ـ ولا تكاد تجاوز حدود التنبيه والإرشاد، وحسبها أن تكون كذلك، وإلا لكانت كما قال الشاعر:

سبعون عامًا قضيناها فلاسفة ... سيوفنا خطبٌ، في نفعها نظرُ

والحق أنها ليست كذلك، لقد أسهم كثيرٌ منها في بناء وعي بجوانب الأزمة وملامح المرحلة، ومنها ما أدى أكثر مما نصبو إليه ونرتجي، من دون أن

يتمكن من معالجة أحداث جرت في السنوات الأخيرة على نحو أسرع من أن يلاحقه القلم أحيانًا.

بيد أنه من اللائق أن تكون الدراسات تقدمة لفعل يرقى إلى حد التكافؤ إن لم يزد عليه في سبيل تخليص الأمة الإسلامية من الارتهان إلى مشاريع طائفية أقل ما يقال فيها أنها خاصة وانفرادية ولا تعبر عن طموحات المسلمين ـ كل المسلمين ـ.

وقد يكون من الواجب التساؤل عما يمكن أن يضيفه كتاب عن الشيعة وعن دولتهم ذات الاعتبار الإقليمي في الحوض الإسلامي، وجوار المنطقة العربية، في ظل هذا الكم الهائل من الكتب والدراسات والبحوث التي صدرت عن هذه المسألة. إن أية إضافة في اتجاه مسبوق هي محل نظر وتمحيص، ولذا؛ فمن غير المقبول أن نضم عددًا من الكراسات إلى أطنان من الدراسات والخطابات والمقالات قيلت في هذا الصدد، من دون أن تعبر هذه الدراسة عن مقاربة لرسم خريطة شيعية جديدة للحوض الإسلامي وخارجه، ومسعى لفهم الاستراتيجية الإيرانية الآنية في ضوء قناديل السياسة والعقيدة والتاريخ والجغرافيا، جوارا بجوار.

لقد كان ضروريًا أن تترافق هذه المساهمة مع حالة إقليمية صاعدة للشيعة عقيدة وسياسة، ودولية توسع لها طريقًا للامتداد، يمكن استبيان ملامحها من خلال الوضع العراقي واللبناني والبحريني والملف النووي، والذي صبت جميع روافده في جدول التشيع وقوته السياسية والعسكرية الصاعدة.

التوقيت إذن ضروري لاستجلاء قسمات المرحلة، والجغرافيا السياسية التي يعاد تشكيلها من جديد وفقًا لصيغ واستراتيجيات ومشروعات متشابكة ومعقدة أضحت تزحف في كل الاتجاهات العكسية إلى الداخل السني من دون أن يتبلور مشروع إسلامي سني مضاد.

من هنا جاءت هذه الدراسة لتتناول التأثير العقدي للشيعة في السياسة الإيرانية وسياسة التجمعات والأحزاب والقوى الدائرة في فلكها، وأهمية البعد العقدي بشكل عام وتأثيره في عالم السياسة عمومًا، ومسألة الاتزان في التعاطي مع المشروعين الغربي - «الإسرائيلي» والشيعي الإيراني، ووضع كل بحجمه الحقيقي من دون تعسف أو سوء تقدير.

وكذلك، لتطل على الماضي حيث دول الشيعة وتجمعاتهم البارزة بقدر من الاختصار الذي تدعوه الحاجة، لمجرد الاستهداء في قراءة اللحظة من دون الاسترسال في التاريخ الجاذب نحو مسالكه وأوديته الجاذبة للدارسة، وتحديد الخيط الواصل بين الفكر الشيعي والسياسة الإيرانية، وتوابعها.. كيف يمكن قراءة الفكر الشيعي بعدسة استراتيجية عصرية.

وتحاول الدراسة أن تقدم اختزالاً للمشهد السياسي في إيران، وتحدد أركان النظام السياسي الإيراني وقواعده، وتسعى لفك الاشتباك أو بالأحرى تفسير الامتزاج الفارسي القومي والشيعي الديني، الذي يرسم معالم السياسة الإيرانية ويرفدها بفكر يساند هذا العنصر بذاك وصولاً إلى هذا النمط المتناغم من التثوير القومي والحماسة الطائفية.

وتسعى الدراسة إلى دفع الالتباس الناتج عن قراءة الدعوة إلى التشيع كدعوة دينية عامة أو مشروع سياسي بحت، أو كليهما معا.

ثم تتبع الاستراتيجية الإيرانية وما طرأ عليها من تغيير وتطوير خلال الأعوام التي تلت الثورة الإيرانية قبل أكثر من نصف قرن.

وعرض خريطة للتوسع الشيعي في العالم عمومًا والحوض الإسلامي خصوصًا، وكيف نراها، مع الاعتراف بأن هذه الخريطة لن تجاوز حدها المعرفي لترقى إلى الجانب الإحصائي الدقيق الذي قد تتوافر عليه أجهزة بحثية تملك من الآليات والأدوات والإمكانات ما يكون بوسعها معه التحقيق والتدقيق بشكل يجاوز حدود هذه المقاربة البحثية.

وفي الأخير، نخلص إلى تحديد حجم ما هو لائح في الأفق، الخاضع دومًا إلى التهويل أو التهوين، سعيًا إلى قراءة اللحظة في ضوء الماضي وأفق المستقبل..

أمير سعيد

٢٠٠٩/١/١

amirsaid@gawab.com

مقدمة حول التأثير العقدي على السياسة الدولية عمومًا والإيرانية خصوصًا

في الدوائر السياسية والإعلامية كثيرًا ما يتم تجاهل البعد الطائفي والعقدي في الحوادث السياسية والاستراتيجيات الدولية عند التناول التحليلي، ولقد ظلت هذه قاعدة شبه مستقرة إلى أن ساهمت جملة من الأحداث، ووفرة متنوعة في وسائل الإعلام في منح التفسير العقدي والطائفي قدرًا من حظه المقبول في تفسير القضايا السياسية وتحليلها.

وقد أفضت أحداث ١١ سبتمبر إلى إثارة الحديث بقوة حول التأثير الديني في السياسة الأمريكية، ثم حرب العراق الأخيرة في تحويل أنظار جميع المنصفين من الكتاب والمحللين في العالمين الإسلامي والغربي في تفسير بعض الأحداث وفقًا لمنظور ديني.

وأكثر ما يلفت الانتباه الآن أنه لم تعد مسألة تضمين التفسير العقدي أو الديني أو الطائفي ضمن تحليل شامل للأحداث مثار استهجان من كثير من أصحاب النظرات الواقعية، وإنما المبالغة في تلك المفردة من عناصر التحليل السياسي هي محل النظر أو الرفض، ولعل مما لوحظ خلال السنوات التي تلت غزو العراق أن الذين سعوا لغض النظر عن الطائفية الموجودة في العراق ـ على سبيل المثال ـ اصطدموا بأول السدود المانعة، وهي رغبة المحتلين أنفسهم في هذا التجريد وتلك المحاصصة والتفريق على أساس طائفي وديني.

والذين قرأوا الاستراتيجية الأمريكية الجديدة من منظور «محور الشر» بأركانه العراقية والإيرانية والكورية الشمالية، أفاقوا على أن هذا المحور بعد ثماني سنوات لم يهتز فيه إلا ركنه العراقي، وهو أمر يلمح إلى شيء ربما ظل غائبًا عمن ألزموا أنفسهم بالظاهر من السياسة الأمريكية.

لقد هال العلمانين المؤمنين بتنحية الدين عن السياسة إطلاق الرئيس الأمريكي ما أسماه بـ«حملة صليبية» في أعقاب أحداث ١١ سبتمبر على «الدول المارقة»، التي كانت في الحقيقة هي أفغانستان ثم العراق ثم الصومال لاحقًا، وعديد من الدول مستها اليد الأمريكية الدبلوماسية فتراجع العمل الخيري الإسلامي والدور السياسي لدول كثيرة مسلمة لعل أبرزها باكستان التي انهمكت في أزمتها الداخلية.. إلخ.

«يقول المقربون من الرئيس الأمريكي جورج بوش إن هجمات ١١ سبتمبر لم تعطه معنى لرئاسته فقط بل منحته مهمة ورسالة في الحياة فبوش يعتبر قيادته لأمريكا بعد ١١ سبتمبر أمرًا إلهيًا واختيارا ربانيًا»[١].

إن جملة من الأهداف يمكن أن تكون سيقت لغزو العراق، لكن لا يمكن إهمال حيثيات إيديولوجية عميقة الجذور، تقفز فوق كل أطماع اقتصادية نفطية، ورؤى استراتيجية تتناول الوضع الجيوستراتيجي للعراق، ومصالح الولايات المتحدة الأمريكية.

---

(١) واشنطن بوست: ٩/ ٣/ ٢٠٠٣م.

وما يستبد بالنظرة الأمريكية الدينية للمنطقة العربية يحول دون قراءتها في كثير من الأحيان لاسم العراق المعروف، وإنما تنفض الغبار عن اسم العراق القديم «بابل» التي هي في العقل الجمعي البروتستانتي هي «مدينة الشيطان»، ولسوف لن تلمح في العراق إلا اسمًا قديمًا يرسم على باب «عشتار» ببابل، وهو «إله الشر» الذي لم يكن في الحقيقة إلا الاسم القديم لـ«محور الشر».

وكما كان «إله الشر» في التراث الديني القديم للعراق هو «إله واحد»؛ فإن محور الشر هو في النهاية بلد واحد يحمل كل الرزايا لـ«مملكة الرب».

قبل الغزو قال بوش الثاني: «إن على أمريكا أن ترى أنها تواجه الشر المتجسد في صورة صدام حسين .... إن كان للمرء أن يرتاح ضميره؛ فأنا مرتاح الضمير بهذا الشأن»[1]، وحيث مبعث راحة الضمير لدى الرئيس المتدين وأفراد إدارته كان الواجب الديني الذي حمل على عاتقه حماية «إسرائيل» من خطر قد يراه الاستراتيجيون محتملاً بينما يراه اليمينيون في إدارة الرئيس الأمريكي خطرًا قادمًا لا محالة لأنه نبوءة تنص عليها التوراة التي يقدسها القادة الأمريكيون ـ جميعهم جمهوريون وديمقراطيون ومن ورائهم أكثر من ١٥٠ مليون بروتستانتي أمريكي يدعمونهم بكل قوة، تتلاقى مصالحهم مع مصالح الصهيونية اليهودية في ضرورة إقامة «مملكة الرب»ـ أكثر مما يقدسون الإنجيل.

---

(١) نيوزويك: ١١/ ٢/ ٢٠٠٣م.

الفكرة الدينية المسيطرة يمكن إجمالها في تصور يجسد ترجمة آنية لنبوءات التوراة: يقوم التصور على أن بابل هي «مملكة الشر»، و«أم البغايا» وقد أذاقت اليهود مرارة السبي ثلاث مرات ـ بعد الهزيمة ـ أشدها في العام ٥٩٧ قبل الميلاد عندما أسر نبوخذ نصر أكثر من ثلاثة آلاف يهودي، وقد «قدم كل من مؤرخي الكتاب المقدس، والمؤرخين العلمانيين الوقود اللازم للجدل الدائر بين الإيفانجيليكيين الأمريكيين وغيرهم، مثل الرئيس جورج بوش، بشأن عراق صدام حسين كبقعة لصناعة الشر. وهناك مساندة واسعة من العهد القديم لرؤية بابل، على وجه الخصوص، كمركز للشرور والفساد والظلام؛ فتبعًا لأحد التعليقات عن تاريخ بابل والتي تم تداولها مع تجمع سحب حرب عام ٢٠٠٣ في الأفق (كل الأنظمة الكاذبة للدين بدأت من أرض بابل في الأيام الأخيرة)»[١].

وقد ارتسمت ـ كما تقدم ـ ملامح الشر في وجه الرئيس العراقي صدام حسين فما كان مقتله ومقتل أبنائه دون مبرر لقتلهم حين تم حصارهم إلا تماهيًا مع تلك النبوءة التي تخاطب ملك بابل الجديدة (صدام حسين وفقًا لتصور بعض المتعصبين اليمينيين): «أما أنت فقد طرحت بعيدًا عن قبرك، كغصنٍ مكسور (بعد أن تقبل بالرحيل الذي تفرضه عليك أمريكا)؛ لأنك خربت أرضك، وذبحت شعبك (في مذبحة حلبجة، وقمع انتفاضة الشيعة، أو بواسطتنا) فذرية فاعل الإثم يبيد ذكرها إلى الأبد. أعدوا مذبحة لأبنائه جزاء إثم آبائهم»[٢].

---

(١) جون كولي – التحالف ضد بابل: ٣٣.

(٢) رؤيا أشعياء: ١٤: ٤ – ٢٣.

وتضيف النبوءة «وجمعت الأرواح الشيطانية في هرمجدون ثم سكب الملاك السابع كأسه على الهواء، فحدثت بروق وأصوات رعود وزلزال عنيف، فانقسمت المدينة العظمى (بابل) إلى ثلاثة أقسام»[1]، وكما تقدم؛ فقد كانت «بابل» مرشحة لأن تمثل تهديدًا على «مملكة الرب» من جديد، وفي العقيدة اليهودية؛ فإنه رغم الإيمان بتحقق النبوءات؛ فمن الممكن أن يتم «تصحيح أخطاء الرب»!! قبل أن تحدث، فكانت «الحرب الاستباقية» التي افترض لها أن تسيطر على أسلحة الدمار الشامل فما وجدتها، وتقيم ديمقراطية فما فعلتها!!

إن «إسرائيل» قد كانت تحذر من بطش «بابل الجديدة»؛ فدمرتها عبر الولايات المتحدة الأمريكية، التي انطلق قائدها في «حملة صليبية» زل بها لسانه - أو لا - حيث لم يفِ قصف «إسرائيل» لمفاعل العراق النووي عام ١٩٨١م خلال عملية «بابل»! لها بما تريد من تحجيم القوة العراقية المتنامية. وقطعًا؛ فإن كهنة السياسة الجديدة يسحبون «وثنية بابل القديمة» على المسلمين[2].

و«الإيمان» الذي يحمله القادة الأمريكيون بوسعه أن يفسر جملة من الأحداث التي تعجز السياسة عن إيجاد تفسير منطقي لها في بعض الأحيان، فتهرع إلى تفسيرات قد تكون أحيانًا ساذجة، كالحديث عن غباء رئيس أو

---

(١) رؤيا يوحنا: ١٦: ١٢ - ١٤. وليس من الغريب أن تصدر توصية من الكونجرس الأمريكي في خريف ٢٠٠٧م بتقسيم العراق إلى ثلاثة أقسام!!

(٢) تحديدًا على المسلمين السنة، وذلك سيتبين لاحقًا في الصفحات القادمة.

انفراده بالأمر في دولة تقوم على المؤسسات وتوزيع السلطات، وإن شهادة بهذا الوزن تحتاج إلى إعادة النظر في التفسير المادي للأحداث السياسية ومباعثها الحقيقية، ينقل الكاتب الصحفي بوب وودوارد في كتابه «بوش في الحرب» حديثًا للرئيس الأمريكي أثناء مقابلة له معه أثناء إعداد كتابه، يدور حول قصة لقائه الأول مع الرئيس الروسي «فلاديمير بوتين» يوم ١٩/٠٦/٢٠٠١، حيث يقول بوش: «دخل الرئيس بوتين وجلس... وحضر المترجمان.. وأراد بوتين أن يبدأ الكلام، لكني بادرته بالقول: السيد الرئيس.. دعني أبدأ بالإشارة إلى أمر لفت انتباهي، وهو أن والدتك أعطتك صليبا، وأنكم باركتم ذلك الصليب في إسرائيل الأرض المقدسة. فقال: صحيح؛ فقلت: إن هذا الأمر يثير عجبي، لأنك كنت شيوعيا وضابطا في (الكي جي بي) ومع ذلك كنتَ راغبا في حمل الصليب، إن هذا الأمر بالنسبة لي يحمل من المعنى أكثر مما تحمله مجلدات ... وبدأ بوتين يتحدث عن ديون روسيا.. لكني كنت مهتما أكثر بمعرفة هذا الرجل (بوتين) الذي علي أن أتعامل معه، ولهذا أردت التأكد من صحة قصة الصليب»[(١)].

أوروبا جميعها من جهة ثانية تساوقت مع موقف بنديكيت السادس بابا الفاتيكان الرافض لقبول دخول تركيا في الاتحاد الأوربي باعتبارها دولة مسلمة ستخل بالتركيبة السكانية المسيحية لأوربا، وإصراره على أن يشير الدستور الأوربي الموحد إلي الجذور المسيحية لأوروبا، وكان الرفض

---

(١) بوب وودوارد - بوش في الحرب: ١١٩.

الأوروبي صريحًا بعدم دخول تركيا المسلمة في النادي الأوروبي المسيحي، بينما كان الرفض الفرنسي أكثر صراحة، حيث «وفقًا لتعريف ساركوزي، الذي روّجه تسفي برئيل في صحيفة هآرتس الإسرائيلية تحت عنوان (مصفاة للإسلام)، ستكون في هذا التكتل الشرق أوسطي - الأوروبي ١٥ دولة: سبع منها إسلامية (تركيا، لبنان، مصر، ليبيا، تونس، الجزائر والمغرب) وثمان – ومن بينها إسرائيل – غير عربية.

هذا التكتل سيضمن ما يسمى التعريف الأوروبي (للإسلام الصحيح). ويعتبر الإسرائيليون أن هذا المشروع سيشكل مصفاة شرق أوسطية لتمر الدول الإسلامية المعتدلة من خلالها – أي وفقًا للتعريف الأوروبي أو الفرنسي للسلامة الإسلامية – وهو نوع من محاولة رسم جيب جديد في خريطة الحضارة التي أعلن عنها صموئيل هنتنجتون في كتابه «صراع الحضارات» حضارة شرقية أخرى من إنتاج الغرب»[1].

على أن التأثير الديني للسياستين الأمريكية والأوروبية ليس رهينًا ببوش وساركوزي، وغيرهما من الساسة الحاليين، ولعلنا إذ نسبر غور التاريخ السياسي الحديث لا نتعرف إلى كثير من الإجراءات التي كان مردها الدين وتأثيره النافذ في السياسة الدولية، وسوف نكتفي بمجرد إشارات وتساؤلات حول أمثلة ـ فقط ـ مما يبدو فيه الدين فاعلاً في السياسة الدولية:

---

(١) عماد فوزي شعيبي – تكتل أوروبي من دون أوروبيين .. مصفاة للإسلام السياسي ـ صحيفة الحياة اللندنية: ٦/ ١٠/ ٢٠٠٧ م.

- من بين دول العالم الإسلامي لا تكاد توجد دولة يتمتع فيها شعب مسلم بخيار حر، وتظل الانتخابات بأفضل حالاتها في الدول الإسلامية محكومة بضوابط أخرى بخلاف الاختيار الديمقراطي، وعلينا أن نثبت هنا أن تركيا وباكستان كبلدين سنيين كبيرين لا يتمتعان ـ برغم شفافية الانتخابات في الأولى، وانضباطها النوعي في الثانية ـ بالحرية الكاملة التي لم يزل الجيش في كليهما الحكم الأول، وضابط التأثير الخارجي. وتلك المشاهدة التي لا تخطئها عين مراقب، لا تجد تفسيرًا واقعيًا في الحقيقة سوى تسلط خارجي يمارس ضغطًا سافرًا في كل المجالات إلا الخيار الشعبي والبيئة السياسية الصحية.
- لا يسمح للدول الإسلامية بقيادة أي قوات لـ«حفظ السلام» في أي من مناطق الصراعات في الدول ذات الأهمية الاستراتيجية للدول العظمى.
- تحرص الدول الصناعية الكبرى في العالم على الحؤول دون تحقيق أية وحدة إسلامية اقتصادية، ولقد جاء مسعى رئيس الوزراء التركي الأسبق نجم الدين أربكان إبان ترؤسه لحكومة بلاده في إنشاء تجمع الدول الثماني الإسلامية الكبرى (اقتصاديًا)، ليمثل المسمار الأخير في نعش حكومته.
- تسعى الدول الغربية إلى تنمية النزعات الانفصالية في العالم الإسلامي بين الطوائف المختلفة في مسعاها لتقويض أسس الدول الإسلامية وزرع الفتن داخلها، وتحاول إقامة جسور لعلاقات مع ناشطين انفصاليين، في مختلف الدول العربية والإسلامية، ومنها ـ على سبيل المثال ـ أمازيغ، والأكراد، والأقباط، والنصيرية، والدروز، والبهائية، والقاديانية، والإسماعيلية، والإمامية، وغيرهم.

• أيضًا، تبرز قضية تسويد نخب غير إسلامية ابتداء ثم غير سنية لاحقًا في المناطق الإسلامية، ودفعها نحو صدارة المشاهد السياسية والاقتصادية والثقافية، وعلينا أن نذكر مثلاً أن بلدان العالم لم تجد حتى الآن من يصلح لتولي منصب الأمين العام للأمم المتحدة من نحو ربع سكان العالم (الدول الإسلامية)، وحين أرادت أن تفعل لم تجد إلا بطرس غالي لتولي هذا المنصب.

أما إيران؛ فلعل التأثير الطائفي في سياستها بالغ الوضوح، وهي ذاتها لم تعد تخفي معالم ذلك في سياستها، وسيكون محل عناية في فصل آخر، غير أن السؤال الأجدر بالطرح هنا؛ هو حول قضية باتت تلح بقوة في دوائر صنع القرار العربية والإسلامية، وتحركت موجاتها التصاعدية لتصبح همًا مشتركًا للشعوب الإسلامية والعربية، حين تتفجر مشكلة التحالفات الإقليمية والدولية، وتطرح إشكالية إضافة إيران إلى رصيد الأمة الإسلامية وقواها ومكتسباتها الحضارية أم تخصم منها؟

وتاليًا، توضع بين أيدي الباحثين قضية أكثر سخونة، وهي أن إيران إذ قامت فأضحت قوة إقليمية بارزة في منطقة الخليج وآسيا الوسطى وغربها، قد أمسى العالم الإسلامي عمومًا، والعربي خصوصًا معنيًا بالتحالف معها في وجه القوى العظمى الأكبر والأقوى، العاملة على إضعاف العالم الإسلامي وتقويض أركانه، وهي (الولايات المتحدة - «إسرائيل» - أوروبا) بشكل عام والطرفان الأولان من المعادلة بشكل أخص، وحيث ميزان القوى العسكري يطيش بحظوظ العرب بعد تفكيك الجيش العراقي؛ فإن «الواجب» على العرب ثم المسلمين إيجاد قدر من التحالف أو التفاهم مع إيران.

وتلك مسائل، وإن كنا نختلف معها جذريًا من الناحية الاستراتيجية المنبثقة من خلفية دينية تستند إلى العقيدة والتاريخ والثقافة وما إلى ذلك، غير أنه يبقى الاعتراف بأن تلك المسائل ما زالت تلح على صناع القرار ومراكز الفكر العربي وتحتاج إلى قدر هائل من المكاشفة المعرفية غير المتشنجة التي تحول دون طغيان أي من النظرتين المجردتين للأمور، إن على أرضية الفهم الديني والتاريخي البحت، أو الإغراق في النظرة السياسية التجريدية الخالية من دون أي معنى يخالف التحليل المصلحي للسياسة، وإن كان أيضًا قاصرًا ـ أحيانًا ـ عن استيعاب دور الدين في تحقيق المصالح الاستراتيجية للدول، والذي يتجسد في المخزون الجماهيري المساند للاستراتيجيات المختلفة.

إيران، عندما يتم تناولها كدولة دينية لا يؤخذ بالاعتبار كونها تنطلق من قناعة دينية خاصة فحسب، بل أيضًا بتناول الآخرين لها من هذه الزاوية، ولن نكون مبالغين في هذا الخصوص حينما نتحدث عن أن الجميع بات يفهم الطبيعة الدينية للنظام الإيراني، ويتعامل معه وفقًا لمعتقداته محاولاً الإفادة منها إلا أهل السنة ومعظم أنظمة دولهم؛ حيث التفطن للعقائد الباطنية التي تحكم السياسة الإيرانية لا يتعدى كثيرًا لدى النخبة في أفضل الأحوال حيز الحذر الوطني، من دون الالتفات كثيرًا إلى مسألة رؤية الغرب لإيران والعكس، وحدود التلاقي والصراع بينهما، ما يترتب عليه عادة ضبابية الرؤية السياسية، ومن ثم، إنتاج استراتيجيات أمنية وسياسية واقتصادية وثقافية منقوصة.

فما يمكن قوله ـ على الأقل ـ في هذا الإطار أن العلاقة بين الغرب وإيران لا تحددها التصريحات بل والتراشقات المتبادلة وإنما علاقة متشعبة وممتدة جغرافيا وتاريخيا ودينيا، لا تخطئ ملامحها دوائر صنع القرار في واشنطن أو طهران، والدراسات السياسية المعمقة تنظر دومًا بزاوية مختلفة عن تلك المتظاهرة في وسائل الإعلام المختلفة، وما يرشح بين الفينة والأخرى يشي بأن هناك ما لم يعد يخفى على المتابع لمجريات العلاقات الأمريكية الإيرانية، ومن ذلك، ما نشرته هيرالد تريبيون في العام ٢٠٠٦ من مقالة لباحث استراتيجي أميركي من أصل يهودي بعنوان: «إيران وإسرائيل والرابط التاريخي» لستانلي فايس الذي كان له دور في السنة الأولى من ولاية محمد خاتمي، يقول ستانلي: «العداوة بين إيران وإسرائيل ليست سوى شذوذ عن مسيرة العلاقات التاريخية بين الشعبين، فقد عملت الروابط الثقافية والمصالح الاستراتيجية بين الفرس واليهود على جعل إيران وإسرائيل حليفتين متضامنتين لحين قيام الثورة الإسلامية في إيران. وعلى الرغم من الصورة القاتمة لما آلت إليه العلاقة بين البلدين في الوقت الحاضر، فإن المصالح الاستراتيجية الثابتة تشير إلى أن إعادة إحياء الشراكة الفارسية – اليهودية أمر محتوم، وإن لم يكن متوقعًا على المدى القريب».

ويضرب مثلاً على ذلك «فقد دفع العداء المشترك للعراق ورغبة إسرائيل في المحافظة على نفوذها بين صفوف المعتدلين الإيرانيين، الإسرائيليين إلى تزويد الجمهورية في إيران بالسلاح في ثمانينات القرن الماضي (يقصد إيران جيت)، وإلى لعب دور الوسيط في صفقة السلاح مقابل الرهائن التي أبرمت في عهد رونالد ريجان».

ويقول أيضًا: «ففي حالة نشوب حرب إقليمية واسعة بين الشيعة والسنة ستجد إيران وإسرائيل أنهما أصبحتا ثانية بمواجهة عدو مشترك»[1].

ومن نافلة القول، التأكيد على متانة العلاقات (الباطنية) بين كل من واشنطن وطهران، والتي تتجلى في أكثر من مشهد إقليمي؛ إن في أفغانستان أو العراق أو في الخليج العربي، أو حتى لبنان الذي إن أبدت واشنطن عداءً ظاهريًا لـ«حزب الله» فإنها تمنحه «شرعية» المقاومة والتحدي لها بذكاء أو بغباء ـ سيان ـ حين تعلن بقوة دعمها للحكومة اللبنانية بما يشوه صورة الأخيرة، من دون أن يمنحها قيد أنملة في اتجاه تحقيق نوع من التوازن العسكري مع «حزب الله»، كما تحرك مدمرتها «كول» على الساحل اللبناني جيئة وذهابًا دونما استعداد أو همٍّ به ممكنًا للحؤول دون تفرد حلفاء طهران وسوريا بمفردات القوة في لبنان، وليس جديدًا ما قد صرح به مستشار الرئيس الإيراني السابق خاتمي الذي قال: «لولانا ما انتصرت الولايات المتحدة في أفغانستان والعراق»؛ فالتصريح بات من الشهرة بحيث لم يعد خافيًا هذا التواطؤ المبني على أسس عقدية يتخلف عنها مصالح استراتيجية.

إن العلاقة في الحقيقة بين الطرفين المسيطرين على معظم أجزاء منطقة الهلال الخصيب أو للدقة من الخليج إلى البحر المتوسط تحكمها عناصر قد تكون عند غياب الاستراتيجيا أحجية تلغز على كثيرين في فك طلاسم رموزها، لكنها في الأخير لعبة تحكمها الأيديولوجيا والمصالح والتاريخ والجغرافيا، وفي ضوئها تجتمع متناقضات:

---

(١) العرب اليوم: ١٣/ ٧/ ٢٠٠٦م.

- فالولايات المتحدة الأمريكية تسعى نحو فرض عقوبات على إيران لكنها تتعاون معها في العراق وأفغانستان.
- وجهاز الاستخبارات الأمريكية C.I.A ينشر تقارير عن «أسلحة الدمار الشامل العراقية» قبل غزو العراق، لكنه يبرئ إيران من امتلاك برنامج عسكري نووي ليناقض تصريحات البيت الأبيض.
- والأمم المتحدة رغم أنها تدين ممارسات «حزب الله» لكنها تعترف به ضمنًا في قرار وقف إطلاق النار بعد حرب يوليو ٢٠٠٦.
- والمجتمع الدولي يطلب نزع سلاح كل القوى غير الرسمية في لبنان، لكنه يسمح للحزب بوضع أسلحته في الجنوب في أغمادها من دون طلب نزعها.
- والاتحاد الأوروبي لا يتماهى مع رغبات الولايات المتحدة الأمريكية في وضع «حزب الله» في قائمة المنظمات الإرهابية، «وفي حين أنّ أميركا وإسرائيل تتصرّفان لإزالة منظّمة حزب اللّه ككيان إرهابي، لا يزال الأوروبيّون الدبلوماسيون يجتمعون بزعمائها.. هذه البيئة الدوليّة تمكّن لبنان وسوريا وإيران من المناورة بين الموقع الأوروبي والضغط الأميركي. هذا الاختلاف وعدم التوحّد في تعريف مصطلح الإرهاب يمنع التعاون الدولي من قتال ومحاربة منظّمات الإرهاب..»[1].

(١) آيتان آزاني (باحث «إسرائيلي» في ICT) - حزب اللّه: منظّمة إرهابيّة واقعيّة ذات قدرة نفوذ عالميّة - نقلا عن مركز الدراسات والمعطيات السياسية.

- وقادة «إسرائيل» العسكريون يصرحون أثناء الحرب بأن زعيم الحزب سيقتل، لكنهم يحجمون تاليًا عن استهدافه ثم يغض الطرف عن مهرجانه بعد الحرب ويحجم عن قتله.
- و«إسرائيل» تعتبر الحزب منظمة إرهابية لكنها تسمح بتفاهم إبريل معه الذي يعترف ضمنًا بالحزب كقوة على الأرض[1].

والحق، أن العلاقة الأمريكية-الإيرانية، أو بشكل أدق، «اليهودية-الشيعية» لا يعود تماسكها بعض الشيء لمنشأ التشيع كاستنساخ في بعض حلقاته المعرفية لنصوص توراتية وشرائع يهودية فحسب، بل لوجود التقاء حول هدف محدد وهو إضعاف أهل السنة ودولهم، من دون أن ينفي عنهما التنافس الاستراتيجي الذي هو حالة سياسية قد تحدث بين أصحاب الديانات المتماثلة أحيانًا كما في الحالة الأمريكية-الفرنسية مثلاً، ونحن إذن إزاء مشروعين لهما تأثير في العالم الإسلامي، وهذا التأثير تفترض فيه أمريكا أن إيران هي شوكة في خاصرة العالم الإسلامي، ينبغي استغلال نفوذها في الحد من غلواء الأغلبية الكاثرة من أهل السنة، والبناء على العداء التاريخي من الشيعة للسنة على أرضية التكفير من الطرف الأول للثاني وتأسيسه للعداء على قاعدة أولية قتال المرتد (الناصبي: وهو التعبير الشيعي عن السني) عن قتال الكافر الأصلي عند الشيعة وهم غير المسلمين، وهو ما يعني إمكانية الالتقاء بين إيران وأمريكا في مساحة التساند ضد عدو مشترك، ثم تاريخيًا عبر

---

(١) أمير سعيد- حرب بلا نصر (باختصار): ١٥٦ - ١٥٧.

الخلفية الصراعية على أسس يعدها كثير من قومية الفرس اليوم، قومية بالأساس، حين أتى المسلمون (العرب) بنيان الفرس من القواعد، وأطاحوا بأحلام الهيمنة الامبراطورية الفارسية التي صارت أثرًا بعد عين في أعقاب الفتوحات الإسلامية الأولى، ثم لم يقم للفرس قائمة من بعدها إلا بالدولة الصفوية بعد تسعة قرون ونيف.

ومن جهة أخرى؛ فإن إيران تنظر للولايات المتحدة أو أي من القوى الدولية الأخرى لاسيما روسيا كدول يمكن تجسير العلاقات معها من أجل الهيمنة على القرار الإسلامي وفقًا لأرضية الأهداف المشتركة لهما.

ولن يكون من العسير تلمس التأثير العقدي تبعًا لذلك على مجمل السياسات الخارجية لكل من إيران والولايات المتحدة و«إسرائيل»، والتي تحدد ملامح التواطؤ الأمريكي مع إيران ـ وبالعكس ـ في المنطقة العربية ووسط آسيا، ونقاط الاختلاف والاتفاق بينهما، وهو ما سنحاول تبيانه لاحقًا.

* * *


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



العقيدة الشيعية

وكيف تفرز كراهية وعداء لأهل السنة

ربما يجد المتابعون للحالة الشيعية الإمامية خلال قرون التاريخ الإسلامي مشقة بالغة في تفسير هذه الرغبة الانتقامية والنبرة الحادة الموتورة واللعائن المتوالية التي تبلغ حد التنافس في التعاطي مع أهل السنة وعقيدتهم؛ إذ المنطقي والمتوقع كان انصراف هذه الأحقاد والضغائن أصلاً لمن لا يعترفون بعلي بن أبي طالب ﷺ كرابع الخلفاء الراشدين وأحد المبشرين بالجنة الأبرار وأحد أقرب الصحابة إلى قلب رسول الله ﷺ، والحسن والحسين ابنيه ومقداد بن عمرو وسلمان الفارسي ﷺ جميعًا كصحابة لرسول الله ﷺ وجنوده الأوفياء النجباء، إضافة إلى الفضلاء من أحفاد علي بن أبي طالب ﷺ.

فإذا كان أهل السنة يعترفون بمناقب هؤلاء جميعًا ويترضون عن هذه الثلة من صحب رسول الله ﷺ وغيرهم من حملة الإسلام وحفظة كتابه وفاتحي البلاد والقلوب لهذا الدين؛ فكيف يكون بغضهم وتكفيرهم مقدمًا على بغض من لا يوقرونهم ويعادون دينهم ويتنكبون طريقهم من أصحاب الديانات الأخرى!!

وكيف تنخفض نبرة التوتر والتشنج عند هذه الطائفة لدى الحديث عمن قالوا: «يد الله مغلولة» أو قالوا: «عزير بن الله» أو قالوا: «المسيح ابن الله» ـ

كما ورد في كتاب الله عن اليهود والنصارى ـ فيما تعلو النبرة وتتناثر اللعائن والشتائم والسباب عند الحديث عن أهل السنة أو من تسميهم الأدبيات وأصول المراجع الشيعية باسم النواصب أو العامة؟!

إن جانبًا من هذا العجب يزول عندما يتم التنقيب جيدًا عن تلك الجذور اليهودية التي تدفع الشيعة الإمامية إلى اتخاذ سلوك كهذا إزاء السنة وأهلها، ومن قبل إزاء الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم، يورد د. محمد عبد المنعم البري في كتابه الجذور اليهودية للشيعة في كتاب علل الشرائع للصدوق الشيعي، هذه الرواية للمصنف الشيعي وهو رئيس المحدثين الشيعة، والتي توضح علاقة هذه الطائفة بالأمة الإسلامية من مشرقها إلى مغربها ـ حين تتحدث تلك الرواية عن المهدي المنتظر في عقيدة الشيعة ـ: عن جعفر الصادق: قال رسول الله ﷺ: «لا بد للغلام من غيبة فقيل له: ولم يا رسول الله؟ قال: يخاف القتل».

(وفي الباب أيضًا): قال جعفر الصادق: إن في القائم سنة من يوسف، قيل: كأنك تذكر خبره أو غيبه، قال وما تنكر من هذه الأمة، أشباه الخنازير، إن إخوة يوسف كانوا أسباطًا أولاد أنبياء، تاجروا بيوسف وباعوه، وخاطبوه وهم إخوته وهو أخوهم، فلم يعرفوه حتى قال لهم أنا يوسف، فما تنكر هذه الأمة الملعونة أن يكون الله عز وجل في وقت من الأوقات يريد أن يستر حجته، فما تنكر هذه الأمة أن يكون الله قد فعل بحجته ما فعل بيوسف، وأن يسير في أسواقهم ويطأ بسطهم، وهم لا يعرفونه، حتى يأذن الله أن يعرفهم بنفسه كما أذن ليوسف.

وأقول[1]: «صدق الله في قوله سبحانه: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾[2] يفضحون في هذا الحديث ما يكنونه في قلوبهم نحو خير أمة أخرجت للناس فيصفونها قبح الله وجهم في الدارين بقولهم مرة: (هذه الأمة أشباه الخنازير)، ومرة أخرى: (هذه الأمة الملعونة) وقد فضحهم الله عز وجل وعشيرتهم وأمثالهم، من الأدعياء الكذابين، بقوله سبحانه: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾[3].

وليس في القرآن الكريم كله، ولا في الصحيحين جميعًا كلمة واحدة تؤازر أكاذيبهم وخيالاتهم السقيمة في الوهم المنتظر وغيره».

فالأمة في نظر هذه الرواية أمة خنازير وملعونة، ولا غرو إذن أن يأتي الأتباع فيلعنوها زرافات ووحدانًا، وهذا بدوره لا يفسر حجم البغضاء التي يكنها مرجعيات الشيعة للمسلمين عمومًا، وإنما يفسره تأسيس هذا الحنق على أسس يهودية - مجوسية مشتركة تعمل على هدمها من الداخل، وتقويض أركانها.

---

(١) انظر: د/محمد عبد المنعم البري - الجذور اليهودية للشيعة في كتاب علل الشرائع للصدوق الشيعي.

(٢) سورة المائدة - الآية: ٨٢.

(٣) سورة آل عمران - الآية: ١١٩.

إن النصوص التي سنوردها لاحقًا من كتب الشيعة الأبرز والأهم، ومن تلك المراجع التي يعود إليها الشيعة مثلما يعود السنة إلى البخاري ومسلم وغيرهما ستطفح بكراهية هائلة للسواد الأعظم من هذه الأمة التي جعلها الله خير أمة أخرجت للناس.

غير أنه استباقًا للنصوص تلك، من المفيد أن نتساءل مستهدين بالتاريخ عن عدد من قتلتهم الشيعة من أهل السنة على مر العصور قياسًا بمن قتلتهم من أصحاب الديانات الأخرى، ولو في سبيل مصالح سياسية واقتصادية بحتة، بل من المخزي أن ندير السؤال باتجاه آخر عن أولئك الذين قتلهم الشيعة من المسلمين في مقابل من قتلهم اليهود من هذه الأمة!!

إن من المخجل حقًا أن يكون عدد من قتلهم الشيعة في العراق في ست سنوات خلال احتلال العراق أكثر بكثير ممن قتلهم اليهود من المسلمين خلال ستين عامًا هي عمر النكبة حتى الآن؛ فكم تساوي الآلاف من ضحايا المسلمين في دير ياسين وبحر البقر وحروب ٤٨ و٥٦ و٦٧ و٧٣ إزاء نحو ٦٥٠ ألف قتيل على الأقل في سنوات احتلال العراق؟ وكم يمكن مقارنة ما قام به الصرب بما قام به إسماعيل الصفوي في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي؟!

ومقارنات كهذه لابد وأن تومئ إلى أن تلكم المجازر إنما هي نتاج فكر تكفيري وإقصائي لا تغدو فيه سائر هذه الأمة إلا أغلبية من المرتدين تتحكم في أقلية مؤمنة، وهذه الأخيرة ما عليها إلا أن تصانع الغالبية

وتداريها حتى تتمكن منها وتقصيها عن مواضع القيادة؛ فهي فكرة بالأساس تستند ـ بعد التكفير ـ على أن المرتد هو أولى بالقتال والمعاداة من الكافر الأصلي، ومن ثم انصرفت جهود الشيعة الإمامية إلى هؤلاء «الكفار المرتدين» الذين هم ليسوا إلا جموع المسلمين المؤمنين في سائر بلدان العالم الإسلامي، والذين لفرط كثرتهم وغلبتهم على مر العصور، انزوت الأقلية ملتحفة بدثار من الكذب والتزييف اختطته لها دينًا أسمته التقيّة (وهي تسمية قرآنية لكن الشيعة اقتنصوها واستدلوا بها في غير موضعها)، وصارت تستر عقائدها وتدعي تسامحها مع أهل السنة، وهي لا تنظر لهم إلا ككفار أشقياء ليس لهم من القادر عليهم إلا السيف ولا غير السيف.

وتلك القدرة قد تأتي في دولة شيعية عابرة في التاريخ كالصفوية والخمينية أو من خلال الدسائس والمؤامرات داخل البلدان الإسلامية أو تظل حلمًا يراوِدِ الشيعة يجعلهم تواقين للقتل بشكل مريع، تدفعهم أمانيهم تلك إلى اختلاق صورة بغيضة للمهدي المنتظر عندهم يتجسد في شكل سفاح شره في سفك الدماء وقتل المسلمين.

وتلك صورة حالمة في العقل الجمعي لهذا المهدي.. هذه أمنية تتحقق أحيانًا وتخفق في أحايين، لكنها تظل أملاً يراود أتباعه أن تجتث شأفة الإسلام وأهله عبر هذا السفاح المتوهم في حسهم وعقيدتهم، فكما تقول هذه الرواية «عن أبي جعفر الصادق يقول: لو يعلم الناس ما يصنع القائم إذا خرج لأحب أكثرهم أن لا يروه مما يقتل من الناس، أما إنه لا يبدأ إلا بقريش فلا

يأخذ منها إلا السيف ولا يعطيها إلا السيف، حتى يقول كثير من الناس: ليس هذا من آل محمد، ولو كان من آل محمد لرحم»[1].

فإن المهدي - أو القائم أو صاحب الزمان كما يصطلح عليه الشيعة الإمامية - لا تأخذه رحمة بأهل الإسلام عمومًا، بل يبدأ بقرابة رسول الله ﷺ وقبيلته التي ولد فيها - قريش؛ فيعمل فيها القتل، ولا يعذر ولا يحقن دمًا بلا تفسير مقنع تسوقه الرواية التي صورت المهدي الذي تصفه روايات أهل السنة بأنه يملأ الدنيا عدلاً بصورة مصاص دماء لا هم له إلا السيف والقتل، «سئل موسى الرضا: يا ابن رسول الله، ما تقول في حديث روي عن جعفر الصادق أنه قال: إذا خرج القائم قتل ذراري قتلة الحسين، بفعال أبائهم، فقال الرضا هو كذلك، فقلت فقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[2] ما معناه؟ فقال صدق الله في جميع أقواله، ولكن ذراري قتلة الحسين يرضون أفعال آبائهم، ويفتخرون بها، ومن رضي شيئا كان كمن أتاه، ولو أن رجلا قتل في المشرق فرضي بقتله رجل في المغرب، لكان الراضي عند الله شريك القاتل، وإنما يقتلهم القائم إذا خرج، لرضاهم بفعل أبائهم، قال فقلت: له أي شيء يبدأ القائم فيهم إذا قام؟ قال: يبدأ ببني شيبة فيقطع أيديهم، لأنهم سراق بيت الله.

وأقول (أي د.البري): من الأحكام الشرعية الغريبة، الخاصة بالشيعة واليهود دون سائر أجناس البشر، وسائر الملل والعقائد (حل قتل أطفال

---

(١) محمد باقرالمجلسي - بحار الأنوار: ٥٢ - ٣٥٤.

(٢) سورة فاطر- الآية: ١٨.

المسلمين من أهل السنة والجماعة) ولو في أيامهم الأولى، ولا تعوزهم الحيلة في استخراج دليل من القرآن، يزكي فضائحهم، ويجعلها حلالا زلالا فقد قال تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾[1] متجاهلين أن ذلك كان بعد أن لبث فيهم دهورا طويلة، وأخبره الله بقوله سبحانه: ﴿لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾[2].

ولعل الجديد هنا، يتمثل في ثأر ابن سبأ اليهودي، من قتل أطفال بني إسرائيل صغارًا بمصر، على يد فرعون، فشرع لأتباعه هذا الحكم الشاذ، المناقض للعقل والدين، وسائر الملل والقيم الإنسانية، وبنو شيبة هم الذين سلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه مفاتيح الكعبة بيده الشريفة وبين أنه لا يسلبهم حقهم هذا إلا ظالم جائر»[3].

إن جملة هذه الروايات عن هذا المهدي المرتجى تشي بحقيقة مذهلة يكشفها أحد التائبين عن اعتناق هذه الأفكار، وهو حسين الموسوي صاحب كتاب «لله ثم للتاريخ»، تقول هذه النصوص في توصيف مهدي الشيعة:

---

(١) سورة نوح - الآيتان: ٢٦، ٢٧.

(٢) سورة هود - الآية: ٣٦.

(٣) انظر: د/محمد عبد المنعم البري - الجذور اليهودية للشيعة في كتاب علل الشرائع للصدوق الشيعي.

١- روى المجلسي: «أن القائم يهدم المسجد الحرام حتى يرده إلى أساسه والمسجد النبوي إلى أساسه»[١].

٢- روى المجلسي: «ما بقي بيننا وبين العرب إلا الذبح»، وروى أيضًا: «اتق العرب فإن لهم خبر سوء، أما إنه لم يخرج مع القائم منهم واحد»[٢].

٣- روى المجلسي: «يقوم القائم بأمر جديد وكتاب جديد وقضاء جديد»[٣]، وروى عن أبي عبد الله قال: «إذا قام قائم آل محمّد حكم بحكم داود وسليمان ولا يسأل بينة»[٤].

٤- روى الفيض الكاشاني: «يا أهل الكوفة لقد حباكم الله عز وجل بما لم يحب أحد من فضل، مصلاكم بيت آدم وبيت نوح وبيت إدريس ومصلى إبراهيم.. ولا تذهب الأيام حتى ينصب الحجر الأسود فيه»[٥].

وتلك الأوصاف المختصرة هنا، يمكنها أن تصف شخصًا دمويًا يكره العرب، ويقتل المسلمين بلا هوادة، ويعمل في أهل قرابة رسول الله ﷺ القتل، ويهدم الكعبة، ومسجد النبي ﷺ، ويأتي بكتاب جديد (غير القرآن) ويحكم بشريعة داود عليه السلام لا شريعة محمد ﷺ، ويحول القبلة إلى

(١) محمد باقر المجلسي - بحار الأنوار: ٥٢/ ٣٣٨.
(٢) محمد باقر المجلسي - بحار الأنوار: ٥٢ / ٣٣٣.
(٣) محمد بن إبراهيم النعماني - الغيبة: ١٥٤.
(٤) محمد بن يعقوب الكليني - الأصول من الكافي: ١ / ٣٩٧.
(٥) الفيض الكاشاني - الوافي: ١/ ٢١٥.

الكوفة، بعد أن يقتلع الحجر الأسود من مكانه مثلما فعل القرامطة في القرن الثالث الهجري عندما سرقوا الحجر الأسود لفترة من الزمان وقتلوا حجاج بيت الله الحرام (وهم بذلك لم يكونوا يفعلون أكثر مما سيفعله المهدي في اعتقادهم).. إننا إذن إزاء شخص يجاوز في خسته ما فعله كل أعداء دولة الإسلام على مر العصور من تتر وصليبيين وحتى «استعمار» معاصر، بل يفوق ما سيتمكن من فعله المسيح الدجال الذي نصت الأحاديث النبوية الشريفة على أنه لن يتمكن من دخول مكة والمدينة لأنها ستحرم عليه؛ فأي رجل هذا يدعو الشيعة ليل نهار أن يعجل الله خروجه!!

لا يمكن الخروج من توصيف كهذا إلا بأن المبشر به ليس إلا واحدا من خارج هذه الأمة الإسلامية لا يحمل في قلبه لها إلا كل ضغينة وحقد، أو بالأحرى إلى توصيف اهتدى إليه الشيخ الشيعي السابق حسين الموسوي حين قال: «إن الحقيقة التي توصلت إليها بعد دراسة استغرقت سنوات طوالاً ومراجعة لأمهات المصادر هي أن القائم كناية عن قيام دولة إسرائيل أو هو المسيح الدجال؛ لأن الحسن العسكري ليس له ولد كما أسلفنا وأثبتنا، ولهذا روى عن أبي عبد الله -وهو بريء من ذلك-: (ما لمن خالفنا في دولتنا نصيب، إن الله قد أحل لنا دماءهم عند قيام قائمنا)»[١].

ولماذا حكم آل داود؟ أليس هذا إشارة إلى الأصول اليهودية لهذه الدعوة؟

---

(١) محمد باقر المجلسي - بحار الأنوار: ٥٢/ ٣٧٦.

وقيام دولة إسرائيل لابد أن يسودها حكم آل داود، ودولة إسرائيل إذا قامت، فإن من مخططاتها القضاء على العرب خصوصًا، المسلمين والمسلمين عمومًا كما هو مقرر في بروتوكولاتهم، تقضي عليهم قضاء مبرمًا وتقتلهم قتلاً لا رحمة فيه ولا شفقة.

وحلم دولة إسرائيل هو هدم قبلة المسلمين وتسويتها بالأرض، ثم هدم المسجد النبوي والعودة إلى يثرب التي أخرجوا منها، وإذا قامت فستفرض أمرًا جديدًا، وتضع بدل القرآن كتابًا جديدًا، وتقضي بقضاء جديد، ولا تسأل بينة، لأن سؤال البينة من خصائص المسلمين، ولهذا تسود الفوضى والظلم بسبب العنصرية اليهودية.

«ويحسن بنا أن ننبه إلى أن أصحابنا اختاروا لهم اثني عشر إمامًا، وهذا عمل مقصود فهذا العدد يمثل عدد أسباط بني إسرائيل، ولم يكتفوا بذلك بل أطلقوا على أنفسهم تسمية (الاثنى عشرية) تيمنًا بهذا العدد، وكرهوا جبريل عليه السلام والروح الأمين كما وصفه الله تعالى في القرآن الكريم، وقالوا إنه خان الأمانة إذ يفترض أن ينزل على علي عليه السلام، ولكنه حاد عنه، فنزل إلى محمّد ﷺ، فخان بذلك الأمانة.

ولهذا كرهوا جبريل، وهذه هي صفة بني إسرائيل في كراهتهم له، ولهذا رد الله عليهم بقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾[1]، فوصف من عادى جبريل بالكفر، وأخبر أن من عاداه فإنه عدو لله تعالى»[2].

---

(١) سورة البقرة:٩٧ - ٩٨.

(٢) حسين الموسوي- لله ثم للتاريخ: ١٢٦ - ١٢٧.

إن المشكل هنا ليس في وجود نصوص قديمة لا محل لها من الإعراب السياسي، ويستطيع الشيعة الإمامية كعادتهم عند أول مواجهة أن يقولوا أن في كتبنا أحاديث ونصوصًا ضعيفة، ومراجعنا هم من لديهم مفاتيح الضعيف من الصحيح فعودوا إليهم فاسألوهم، وإنما الأمر يتعلق بعقيدة لها في عالم الواقع حضور ومكان، ومن يتابع كثيرًا من تصريحات الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد يلحظ ذلك النفس المغالي في مسألة ظهور المهدي ودور الرئيس وأعوانه في تهيئة المناخ لظهوره، وحيث كان يخطب نجاد في الأمم المتحدة استهل كلماته الثلاثة في الأمم المتحدة بدعاء الفرج، وهو دعاء التعجيل بظهور المهدي، وعقب الخطابات اعتبر الناطق باسم الحكومة الإيرانية غلام حسين إلهام أن «أحمدي نجاد هز النظام العالمي القائم على الظلم من خلال طرح مسألة تزامن ظهور الإمام المهدي وعودة المسيح لتحقيق العدل المطلق في خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة»[1]، وهو ما يعبر بجلاء عن هذه القناعة التي تحكم المنظومة السياسية لإيران، وهنا نحن لا نبرهن استشهادًا بكلام «آيات الله»، بل بكلام أكبر منصب تنفيذي سياسي في إيران، لا مرشدها الأعلى الذي رغم كونه معبرًا أكبر عن الشيعة في العالم ومرجعهم الأول، إلا أن تشبع السياسيين بمثل هذه المعتقدات دال بجلاء على مدى سريان هذا الشعور الحالم بالتوق إلى ظهور المهدي هذا، الذي لن يكون ـ كما تقدم ـ إلا عنوانًا للدم يجري في طرقات مكة والمدينة.

---

(١) موقع وكالة فارس للأنباء على الإنترنت: ٢٠/ ١٠/ ٢٠٠٧م.

وإذا كان بعض مراجع الشيعة يرى أن ظهور المهدي يسبقه مقاتل كثيرة في صفوف العامة (أي أهل السنة) ويستحثهم ذلك على التوجيه المستتر بالقتل من خلال الميليشيات الطائفية العاملة في العراق، لاسيما تلك المسماة باسم «جيش المهدي» والتي تترقب خروجه، إلا أن مسألة العداء ليست رهينة ظهور المهدي ولا ترتبط ارتباطًا جذريًا بمسألة الدور السياسي والعسكري الذي يقوم به المهدي حال خروجه، بل تعود إلى عقيدة التكفير التي تتشارك فيها الإثنا عشرية الإمامية الشيعية مع الخوارج في تكفير عموم المسلمين، ومن ثم استباحة دمائهم وأعراضهم وأموالهم، على أن الخوارج هم «أشرف» خصومة إن جاز التعبير في صراحتهم التي لا تدعوهم إلى المداراة والخيانة والطعن بعد الابتسامات ومؤتمرات التقريب.

وبإمكاننا الاستشهاد هنا بجملة من النصوص التي تغص بها كتب ومراجع الشيعة الأصلية، والتي تكفر أهل السنة الذين هم عموم المسلمين صراحة، لكنها ـ مثلما سبق البيان ـ يستطيع أهل «التقيّة» أن يتبرءوا منها نصًا تلو آخر، إذا ما جذبهم الجدال إلى حيث لا تناسب المرحلة.

١- روى الكليني عن أبي جعفر قال: «كان الناس أهل ردة بعد النبي صلى الله عليه وآله إلا ثلاثة المقداد بن الأسود وسلمان الفارسي وأبا ذر الغفاري»[1]. وهذا في تكفير جملة الصحابة والخلفاء إلا هؤلاء، بخلاف ما نصت على قوله «وآله».

(١) محمد بن يعقوب الكليني - روضة الكافي: ٨/ ٢٤٦.

٢- يقول القمي «الصدوق»: «واعتقادنا فيمن جحد إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة من بعده عليهم السلام أنه كمن جحد نبوة جميع الأنبياء واعتقادنا فيمن أقر بأمير المؤمنين وأنكر واحدا من بعده من الأئمة أنه بمنزلة من أقر بجميع الأنبياء وأنكر نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وآله»[١].

٣- يقول المجلسي: «اعلم أن إطلاق لفظ الشرك والكفر على من لم يعتقد إمامة أمير المؤمنين والأئمة من ولده عليهم السلام وفضل عليهم غيرهم يدل أنهم مخلدون في النار»[٢]، يقول الموصلي معلقًا على هذا النص: «فالذين تعاطفوا مع الشيعة (أي من أهل السنة) مخلدون في النار على معتقد من تعاطفوا معهم (من الشيعة) فهل من معتبر»[٣].

٤- حكم المرجع محمد الشيرازي على جميع طوائف الشيعة غير الاثني عشرية بالكفر وشبههم بالنصارى فقال: «وأما سائر أقسام الشيعة غير الاثني عشرية فقد دلت نصوص كثيرة على كفرهم ككثير من الأخبار المتقدمة الدالة على أن من جحد إمامًا كان كمن قال: إن الله ثالث ثلاثة»[٤].

٥- روى الكليني بسنده عن الصادق قال: «وأهل المدينة شر من أهل مكة، وأهل مكة يكفرون بالله تعالى جهرة، إن أهل المدينة ليكفرون بالله جهرة»[٥].

---

(١) محمد بن علي القمي الملقب بالصدوق - رسالة الاعتقادات: ١٠٣.

(٢) محمد باقر المجلسي - بحار الأنوار: ٢٣/ ٣٩٠.

(٣) عبد الله الموصلي - حتى لا ننخدع:حقيقة الشيعة: ٤٤.

(٤) محمد الشيرازي- موسوعة الفقه: ٤/ ٢٦٩.

(٥) محمد بن يعقوب الكليني - أصول الكافي: ٤/ ٤٠٩.

وروى فيه بسنده عن أحدهما: «وأهل المدينة أخبث من أهل مكة، أخبث منهم سبعين ضعفا»[1].

غير أن أهل التشيع يتواصون بستر قضية التكفير عند الحديث مع أهل السنة لواذًا بعقيدة التقية، التي تتسع مساحتها لا استخدامًا في حالة الخوف المبررة نوعًا ما، وإنما حتى في مقاصد أخرى.

ويقول الخوئي: «ففي بعضها أن: التقية ديني ودين آبائي ولا دين لمن لا تقية له، وأي تعبير أقوى دلالة على الوجوب من هذا التعبير حيث أنه ينفي التدين رأسا عمن لا تقية له؛ فمن ذلك يظهر أهميتها عند الشارع وأن وجوبها بمثابة قد عد تاركها ممن لا دين له. وفي بعضها الآخر: لا إيمان لمن لا تقية له. وهو في الدلالة على الوجوب كسابقه. وفي الثالث: لو قلت أن تارك التقية كتارك الصلاة لكنت صادقًا. ودلالته على الوجوب ظاهرة، لأن الصلاة هي الفاصلة بين الكفر والإيمان كما في الأخبار، وقد نزلت التقية منزلة الصلاة ودلت على أنها أيضًا كالفاصلة بين الكفر والإيمان. وفي رابع: ليس منا من لم يجعل التقية شعاره ودثاره. وقد عد تارك التقية في بعضها ممن أذاع سرهم وعرفهم إلى أعدائهم، إلى غير ذلك من الروايات، فالتقية بحسب الأصل الأولي محكومة بالوجوب»[2].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) أبو قاسم الخوئي - التنقيح في شرح العروة الوثقى: ٤/ ٢٥٥.

ويتسع بها الخميني أكثر فيقول: «فتارة تكون التقية خوفًا وأخرى تكون مداراة.. والمراد بالمدارة أن يكون المطلوب فيها نفس شمل الكلمة ووحدتها بتحبيب المخالفين وجر مودتهم من غير خوف ضرر كما في التقية خوفًا وسيأتي التعرض لها وأيضًا قد تكون التقية مطلوبة لغيرها وقد تكون مطلوبة لذاتها وهي التي بمعنى الكتمان في مقابل الإذاعة على تأمل فيه»[1].

ويقول الخميني: «إياك أيها الصديق الروحاني ثم إياك والله معينك في أولاك وأخراك أن تكشف هذه الأسرار لغير أهلها أولا تضنن على غير محلها فإن علم باطن الشريعة من النواميس الإلهية والأسرار الربوبية مطلوب ستره عن أيدي الأجانب وأنظارهم لكونه بعيد الغور عن جلى أفكارهم ودقيقها، وإياك وأن تنظر نظر الفهم في هذه الأوراق إلا بعد الفحص الكامل عن كلمات المتألهين من أهل الذوق وتعلم المعارف عن أهلها من المشايخ العظام والعرفاء الكرام؟ وإلا فمجرد الرجوع إلى مثل هذه المعارف لا يزيد إلا خسرانًا ولا ينتج إلا حرمانًا»[2].

ويعقب عبد الله الموصلي على التقية عند الشيعة عمومًا بعد أن أورد نصوصًا كثيرة عنها فيقول ملخصًا حديثه حولها في نقطتين:

«- الأولى: إن التقية عند الشيعة ليست لحفظ النفس كما يتوهم بعض حسني النية من أهل السنة بل هي في الأساس لتغطية مخازي المذهب وموقفه العدائي من أهل السنة.

---

(١) أحمد الموسوي الخميني - كتاب الرسائل: ٢/ ١٧٤.

(٢) أحمد الموسوي الخميني - مصباح الهداية: ١٥٤.

- الثانية: أنه سبق إيراد إقرار الخميني أن التقية ليست لحفظ النفس والمال، بل في غيرها أيضًا فهي كالصلاة بالنسبة لهم»[1].

ويلحظ عبد الملك الشافعي هذه النقطة الجديرة بالتأمل فيما يخص ستر المذهب وحقائقه وأسراره؛ فيقول: «والحقائق عموما منها ما هو مشرف نبيل، يسعى أهلها لإعلانها والتعريف بها، ومنها ما هو مخز سقيم، يحاول أصحابها جاهدين طمسها وتغييب معالمها. بل ربما نسبوها إلى غيرهم ورموهم بسوئها؛ ليسلم لهم ماء الوجه ولتبقى ساحتهم بعيدة عن مرمى سهام النقد والتقييم...

وفي حين أن الأولى لا تحتاج إلى طول عناء لإبرازها وإماطة اللثام عنها حتى تبرز معالمها واضحة بعد إهمال، فإن الثانية تحتاج إلى جهد كبير في التنقيب عنها، يوازي الجهد المبذول في قبرها وتغييبها..ولطالما بقيت غالب معتقدات الشيعة الإمامية في إطار الثانية، خصوصا ما يتعلق منها بحقيقة فكرهم التكفيري تجاه باقي فرق المسلمين عامة، وتجاه أهل السنة والجماعة على وجه الخصوص، حيث إنها ظلت ملقاة في جب التغييب والتغريب زمنا طويلا دون أن يعلمها السواد الأعظم من المسلمين، بل إن الأمر لم ينته معهم عند هذا الحد، فقد جاءوا على قميص الحقيقة تلك بدم كذب، وألبسوا غيرهم ثوب جرائمهم وجاءوا الناس في كل وقت وحين يبكون ويتباكون على الوحدة الإسلامية الضائعة!! ومظلومية المذهب الشيعي مقابل تعنت وتجبر المذاهب الإسلامية»[2].

---

(١) عبد الله الموصلي - حتى لا ننخدع:حقيقة الشيعة:٢٧.

(٢) عبد الملك بن عبد الرحمن الشافعي - الفكر الشيعي عند الشيعة حقيقة أم خيال: ٥- ٦.

إن الكراهية في النهاية لدى الشيعة هي عقيدة تكفيرية مشبوهة تنتهي إلى القتل، وتستخدم آلية التقية التي تفتح أبوابًا كثيرة مغلقة للتنفيذ، ولا يمكن بالتالي استلال تلك الكراهية إلا بمواجهة متعددة الأوجه والأصعدة، وإن بدت في صعيدها الفكري عصية على الحل ولو لم تكن مستحيلة، ولعل أهم أسباب ذلك عائد إلى غياب المصارحة الشيعية من جهة وإعارة عقول كثير من البسطاء عقولهم للملالي والفقهاء الذين وحدهم يحتكرون الحقيقة في المذهب ويعرفون الضعيف من الصحيح ويتوافرون على أدوات من الجدل والمراوغة لا يتقنها إلا الفرس أهل البراعة في المنطق والجدل، والملالي أهل البراعة في التقية وعلم الكلام.

* * *


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

ملامح الحالة الشيعية السياسية عبر التاريخ

ليس من اليسير الإحاطة بكل مفردات الحالة السياسية الشيعية وآليات تحركاتها الداخلية والخارجية، وإنما قد يكون تحديد الأطر العامة التي رسمتها لذاتها أو أهدتها لها منظومة الأفكار والمعتقدات التي يتضمنها التراث الشيعي الشاسع والمنفلت من حدود «القيود» القيمية التي تحكم السياسة الإسلامية وقواعد التعامل الفردي والجماعي والدولي، غير أنه من الممكن ملاحقة أبرز هذه الآليات عبر التاريخ ابتغاء رسم قسمات السياسة الشيعية من واقع التاريخ، والتي نجملها فيما يلي:

١- الإعراض عن الفتوحات الإسلامية، والميل عن أمانة التصدي لأعداء الخارج:

ولهذا السلوك ما يبرره في الفكر الشيعي؛ فـ«الجهاد لا يكون إلا مع المهدي» وفقًا لأدبيات الشيعة الإمامية وغيرهم، وما دام المهدي لم يأت بعد؛ ففرض القتال خارج حدود الدولة مرفوض إلا في حدود ضيقة، وهي تلك الحدود التي يعجز الباحث عن الوقوف عليها ورصدها خلال استعراض التاريخ الإسلامي كله، ما يعني أنها إن كانت قد حدثت فهي الحالة الشاذة التي لا تنفي وإنما تثبت القاعدة.

ويمكن ملاحظة أن الدول الشيعية الكبيرة التي سيطرت على مساحات شاسعة من العالم الإسلامي يومًا افتقرت على الدوام إلى مأثرة التوسع والامتداد خارج الرقعة الإسلامية، و ظلت تأكل الجسد الإسلامي وتدور في فلك الحدود الإسلامية الرحيبة؛ فدولة العبيديين (المعروفة باسم الدولة الفاطمية)[1] (٢٥٩ - ٥٢٤هـ)، التي قامت في المغرب على يد عبيد الله

---

(١) يشتهرون باسم الفاطميين لكن أحدًا من المحققين لم يثبت لهم نسبًا بفاطمة ﵂، يقول السيوطي في مقدمة كتابه تاريخ الخلفاء: «لم أورد أحدًا من الخلفاء العبيديين لأن إمامتهم غير صحيحة لأمور، منها: أنهم غير قرشيين وإنما سمتهم بالفاطميين جهلة العوام، وإلا فجدهم مجوسي. قال القاضي عبد الجبار البصري: اسم جد الخلفاء المصريين سعيد، كان أبوه يهوديًا حدادًا نشابة. وقال القاضي أبو بكر الباقلاني: القداح جد عبيد الله الذي يسمى بالمهدي كان مجوسيًا ودخل عبيد الله المغرب وادعى أنه علوي ولم يعرفه أحد من علماء النسب وسماهم جهلة الناس الفاطميين. وقال ابن خلكان: أكثر أهل العلم لا يصححون نسب المهدي عبيد الله جد خلفاء مصر حتى إن العزيز بالله ابن المعز كتب إلى الأموي صاحب الأندلس كتابًا سبه فيه وهجاه؛ فكتب إليه الأموي: أما بعد.. فإنك قد عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لأجبناك فاشتد ذلك على العزيز فأفحمه عن الجواب يعني أنه دعيّ لا تعرف قبيلته. قال الذهبي: المحققون متفقون على أن عبيد الله المهدى ليس بعلوي، وما أحسن ما قال حفيده المعز صاحب القاهرة وقد سأله ابن طباطبا العلوي عن نسبهم، فجذب نصف سيفه من الغمد وقال: هذا نسبى .. ونثر على الأمراء والحاضرين الذهب وقال: هذا حسبي»!! السيوطي/ تاريخ الخلفاء:١.

المهدي وجاست خلال الديار المسلمة من المغرب حتى الشام، لم تشتبك خلال فترة حكمها إلا مرات نادرة خلال حكم العزيز على يد القائد العبيدي سليمان بن جعفر بن الفلاح، على إثر فقدان مدينة أنطاكية، واللافت أنه حين يقول الكاتب الشيعي علي الشمري عرَضية هذه المعارك بالشام، يسارع للحديث عن أن عدة اتفاقات للصلح والهدنة قد تم الاتفاق عليها بين دولة العبيديين والبيزنطيين أولها في عام ٣٧٧هـ / ٩٨٧م بين الامبراطور بارسيل الثاني وحاكم العبيديين العزيز، وانهارت فأعادها القائد العبيدي «برجوان الذي عول على مهادنتهم ليتسنى له التفرغ للقضاء على الفتن الداخلية في مصر، و بعد مراسلات سلمية بين قادة الدولتين استؤنفت المفاوضات و لما تم الاتفاق على شروط الصلح»!!، و«تم بذلك إبرام معاهدة صداقة بين مصر و الدولة البيزنطية» ثم تلاها في عصر الظاهر اتفاقية تتضمن «أن لا يقوم الفاطميون بأي عمل عدائي نحو حلب، حتى تقوم بسداد الجزية السنوية التي كانت تدفعها للدولة البيزنطية منذ عام ٩٧٠م، وألا تمد الدولة الفاطمية يد المساعدة لأي عدو من أعداء الدولة البيزنطية».

وتجددت الاتفاقية بين الحاكم العبيدي المستنصر بالله والامبراطور ميخائيل الرابع في عام ٤٢٩هـ ، لكنها في مقابل ذلك أرسلت في عصر غزوها لبلاد شمال إفريقيا المسلمة «ثلاث حملات عسكرية إلى الديار المصرية في عهد (الحاكم) المؤسس المهدي، (وكانت) الحملة الأولى في سنة ٣٠١هـ ،

(...وفشلت)، والحملة الثانية سنة ٣٠٧هـ (وفشلت أيضا) والحملة الثالثة ما بين سنة ٣٢١ ـ ٣٢٤هـ ، (واستولى فيها العبيديون على مصر)[1]».

ومن اللافت للنظر أن سقوط بيت المقدس في يد الصليبيين في سنة ٤٩٢هـ كان بسبب كثرة الحروب ضد الممالك الشامية، ووضع الأقصى تحت حامية هزيلة لم يجاوز تعدادها ١٢ ألف جندي، فيما اجتيحت مصر بجيش جوهر الصقلي البالغ ١٠٠ألف رجل، مع الأخذ بالاعتبار أن الدولة الفاطمية استمرت بعد هذه الفجيعة ٣٢ عامًا كاملة تبسط يدها على أراضٍ إسلامية شاسعة.

الأمر عينه، يلحظ في الدولة البويهية التي قامت من عام ٣٢١هـ في فارس و٣٣٤هـ في العراق، وانتهى حكمهم بسيطرة السلاجقة على ممتلكاتهم ودخولهم بغداد سنة ٤٤٧هـ، وعلى طول مكثها في قلب الخلافة العباسية وفي مركز المسلمين الأهم؛ فإنهم «ومنذ دخلوا بغداد لم نجد لهم موقفًا مشرفًا تجاه الروم، ففي عهدهم لم يحدث أن خرج جيش غاز كما كان يحدث فى عهد مَنْ قبلهم، وشَنَّ الروم غارات كثيرة على الثغور والشواطئ ولكن لا مدافع!! ولقد أدت هذه الغارات إلى تخريب المدن والمساجد وقتل الكثيرين من الرجال والنساء والأطفال؛ بينما كانت الدولة البويهية فى سبات عميق»[2].

---

(١) علي الشمري - مجلة النبأ: رجب ١٤٢٠هـ.

(٢) موسوعة التاريخ الإسلامي - خلافة المطيع (٣٣٤ - ٣٦٣هـ).

ولا يختلف التاريخ مع الشيعة في حكمهم الدولة الصفوية؛ فحيث اقتربت القوات البرتغالية من المقدسات الإسلامية في الجزيرة العربية حين أحاطوا بأملاك الخلافة العثمانية في البحر الأحمر والخليج العربي، لم تتحرك الدولة الصفوية التي قَتل أبرز سلاطينها شاه إسماعيل بن حيدر «سلطان العجم (..ملك تبريز وأذربيجان وبغداد وعراق العجم وعراق العرب وخراسان) كل من ظفر به ... قال قطب الدين الحنفي في الأعلام إن قتل زيادة على ألف ألف نفس، قال بحيث لا يعهد في الجاهلية ولا في الإسلام ولا في الأمم السابقة من قبل من قتل النفوس ما قتله شاه إسماعيل وقتل عدة من أعاظم العلماء بحيث لم يبق من أهل العلم أحد فى بلاد العجم وأحرق جميع كتبهم ومصاحفهم»(١)، ومع هذا؛ فإن سكونه تجاه البرتغال والغزوات الصليبية وقيام دولته كخنجر في خاصرة الخلافة العثمانية واضطراره لها أن تترك فتوحات أوروبا لأجل محاربته، أغرى «البوكيرك القائد البرتغالي (بأن) يستغل هذا الموقف ويرسل في عام ٩١٥هـ/ ١٥٠٩م مبعوثه روى جومير ومعه رسالة ذكر فيها: (إني أقدّر لك احترامك للمسيحيين في بلادك، وأعرض عليك الأسطول والجند والأسلحة لاستخدامها ضد قلاع الترك في الهند، وإذا أردت أن تنقض على بلاد العرب أو أن تهاجم مكة فستجدني بجانبك في البحر الأحمر أمام جدة أو في عدن أو في البحرين أو في القطيف أو في البصرة، وسيجدني الشاه بجانبه على امتداد الساحل الفارسي، وسأنفذ له كل ما يريد»(٢).

---

(١) محمد بن علي الشوكاني - البدر الطالع في محاسن ما بعد القرن السابع: ١/ ٢٧١.

(٢) صلاح العقاد - التيارات السياسية في الخليج العربي: ١٧.نقلا عن:علي محمد الصلابي - الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط: ٢٥٩.

٢- اعتبار الهم الأول هو «الثورة» الداخلية ضد الأنظمة الحاكمة الإسلامية: من الخلفاء والسلاطين من أهل السنة، والانقلاب الداخلي على تلك الأنظمة ودولها، حتى لو توافرت لهم حرية التحرك والقيادة، ولو تبوؤوا في ظل حكم السنة أرفع المناصب.

والواقع أن معظم هذه «الثورات» ـ إن لم تكن كلها ـ لم تكن تحمل نمط «النضال الثوري» بل الانقلاب على النظم التي ربما كانوا جزءًا منها أحيانًا، ومن يتأمل يلقَ جملة من الطعنات غير المبررة إلا وفقًا لفكرة التقيّة في المعتقد الشيعي، والتي هي كاسرة لباب الصدق في التعامل بين الحاكم والمحكوم، أو حتى الحاكم ووزيره!!، إذ يمضي تسلسل الأحداث في كل «ثورة» شيعية من خلال ما يبلغ نحو ١٢ قرنًا منطقيًا عبر تكفير الحاكم المسلم ونظام حكمه، ومن ثم جواز الخروج عليه لكفره، ثم التعامل معه بالتقيّة ريثما تسنح الفرصة للانقضاض عليه!! وخلال تلك المدة لا مانع من أن يكون الشيعي وزيرًا للخليفة يأمر بالدعاء له على المنابر!! ثم يعود فيقتله أو يسمح بقتله، أو حينما تصير «الثورة» دولة؛ فلا غرو من أن تعقد الدولة الشيعية اتفاقًا حين ضعفها مع دولة مسلمة سنية ثم تنكثه حالما يكون المسلمون في ميادين الجهاد ضد الغزاة والطامعين أو فاتحين، أو تطلب دعمًا من قائد سني لإنقاذه من ورطته حين يطمع بدولته الضعيفة الصليبيون ثم ينقلب عليه!!

ولكل شواهده:

قامت حركة القرامطة بإحدى الأدوار الاستباقية للشيعة في «تثوير» الوضع الداخلي داخل نظام الخلافة العباسي؛ فقد «أخذت القرامطة تناوئ

الدولة العباسية وتحاول الفتك بها، وخاضت ضدها حروبًا كثيرة، تارة سعت بالخيانة، وتارة أخرى أحاطوا بالخلفاء العباسيين الذين كانوا قد بلغوا من الضعف مبلغًا، حتى لم تكن لهم سلطة فعلية، وتجرأت القرامطة على أشرف البقاع، الحرم المكي، وسرقوا الحجر الأسود من الكعبة، وأخذوه إلى بلادهم، وأضعفوا الخلفاء»[1].

لم يزل التاريخ يحفظ دور ابن العلقمي وزير الخليفة المستعصم في دخول التتر بغداد، إلا أنه من المهم هنا الوقوف على علاقة الخليفة بالوزير، يقول السيوطي: «ركن المستعصم إلى وزيره مؤيد الدين العلقمي الرافضي فأهلك الحرث والنسل ولعب بالخليفة كيفما أراد وباطن التتار وناصحهم وأطمعهم في المجيء إلى العراق وأخذ بغداد وقطع الدولة العباسية ليقيم خليفة من آل علي، وصار إذا جاء خبر منهم كتمه عن الخليفة ويطالع بأخبار الخليفة التتار إلى أن حصل ما حصل»[2]؛ ففيما كان الخليفة مطمئنًا إلى وزيره كان الوزير يتأبط شرًا ويضمره له!!

يضيف السيوطي: «ودخلوا بغداد يوم عاشوراء[3]؛ فأشار الوزير لعنه الله على المستعصم بمصانعتهم وقال: أخرج إليهم أنا في تقرير الصلح فخرج وتوثق بنفسه منهم وورد إلى الخليفة وقال: إن الملك قد رغب في أن يزوج

---

(١) عماد عبد السميع - خيانات الشيعة وأثرها في هزائم الأمة:١/ ٣٢.

(٢) جلال الدين السيوطي - تاريخ الخلفاء: ١٩١.

(٣) لعل هذه قضية أخرى قمينة بالتساؤل والبحث.

ابنته بابنك الأمير أبي بكر ويبقيك في منصب الخلافة كما أبقى صاحب الروم في سلطنته ولا يريد إلا أن تكون الطاعة كما كان أجدادك مع سلاطين السلجوقية وينصرف عنك بجيوشه فليجب مولانا إلى هذا فإن فيه حقن دماء المسلمين ويمكن بعد ذلك أن تفعل ما تريد، والرأي أن تخرج إليه؛ فخرج إليه في جمع من الأعيان فأنزل في خيمة. ثم دخل الوزير فاستدعى الفقهاء والأماثل ليحضروا العقد، فخرجوا من بغداد فضربت أعناقهم وصار كذلك تخرج طائفة بعد طائفة فتضرب أعناقهم حتى قتل جميع من هناك من العلماء والأمراء والحجاب والكبار»[1]. والشاهد هنا ليس في قضية التتر ذاتها (فلها مقامها التالي) وإنما في تلك الآلية التي اتخذها ابن العلقمي في «تخدير» الخليفة، الذي وصفه السيوطي بأنه قد «ركن إليه»، وهو ما يعني جليًا أن الوزير قد كان يحمل فكرة تدمير منظومة الخلافة العباسية بغض النظر عما يجره عليه هذا الإجراء من مغبة فادحة ليس أقلها فقدان منصبه.

يعود نسب الصفويين إلى صفي الدين الأردبيلي، (٦٥٠-٧٣٥هـ) وهو الجد الأكبر للشاه إسماعيل الصفوي مؤسس الدولة الصفوية، وقد كان الطريق مألوفًا للأردبيلي: امتطاء ظهر التصوف والدروشة وتزعم إحدى الفرق الصوفية للادعاء لاحقًا بأنه من نسل النبي ﷺ، والتحول من إبطان التشيع وإظهار السنية (الشافعية تحديدًا هي ما كان يبديه الأردبيلي) إلى إظهار تشيعه، ومحاربة حكام تبريز.

---

(١) جلال الدين السيوطي - تاريخ الخلفاء: ١٩٤.

برغم أن «الشاه عباس الكبير حين تولى حكم فارس في العام ٩٨٥هـ سعى إلى إقامة صلح (مرغمًا) مع العثمانيين، تنازل بمقتضاه عن تلك الأماكن التي أصبحت بيد العثمانيين، كما تعهد بعدم سب الخلفاء الراشدين - أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم - في أرض مملكته وبعث بابن عم له يدعى حيدر ميزرا رهينة إلى استنبول لضمان تنفيذ ما اتفقا عليه» بعد هزائم منيت بها الصفوية في أعقاب وفاة الشاه طهماسب أسفرت عن فتح العثمانيين مدينة تبريز إلا أنه عاد و«انتهز فرصة اضطراب الدولة العثمانية وباشر في (السيطرة على) عراق العجم واحتل تبريز ووان وغيرهما واستطاع أن يحتل بغداد والأماكن المقدسة الشيعية في النجف وكربلاء والكوفة، وقد زارها وسط مظاهر الإجلال والتقديس»[1].

٣- إعانة أعداء الخارج على المسلمين السنة، وتعطيل الفتوحات الإسلامية أو النجدات، والدخول في صراعات مع الدول الإسلامية السنية:

تنطلق الرغبة في إعانة أعداء الإسلام لدى الشيعة على المسلمين من واقع التكفير السابق ذكره، حيث تنص تعاليم الشيعة على كفر من تسميهم الشيعة بالنواصب، وهم أهل السنة، وما دام الجهاد معطلاً عند الشيعة حتى يظهر الإمام الغائب أو المهدي؛ فإن قتال «المرتدين النواصب» هو الأولى من قتال «الكفار الأصليين»!! وبالتالي؛ فإنه استعراض التاريخ لا يزيد في تلك الحقيقة إلا بصيرة.

---

(١) علي محمد الصلابي - الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط: ٣٩١- ٣٩٣.

فلدى المسلمين جميعًا أن تقديم العون للحملات الصليبية والتخندق مع الصليبيين ضد صلاح الدين الأيوبي هو درب من دروب الخيانة، لكن ذلك محل نظر عند الشيعة العبيدية.

ويذكر المقريزي في الخطط والآثار أنه لما ثقلت وطأة صلاح الدين على أهل القصر الفاطمي ... حنق عليه رجال القصر ودبروا له المكائد، وقد اتفق رأيهم على مكاتبة الفرنجة ودعوتهم إلى مصر فإذا ما خرج صلاح الدين إلى لقائهم قبضوا على من بقي من أصحابه بالقاهرة، وانضموا إلى الفرنجة في محاربتهم والقضاء عليه «وفعلاً جاء الفرنجة إلى مصر وحاصروا دمياط في سنة ٥٦٥هـ ، وضيقوا على أهلها وقتلوا أمما كثيرة، جاءوا إليها من البر والبحر رجاء أن يملكوا الديار المصرية»[1]، وحاولوا قتل صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٧٠هـ داخل معسكر جيشه، ومرة أخرى سنة ٥٧١هـ وهو محاصر لحلب.

و«لما ضعفت دولتهم (العبيديين) في أيام العاضد وصارت الأمور إلى الوزراء، وتنافس شاور وضرغام، فكر شاور في أن يثبت ملكه ويقوي نفوذه، فاستعان بنور الدين محمود؛ فأعانه ولما خلا له الجو لم يف له بما وعد، بل أرسل إلى أملريك ملك الفرنجة في بيت المقدس يستمده، ويخوفه من نور الدين محمود إن ملك الديار المصرية، فسارع إلى إجابة طلبه، وأرسل له حملة أرغمت نور الدين على العودة بجيشه إلى الشام، ولكن سرعان ما عاود نور

(١) أحمد بن علي المقريزي- الخطط والآثار: ٢/ ٢. نقلا عن:عماد عبد السميع- خيانات الشيعة وأثرها في هزائم الأمة: ١/ ٢٣.

الدين المحاولة في عام ٥٦٢هـ ، فاستنجد شاور بالفرنجة مرة ثانية وكاتبهم، وجاءت جيوشهم خشية أن يستولي نور الدين على مصر ويضمها إلى بلاد الشام فيهدد مركزهم في بيت المقدس. ولما وصلت عساكر الفرنجة إلى مصر انضمت جيوش شاور والمصريين إليها والتقت بجيوش نور الدين بمكان يعرف بالبابين (قرب المنيا) فكان النصر حليف عسكر نور الدين محمود، ثم سار بعدها إلى الإسكندرية، وكانت الجيوش الصليبية تحاصرها من البحر وجيوش شاور وفرنجة بيت المقدس من البر، ولم يكن لدى صلاح الدين - القائد من قبل نور الدين - من الجند ما يمكنه من رفع الحصار عنها، فاستنجد بأسد الدين شيركوه فسارع إلى نجدته، ولم يلبث الفرنجة وشيعة شاور حتى طلبوا الصلح من صلاح الدين فأجابهم إليه شريطة ألا يقيم الفرنجة في البلاد المصرية.غير أن الفرنجة لم تغادر مصر عملاً بهذا الصلح بل عقدت مع شاور معاهدة كان من أهم شروطها كما يقول ابن واصل:

«أن يكون لهم بالقاهرة شحنة صليبية - أي حامية - وتكون أبوابها بيد فرسانهم ليمتنع نور الدين محمود عن إنفاذ عسكره إليهم. وكما اتفق الطرفان على أن يكون للصليبيين مائة ألف دينار سنويًا من دخل مصر»[1]، يقول محمود شاكر: «لقد دعم العبيديون الصليبيين في أول الأمر، ووجدوا فيهم حلفاء طبيعيين ضد السلاجقة خصومهم، وقد ذكرنا أنهم اتفقوا معهم على

---

(١) ابن واصل - مفرج الكروب في أخبار بني أيوب: ١٥٢.نقلا عماد عبد السميع- المصدر السابق: ٢٥.

أن يحكم الصليبيون شمالي بلاد الشام ويحكم العبيديون جنوبيها، وقد دخلوا بيت المقدس، غير أن الصليبيين عندما أحسوا بشيء من النصر تابعوا تقدمهم واصطدموا بالعبيديين وبدأت الخلافات بينهم، فالعبيديون قد قاتلوا الصليبيين دفاعًا عن مناطقهم وخوفًا على أنفسهم ولم يقاتلوا دفاعًا عن الإسلام وحماية لأبنائه، ولو استمر الصليبيون في اتفاقهم مع العبيديين لكان من الممكن أن يتقاسموا وإياهم ديار الإسلام»[١].

وإذ تظل حادثة ضياع الأندلس فاجعة للمسلمين جميعًا، لم تكن لتصرف أذهان الصفويين عن حربهم مع العثمانيين رجاء اتقاء المجازر التي نفذت بحق المسلمين في الأندلس، ما عرف حينها باسم محاكم التفتيش، وحيث كانت الخلافة العثمانية بعد قوية وقادرة على الزحف تجاه الأندلس، «لم تتحقق رغبة السلطان العثماني في التحالف مع السعديين لاسترداد الأندلس وذلك بسبب انشغال الدولة بحروبها المضنية ضد الشيعة الصفوية في إيران، والهابسبرج في وسط أوروبا، بالإضافة إلى واجبها نحو حماية مقدسات الأمة الإسلامية في الحجاز، وتدعيم حزامه الأمني»[٢].

وحين يذكر المسلمون عهود «الاستعمار» المتأخرة، ونهبها لثروات المسلمين ومسعاها لتغريبهم، فإن عبئًا كبيرًا قد أزيح عن كاهل الأوروبيين ومكنهم من الكر بعد الفر بسبب وقوف الدولة الصفوية كحجر عثرة، بل سدًا

---

(١) محمود شاكر - التاريخ الإسلام: ٦/ ٢٥٢ - ٢٥٧.

(٢) علي محمد الصلابي - الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط: ٣٥٩.

منيعًا يحول دون مزيد من الفتوحات العثمانية داخل أوروبا، «والواقع أن السلطان سليم الأول قد أحدث تغييرًا جذريًا في سياسة الدولة العثمانية الجهادية فقد توقف في عهده الزحف العثماني نحو الغرب الأوربي أو كاد أن يتوقف واتجهت الدولة العثمانية اتجاهًا شرقيًا نحو المشرق الإسلامي وقد ذكر بعض المؤرخين الأسباب التي أدت إلى تغير السياسة العثمانية منها: سياسة الدولة الصفوية في إيران والمتعلقة بمحاولة بسط المذهب الشيعي في العراق وآسيا الصغرى، هي التي دفعت الدولة العثمانية إلى الخروج إلى المشرق العربي لحماية آسيا الصغرى بصفة خاصة والعالم السني بصفة عامة»(١)، وقد بدأت طلائع الغزو الأولى حينما أفاد البرتغاليون من صراع الصفويين مع الدولة العثمانية وحاولوا أن يفرضوا على البحار الشرقية حصارًا عامًا، وثبتوا مواضع أقدامهم في الخليج العربي لأول مرة منذ فتح الإسلام، على بعد رميات أحجار من الدولة الصفوية التي كانت تقتل مئات الآلاف من السنة حينها.

اللافت أن البابا قد أرسل فورًا في أعقاب هزيمة للعثمانيين على أيدي الأوربيين في عام ٩٧٩هـ إلى الشاه طهماسب ملك العجم ناصحًا: «.. لن تجد أبدًا فرصة أحسن من هذه لأجل الهجوم على العثمانيين، إذ هم عرضة للهجوم من جميع الجهات..»(٢).

---

(١) د. محمد نصر:الإسلام في آسيا منذ الغزو المغولي: ٢٤٠.نقلا عن:علي محمد الصلابي- الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط: ٢٣٥.

(٢) الصلابي: ٣٨٥. نقلاً عن أصول التاريخ العثماني: ١٤٧، وتاريخ الدولة العثمانية: ١٢٦.

ولقد كان هذا التفهم من البابا في هذا الزمان لهذا الصراع الداخلي داخل حدود العالم الإسلامي، إلى حد كبير، كان سابقوه يعجزون عن قراءته أو فك رموزه، ففي «سنة ٥٠٧هـ جاء مودود صاحب الموصل بعسكر ليقاتل ملك الفرنج الذي بالقدس فوقع بينهم معركة هائلة ثم رجع مودود إلى دمشق (بعد أن أصاب من الصليبيين مقتلة عظيمة كما يقول ابن كثير) فصلى الجمعة يومًا في الجامع وإذا بباطني وثب عليه فجرحه فمات من يومه فكتب ملك الفرنج إلى صاحب دمشق كتابًا فيه: إن أمة قتلت عميدها في يوم عيد في بيت معبودها لحقيق على الله أن يبيدها»[1]!!

٤- مناصبة الشعوب السنية العداء وعدم قصره على الأنظمة:

وهذا أيضًا، مرده إلى قضية التكفير التي لا يمكن تفسير فظائع وجرائم القرامطة والعبيديين والصفويين وخيانات ابن العلقمي ونصير الدين الطوسي وغيرهم إلا من خلالها.

والحق أنه لو كانت القضية التي تستهلك الشيعة عبر القرون هي اغتصاب الخلفاء لحقوق آل البيت فحسب، لأضحت الشعوب «المقهورة والمغلوبة على أمرها» خارج سياق الانتقام، وإذا كان الأمر كذلك؛ فإن مجرد الوصول للحكم واستتباب الأمور للأنظمة الشيعية كفيل بحقن الدماء وهو ما لم يقر به التاريخ أبدًا..

---

(١) السيوطي - تاريخ الخلفاء: ١٧٧.

يقول السيوطي: «قال القاضي أبو بكر الباقلاني: كان المهدي عبيد الله باطنيًا خبيثًا حريصًا على إزالة ملة الإسلام أعدم العلماء والفقهاء ليتمكن من إغواء الخلق وجاء أولاده على أسلوبه: أباحوا الخمر والفروج وأشاعوا الرفض، وقال الذهبي: كان القائم بن المهدي شرًا من أبيه زنديقًا ملعونًا أظهر سب الأنبياء وقال: وكان العبيديون على ملة الإسلام شرًا من التتر»[1].

وثمة نموذج يستحق الوقوف إزاءه كثيرًا وهو نموذج الحج لدى القرامطة والصفويين وغيرهم، إذ إن ما يحكيه التاريخ من فظائع وأهوال التعرض للحجاج تعجز الدراسات عن تفسيره داخل الأطر السياسية، وإنما يشي بحقد وغل شديدين لا يجنيان مكاسب سياسية، ففي سنة ٣١٧هـ تحركت القرامطة فجاست خلال الديار، تقتل وتبطش في كل مكان طالته أيديها، «ثم استفحل أمرهم وتفاقم الحال بهم، حتى آل بهم الحال إلى أن دخلوا المسجد الحرام فسفكوا دم الحجيج في وسط المسجد حول الكعبة وكسروا الحجر الأسود واقتلعوه من موضعه، وذهبوا به إلى بلادهم في سنة سبع عشرة وثلاثمائة، ثم لم يزل عندهم إلى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة، فمكث غائبا عن موضعه من البيت ثنتين وعشرين سنة فإنا لله وإنا إليه راجعون»[2]، وقد أمعنوا القتل في الحجيج، فقتلوا نحو ٢٠ ألفًا من قوافل ثلاث، «وكان نساء القرامطة يطفن بين القتلى يعرضن عليهم الماء، فمن

(١) السيوطي - تاريخ الخلفاء: المقدمة.

(٢)أبوالفداء إسماعيل ابن كثير - البداية والنهاية: ١١/ ٧٢.

كلمهن قتلنه، فقيل إن عدد القتلى بلغ في هذه الحادثة عشرين ألفا، وهم في كل ذلك يغورون الآبار، ويفسدون ماءها بالجيف والتراب والحجارة، وبلغ مما نهبوه من الحجيج ألفي ألفي دينار»[1].

وما يثير العجب في مشهد شيعي آخر أن «حاكم خوارزم (قد اشتكى) للسلطان سليم الثاني، من أن شاه فارس يقبض على الحجاج الوافدين من تركستان، بمجرد عبورهم حدوده، وأن موسكو بعد استيلائها على أستراخان منعت مرور الحجاج والتجارة، ووضعت العقبات والعراقيل أمامهم، لهذا طلب حاكم خوارزم، وحكام بخارى وسمرقند من السلطان سليم الثاني أن يفتح أستراخان بهدف إعادة فتح طريق الحج»[2]؛ فالمثير للدهشة أن موسكو تكتفي بمنع الحجاج، فيما يلقي الشاة القبض عليهم!!

وإذا كان القبض على الحجاج جريمة، وقتلهم جريمة كبرى، وسرقة الحجر الأسود آبدة من الأوابد لم يجرؤ على فعلها حتى عتاة الصليبيين في حملاتهم وحروبهم؛ فإن الأمر لم يتوقف بالشيعة الإسماعيلية عند الحد الذي فعله الصفويون ـ مثلاً ـ، «ذلك أن بعض الجغرافيين والمؤرخين القدامى أشاروا إلى جريمة لم تولها كتب التاريخ الاهتمام اللازم، وهي عزم الحاكم بأمر الله (العبيدي) في سنة ٣٩٠هـ (على) نقل الحج إلى مصر!، وأول من أشار إلى هذه الجريمة الجغرافي أبو عبيد البكري الأندلسي، المتوفى سنة ٤٨٧هـ في

---

(١) عز الدين بن الأثير - الكامل في التاريخ: ٦/ ٤٣٢.

(٢) علي محمد الصلابي - الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط: ٣٦٦.

كتاب المسالك والممالك ـ جغرافية مصر، فقد شيّد الحاكم بأمر الله ثلاثة مشاهد في المنطقة الواقعة بين الفسطاط والقاهرة، لينقل إليها رفات النبي ﷺ، وصاحبيه أبي بكر وعمر، من المدينة المنورة، وكان الهدف من هذه الجريمة تحويل أنظار المسلمين إلى القاهرة عاصمة العبيديين، (كفعل أبرهة) وجعلها في درجة قداسة مكة والمدينة»[1].

وقد تقدمت المجازر التي ارتكبها إسماعيل الصفوي بحق مليون مسلم، وفتح نصير الدين الطوسي ومؤيد الدين ابن العلقمي الطريق مشرعًا أمام مجزرة تترية مكافئة، فيما لم تقل جرائم العبيديين فظاعة عن رفقائهم، «قال القاضي أبو بكر الباقلاني: كان المهدي عبيد الله باطنيًا خبيثًا حريصًا على إزالة ملة الإسلام أعدم العلماء والفقهاء ليتمكن من إغواء الخلق وجاء أولاده على أسلوبه: أباحوا الخمر والفروج وأشاعوا الرفض.

وقال الذهبي: كان القائم بن المهدي شرًا من أبيه زنديقًا ملعونًا أظهر سب الأنبياء وقال: وكان العبيديون على ملة الإسلام شرًا من التتر. وقال أبو الحسن القابسي: إن الذين قتلهم عبيد الله وبنوه من العلماء والعباد أربعة آلاف رجل ليردوهم عن الترضي عن الصحابة فاختاروا الموت فيا حبذا لو كان رافضيًا فقط ولكنه زنديق»[2].

* * *

(١) الدولة الفاطمية في مصر: ١٧٧، وتاريخ الفاطميين: ٢٨٠ –٢٨١، نقلا عن سطور من الذاكرة – مجلة الراصد: ديسمبر ٢٠٠٧.

(٢) السيوطي – تاريخ الخلفاء: مقدمة الكتاب.


رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

النظام السياسي الإيراني

يتكون النظام السياسي الإيراني من تركيبة تبدو في ظاهرها قريبة من النظام الليبرالي، لكنها تستبطن نمطًا من الحكم الفردي، فهي جامعة ما بين ثيوقراطية الروح وديمقراطية التطبيق، بحيث لا يمكن نسبتها بشكل حاسم لأي منهما.

ويمكن النظر إلى النظام السياسي الإيراني كمقاربة مؤسسية للأنظمة الغربية في الحكم، تحكمها عقلية صفوية تستمد شرعيتها وترسم استراتيجيتها من خلال فرد واحد تسمو قراراته فوق كل أنظمة الرقابة على السلطة التنفيذية في أي من نظم الحكم المتعارف عليها.

فالنظام السياسي الإيراني ذو أبعاد مؤسسية متنوعة تحاول أن توجد صيغة تضمن قدرًا من التوازن بين أركان الحكم المختلفة، لكنها مع ذلك تعجز عن تحقيق هذه الضمانة بشكل مناسب، نظرًا لانجذابها الشديد نحو نظرية «ولاية الفقيه» التي تخذل كثيرًا قدرة النظام على الاستقلال عن الرغبات الفردية للمرشد العام للثورة، ويتكون النظام السياسي في إيران من المؤسسات التالية:

أولا: المرشد الأعلى:

يتمتع «المرشد الأعلى للثورة الإسلامية» في إيران بصلاحيات واسعة لا تتمتع بها سائر المؤسسات في البلاد، وتنص المادة (٥) من الدستور الإيراني على أن ولاية الأمة في ظل استتار الإمام (أي الإمام الغائب وفقًا لعقيدة الشيعة) تؤول إلى أعدل وأعلم وأتقى رجل في الأمة، ليدير شؤون البلاد، وهي المادة التي وضعها علي الموسوي الخميني بنفسه لتحدد دور المرشد الأعلى للثورة الإيرانية وتضعه على قمة هرم النظام السياسي الإيراني، وتمنحه فيما بعد صلاحيات واسعة، حيث تنص مواده على أن المرشد هو أعلى سلطة في إيران، وقد منحه الدستور السيادة السياسية والدينية، من إصدار الفتاوى الكبرى، إلى إدارة شؤون الحروب.

ويتمتع المرشد الأعلى بسلطات واسعة في مجالات الدفاع والأمن والسياسة الخارجية، كما يرجع الوزراء إليه في كثير من قراراتهم، كما ينصب رئيس الهيئة القضائية ويعين مجلس صيانة الدستور الذي نعرض لسلطاته لاحقًا، بالإضافة إلى تعيين قادة الجيش والحرس ورئيس الإذاعة والتليفزيون، وله حق اعتماد نتائج انتخابات الرئاسة أو عدم اعتمادها.

وله القرار النهائي في إقرار الاستراتيجيات والسياسات العامة للجمهورية، وليس لغيره حق إعلان الحرب والسلم، ويمكنه إقالة رئيس الجمهورية وتحديد موعد الانتخابات وفض المنازعات بين أجهزة القوات المسلحة، والعديد من الصلاحيات الفرعية الأخرى.

ثانيا: مجلس الخبراء:

هو مجلس من الفقهاء الشيعة يناط بهم مهمة تنصيب المرشد الأعلى ويمكنهم عزله إذا ما أخل بالأهلية اللازمة لتبوء المنصب، ويتكون المجلس من ٨٦ فقيهًا شيعيًا يدينون بالولاء عادة لمرشد الثورة ويتهمهم خصومهم بأنهم تابعون للمرشد وليسوا قيمين على حكمه.

وينتخب المجلس كل ثماني سنوات، وقد بدأ عمل المجلس فعليًا منذ وفاة المرشد الأول للثورة الإيرانية في العام ١٩٨٩م حيث حُق للمجلس انتخاب مرشد جديد للثورة بعد الخميني، الذي اعتمد في شرعيته للحكم على انتخاب مباشر من الشعب الإيراني في العام ١٩٧٩م ، كما يحق للمجلس عزل أعضاء المجلس الأعلى للأمن القومي الذي يترأسه رئيس الجمهورية.

وبرغم الأهمية الكبيرة لعمل مجلس الخبراء، كونه يعد الذي يقرر مدى صلاحية المرشد للقيام بواجبه، إلا أنه من الناحية العملية مجلس موسمي الفاعلية لا ينسحب دوره على السياسات العامة للدولة والرقابة الحقيقية على عمل المرشد أو المؤسسات «التشريعية» والتنفيذية المختلفة، كما أن عدده الكبير قياسًا إلى مجلس صيانة الدستور يفقد أفراده القدرة التأثيرية في قرار بوزن عزل المرشد في حال خالف أحدًا من شروط الأهلية لشغل منصبه.

ثالثًا: مجلس صيانة الدستور:

هو مجلس سيادي على عمل البرلمان الإيراني، تتنوع صلاحيته بدءًا من اختيار المرشحين للبرلمان؛ حيث يتمتع المجلس بصلاحية منع المرشحين محل اعتراض المجلس من الترشح للانتخابات البرلمانية، وانتهاء بالبت في مدى

توافق أي قانون يصدره البرلمان مع الدستور الذي يستند للمذهب الاثني عشري كمصدر وحيد للتشريع.

كما أن من اللافت أن للمجلس الحق على الاعتراض على المرشحين لرئاسة مجلس الخبراء الذي يمكنه عزل المرشد، علمًا بأن مجلس صيانة الدستور نفسه يتحكم المرشد في تشكيلته بشكل مباشر وغير مباشر؛ إذ يتشكل المجلس من ١٢ عضوًا، يعين المرشد نصفهم، والنصف الآخر يرشحهم القضاء الذي يعين المرشد رئيسه ـ كما تقدم ـ ويوافق عليهم البرلمان.

ولمجلس صيانة الدستور الحق ـ أيضًا ـ في الاعتراض على المرشحين في الانتخابات البرلمانية والمجالس المحلية، والمرشحين لرئاسة الجمهورية.

رابعًا: مجلس تشخيص مصلحة النظام:

هو مجلس استشاري يناط به وضع الاستراتيجيات طويلة المدى الزمني، ويمارس دورًا استشاريًا للرئيس؛ في نفس الوقت الذي يتمتع فيه بصلاحية الفض بين المنازعات التقنينية التي قد تنشأ بين البرلمان ومجلس صيانة الدستور، وهو دور يزيد عن مجرد كونه مجلسًا استشاريًا للرئيس.

خامسًا: البرلمان (مجلس الشورى الإسلامي):

يبلغ عدد نواب مجلس الشورى الإسلامي ٢٩٣ عضوًا، وينتخبون بالانتخاب الشعبي المباشر الذي يجري مرة كل أربع سنوات، وينص الدستور على أن أعضاء المجلس هم من المسلمين عميقي الإيمان بالإسلام، ويسمح البرلمان الإيراني للأقليات بالتمثيل فيه، لكن وفقًا لمعايير أخرى تختلف عن تلك المتبعة مع الفرقة الاثني عشرية الحاكمة، لاسيما مع السنة ذوي التمثيل النيابي المنخفض

للغاية والموجه مع هذا فلهم فقط ١٢ ممثلاً، ولطوائف وديانات الزرادشتية، واليهودية، والنصرانية الأشورية ممثل واحد في البرلمان وللأرمن اثنان.

وللمجلس القيام بدوره الرقابي المتعارف عليه في معظم الدساتير الوضعية، وتزيد صلاحيته عن ذلك بإمكانية إقراره أو تثبيته تعديلاً طفيفًا للحدود وفقًا للمصلحة العامة.

وتنقص من صلاحية البرلمان وجود ثلاث سلطات تعلو قرارات وقوانين المجلس النيابي، وهي سلطة المرشد التي بوسعها تعديل قوانين البلاد، وفقًا لفتاوى النوازل وغيرها بما هو متاح له من اجتهاد ديني وسلطة سياسية تفوق عمل المجلس، وسلطة مجلس صيانة الدستور الذي يقر أو يعترض على قرارات المجلس، وأخيرًا مجلس تشخيص مصلحة النظام الذي يفصل في منازعات البرلمان مع مجلس صيانة الدستور.

سادسًا : المجلس الأعلى للأمن القومي :

يتكون من ممثلين لكافة الوزارات والهيئات المعنية بالأمن القومي، ويرأسه رئيس الجمهورية، ويساهم في وضع سياسة الدولة الأمنية والدفاعية في ضوء السياسات العامة الصادرة عن المرشد، ويوجه كل الإمكانات لمواجهة الأخطار المحدقة بالجمهورية، ويقوم بدور المنسق بين الجهات المعنية لتوفير ضمانات أمنية وعسكرية دفاعية عن البلاد.

وقد تأسس المجلس بعد نهاية الحرب مع العراق، في العام ١٩٨٩، وترفع توصيات وقرارات المجلس إلى مرشد الثورة وحده ليقرها، ويرأس المجلس رئيس الجمهورية.

سابعًا: الرئيس:

رئيس الجمهورية في إيران هو أعلى سلطة في البلاد بعد القيادة وأرفع منصب في السلطة التنفيذية، ويرأس مجلس الأمن القومي، ووظيفته هي ضمان تطبيق الدستور، وينتخب الرئيس من الشعب لمدة رئاسية مقدارها أربع سنوات، ويحق له تولي الرئاسة مرة أخرى واحدة فقط.

وكسائر المناصب السيادية في البلاد يشترط على الرئيس أن يكون متدينًا وفقًا لعقيدة الاثني عشرية لا سواها.

ويعين الرئيس مجلس الوزراء، ويعرض أسماءه على مجلس الشورى لإقرارها، ويناط به تنفيذ خطط التنمية والتصديق على المعاهدات بعد إقراراه من مجلس الشورى.

ويحق لمجلس الشورى مساءلته أو حجب الثقة عنه بعد موافقة ثلثي أعضاء مجلس الشورى.

ثامنًا: مجلس الوزراء:

يختارهم رئيس الجمهورية، ويطرح أسماءهم للثقة في مجلس الشورى، وفي حال إقرارهم يتم تعيينهم في مجلس الوزراء، ويرأس المجلس الوزاري رئيس الجمهورية أو نائبه، وليس في إيران رئيس حكومة، وإنما يقوم رئيس الجمهورية - أو نائبه - مقام رئيس الحكومة، ويقوم الوزراء بمهامهم الإدارية المعروفة. ويبلغ عدد الوزارات في إيران حاليًا ٢٢ وزارة.

تاسعًا: القوات المسلحة (الجيش وقوات حرس الثورة الإسلامية):

تشكل حرس الثورة من قبل المرشد الأعلى للثورة الإيرانية (الخميني) ليضمن حماية «مكتسبات الثورة» وأنيط به على الدوام المساهمة في «تصدير الثورة» وهو الجهد الذي يبرز خارج البلاد وبعيدًا عن الحدود الإيرانية (كما في الحالة اللبنانية)، وقد تشكل الحرس الثوري بالأساس لضمان ولاء تشكيلاته العسكرية للثورة، ولم يكن الجيش موضع ثقة الثوار بادئ الأمر، وقد تم تطوير الحرس من فرق طلابية وميليشيات إلى جهاز يتمتع بجهوزية عالية وتسليح متطور، وقد تناول الدستور الإيراني الجيش وقوات حرس الثورة الإسلامية في تسع مواد (١٤٣-١٥١)، ووفق الدستور يعتبر الجيش المسؤول عن حماية استقلال ووحدة الأراضي الإيرانية، والدفاع عن النظام الإسلامي للدولة، كما نص الدستور على إسلامية الجيش في تصوراته وأن يعتمد في أفراده على المسلمين المؤمنين بمبادئ الثورة الإسلامية.

كما يضمن الدستور عدم حدوث تداخل بين عملي الحرس الثوري والجيش عبر تكليف الحكومة باتخاذ الإجراءات اللازمة لعدم حدوث ذلك.

ولكن السيادة على القوات المسلحة بشقيها تكون من خلال المرشد الأعلى مباشرة؛ فكل قيادات الجيش والحرس الثوري يعينون من قبل المرشد الأعلى ولا يحاسبون إلا من قبله، ولضمان عدم التداخل أيضًا تقود القوات النظامية (الجيش) والحرس الثوري قيادة مشتركة.

وتخضع الميليشيات خارج البلاد أو داخلها التابعة لقوى المعارضة المختلفة للحرس الثوري (كقوات فيلق بدر العراقية - الإيرانية، وتدريبات

الجناح العسكري لـ«حزب الله» اللبناني وغيرهما)، ولا يعد ذلك خرقًا للدستور والمادة ١٤٥ تحديدًا منه والتي تمنع التحاق الأجانب بالحرس الثوري، لأن الأخير يقوم بدور تدريبي وتوجيهي ويقدم الدعم اللوجيستي والعسكري لحلفاء الثورة فقط.

عاشرًا: القضاء:

القضاء من واقع الدستور الإيراني الحالي مستقل، لكنه خاضع لتعيين ومتابعة المرشد الأعلى للثورة؛ فالمرشد يعين فقيهًا شيعيًا مجتهدًا ووفق قواعد صارمة تتسم بالقدرة على الاجتهاد ضمن المنظومة الدينية الشيعية الحاكمة ومؤسساتها الدينية المعروفة، رئيسًا للهيئة القضائية وذلك لمدة ٥ سنوات يلتزم خلالها بتطبيق «العدالة في المجتمع الإيراني»، وتتنوع المحاكم في إيران تبعًا للاختصاصات المختلفة فهناك المدني والجنائي وأمن الدولة ومحاكم «علماء الدين» والتي تختص بالنظر في القضايا المرفوعة على فقهاء الشيعة والتي يدعى عليها من النظام عادة، كما يرجع لرئيس القضاء السابق محمد يازدي إيجاد نوع جديد من القضاء هو المحاكم العامة، التي يكون القاضي فيها هو الخصم والحكم.

* * *



سمات النظام السياسي الإيراني

كأي دولة، لا يمكننا فصل إيران عن تاريخها ودياناتها وقوميتها وإرثها المعرفي، على أن إيران لها مزايا متعددة قد لا تشاطرها إياها إلا قلة من الدول والأنظمة، من أبرزها طول زمان استقرارها والتفافها حول «النار المقدسة» التي لم تنطفئ لنحو ٢٥٠٠ عامًا هي عمر الامبراطورية الساسانية، وتكرار فترات المد والجزر في تاريخها الامبراطوري.

لاشك أن إيران بلاد تمتعت بمفهوم الدولة منذ أمد بعيد، وربما طاب لبعض المؤرخين اعتبارها دولة «حضارية» بما يعنيه التعريف العمراني للحضارة[١]، وهي عميقة الجذور فيما يخص سياسة الدول أكانت داخل حدود إيران أو خارجها، ولا ريب أن التجربة الحضارية - بهذا المعنى - الإيرانية ثرية، ولا يمكن اختزالها أو طيها طمعًا في تذويب البناء المعرفي والثقافي لها، وإنما الدراسة التي تفيء إلى ظلال الحقيقة لابد وأن تعترف لإيران بقدم تجربتها وإرثها التراكمي الذي يمتد أثره عبر عشرات القرون.

ولا يمكن بسهولة بتر إيران الحالية عن ماضيها بما حفره من أثر في تعاطيها مع ملفات الحاضر والمستقبل، وإن كان من الموضوعية النظر مليًا إلى

---

(١) وهو تعريف ابن خلدون لها، ولو ظل تعريف الحضارة هو محل جدل ليس هذا مجاله، وإنما نقصد به قصرًا هنا المعنى المدني والعمراني والتقني للحضارة.

الجانب التأثيري السياسي على بناها العقدية والسلوكية، والذي رسم ملامح وحدت أحيانًا بين عقائد لا تبدو متوافقة أبدًا أو على الأقل خلطت بين أفكارها، في مزاوجة فريدة تحاول أن تجمع الزرادشتية مع الإمامية، والمجوسية مع التشيع، والطقوس المسيحية مع مثيلتها الصفوية، و«الهولوكستية» الصهيونية والمسكنة اليهودية مع المظلومية الاجتماعية الشيعية، والجدلية الكلامية الفارسية مع التقيّة الدينية والسياسية، والمجوسية مع الإسلام.. إلخ، في بوتقات تخرج منتجًا لا يمكن وضعه إلا في الخانة الصفوية المركبة التي هي عنوان الدولة في إيران وشارتها البارزة.

وخشية أن تتناوش تلك المتقدمات الصورة الحقيقية للنظام السياسي الإيراني، نضع تحديدًا لمعالم هذا البناء الإيراني في مقاربة توصيفية له قد تسهم في رؤية أقرب لطبيعة النظام في فضاءات السياسة والتاريخ والدين، من خلال جملة من السمات التالية:

أولاً: المزج بين الفارسية والتشيع:

لا يكاد الدارس للدولة الإيرانية المعاصرة يجد صعوبة تذكر في التوكيد على كون هذه الدولة امتدادًا طبيعيًا للدولة الصفوية البائدة، والتي عملت بكل ما أوتيت من قوة على محو العربية والعروبة من الذاكرة الدينية لبلاد خراسان، وإحلال الفارسية مكان اللغة العربية، وتنشيط الجذور الفارسية في الذاكرة الوطنية الإيرانية التي تتخذ من التشيع غلافًا قشريًا يخفي التقدير الكبير للفارسية لدى حكام إيران، وعندما نشرت مجلة ناشيونال جيوجرافيك أواخر العام ٢٠٠٤ خارطة للخليج العربي، استشاط الساسة الإيرانيون

غضبًا، منددين بالمجلة لإحلالها كلمة «العربي» مكان «الفارسي». وإذ أثار هذا الإصرار على فارسية الخليج الذي لم تعبر عنه تلك الغضبة وحدها، الاستهجان من قبل مفكرين ومثقفين مسلمين؛ فإنه لم يكن أبدًا جديدًا على الفكر السياسي الإيراني الذي يجل فارسية الدولة قبل «إسلاميتها»، وبالتالي؛ فإن محاولة التوفيق بين المسميين «العربي» و«الفارسي» للخليج أو الخروج من ذلك الخلاف بتسمية الخليج بـ«الإسلامي» لم تلقَ حماسة تذكر داخل إيران الخميني والخامنئي.

ويورد الكاتب العراقي صلاح مختار رواية تعبر عن فارسية الثورة الإيرانية بجلاء، تقول الرواية المنقولة عن الكاتب المخضرم محمد حسنين هيكل: «إنه قابل خميني في باريس قبل أنْ يذهب إلى إيران لاستلام السلطة، فقال له خميني بأن أول قرار سيتخذه هو اعتماد اللغة العربية رسميا، وفسر هيكل هذا الموقف على أنه نابع من إيجابية خميني تجاه العرب! ... ونسي (وعلى الأرجح تناسى) أنه ذكر قصة أخرى مناقضة لقصته هذه عن خميني، في مقال نشره بعد وصول خميني إلى إيران واستلامه الحكم ... يقول السيد هيكل إنه ذهب لإجراء مقابله صحفية مع خميني في طهران ولمعرفته بأنه يتقن اللغة العربية وجه إليه أسئلته باللغة العربية، لكن المفاجأة- يقول هيكل- كانت في أنْ خميني أجاب بالفارسية وقام مترجم بترجمة ما قال إلى اللغة العربية! واستنادًا إلى ذلك يقول هيكل أنه استنتج بعد خروجه من لقاء خميني بأنه قومي فارسي وليس إسلاميا... المفاجأة التي حصلت مع هيكل تكررت مع إيريك رولو، وهو سفير فرنسي سابق وكاتب معروف، يتقن العربية،

وكانت له صلة بصادق قطب زاده، والذي كان اقرب معاوني خميني وعين بعد إسقاط الشاه وزيرا للخارجية، حيث أجاب خميني بالفارسية مع أن رولو وجه له الأسئلة بالعربية! ومرة أخرى يستنتج رولو بأن خميني قومي فارسي متعصب للغة الفارسية!»[1].

الأمر ذاته كانت عليه الصفوية التي حاولت جاهدة إحياء القومية الفارسية وبعض الطقوس والأعياد المجوسية، يقول المفكر الشيعي الثائر د.علي شريعتي: «كان على الحركة الصفوية ورجال الدين المرتبطين بها أن يعملوا كل ما من شأنه التوفيق بين القومية الإيرانية والدين الإسلامي، ولتبدو الوطنية والقومية الإيرانية بوشاح ديني أخضر، وفي هذا الصدد أعلن بين عشيّة وضحاها أن الصفويين - أحفاد الشيخ صفيّ الدين- هم (سادة) من حيث النسب أي من أحفاد للنبي محمد! وتحول المذهب الصوفي فجأة إلى مذهب شيعي، وصار الفقيه والمحدّث بدائل عن المرشد والبديل، ووفد إلى التكايا - لا إلى المساجد طبعًا لأنّ عليها فيتو صفوية! - فريق من الخانقاهات[2] عدلوا عن تقديس أولياء التصوف إلى تقديس أوصياء التشيّع، وتلبّس الصفويّون بلباس ولاية علي ونيابة الإمام والانتقام من أعداء أهل البيت ... وفي ظل كل هذه المحاولات كان

---

(١) صلاح مختار - هياكل التضليل: كيف تذبح الضحية بريشة فنان؟ مغزى طروحات هيكل حول العراق وإيران ـ شبكة البصرة.

(٢) «الخانقاه، مكان الدراويش، ويبدو أن الصفوية شجّعت هذه الأماكن على حساب المساجد» والكلام لم يزل لشريعتي.

الهدف الأصلي هو إضفاء طابع مذهبي على الحالة القومية، وبعث القومية الإيرانية وإحياؤها تحت ستار الموالاة والتشيّع، وتمت عملية فصل الشعب الإيراني عن جسد الأمة الكبير وأجّجت مشاعر العداء بين الإيرانيين من جهة والترك والعرب من جهة أخرى، وقد وطّأ ذلك فيما بعد لنشوب معركة سياسية وعسكرية طاحنة بين الحكومات الصفوية والعثمانية تحت لافتات شيعية وسنيّة، وفي الختام اتسعت الفجوة بين التشيّع والتسنّن وطالت جميع وجوه الاتفاق والاشتراك.

في ضوء ذلك يمكن أن نفهم سرّ تركيز أجهزة الدعاية الصفوية على نقاط الإثارة والاختلاف بين السنة والشيعة وإهمال نقاط الاشتراك أو تأويلها بالشكل الذي يحيلها إلى نقاط خلاف أو يفرّغها من قدرتها على أن تكون أرضية صلبة لموقف مشترك بين الفريقين ... وكنتيجة لهذا الفصل المذهبي حصل فصل اجتماعي وثقافي تبعه فصل على الصعيدين القومي والسياسي وبشكل بارز جدًا»[1]، ويقرر شريعتي في موضع آخر أن: «آداب الصفوية ورسومها هي نسخة طبق الأصل من الآداب والرسوم والتشريفات التي تجرى في أروقة البلاطات، وليس ثمة فارق كبير بين قصر (عالي قابو) وبين (مسجد شاه)، ومثل هذا الكلام ينسحب على الألقاب الضخمة الفارغة التي يتم تبادلها في الحوزات العلمية الشيعية حيث لم يكن لها جذور

---

(١) حقيقة التشيع الصفوي: ٢١ - ٢٢، وهو اختصار لكتاب التشيع العلوي والتشيع الصفوي لعلي شريعتي.

تاريخية عريقة، وإنما هي مظاهر طارئة ظهرت في الحوزة تقليدًا للبلاط الصفوي أو القاجاري الإيراني»[1].

والفارسية الإيرانية التي عظمت خلال الفترة الصفوية وخلال حكم ولاية الفقيه الحالي أبي لؤلؤة المجوسي، وتقدس مزاره في كاشان بإيران اليوم، ويترحم زائروه عليه كما هو معروف ومراجع شيعية شهيرة كمجتبي الشيرازي وياسر الحبيب، تمنحه قدرًا من العرفان لاعتباره قاتل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي فتحت كتائبه مدن وممالك فارس وحاز أحد جنوده العرب[2] سواري كسرى، تدرك أنها تقدم بذلك الفارسي على الإسلامي، من دون أن تجد في ذلك معرة أو مذمة.

إن المنقدح في العقل الإيراني الجمعي، خلال حكم الملالي أو حكم الصفويين القدامى ظاهرًا، المترسخ في سائر العهود فيما عدا ذلك باطنًا، هو أن العرب هم سالبو هذا المجد الكسروي، والمسؤولون الأوائل عن ذلك هم الخلفاء أبو بكر وعمر رضي الله عنهما المدعوان في الثقافة الشيعية المظاهرة للكسروية المتوارية بـ«الجبت والطاغوت»، ثم القائد البارع خالد بن الوليد سيف الله المسلول ـ كما سماه النبي ﷺ ـ رضي الله عنه، الذي تعقب إسماعيل الصفوي أهم ملوك الدولة الصفوية «كل مَن ينتسب لذرية خالد بن الوليد رضي الله عنه قتل في

(١) علي شريعتي – التشيع العلوي والتشيع الصفوي: ١٥٦ - ١٥٧.

(٢) الصحابي سراقة بن مالك رضي الله عنه تصديقًا وتأكيدًا لوعد نبوي إبان الهجرة المشرفة.

بغداد، لمجرّد أنهم من نسَبه، وقَتَلهم قتلةً شنيعة[١]، ويقف العرب من بعد كمظاهرين لهذه الملاحم التي قوضت ملك كسرى وأطفأت نار المجوس إلى أن عاد الخمينيون فأوقدوها من جديد[٢]. وسلوك اللعن والتكفير والتخوين هذا الممارس بحق مقوضي ملك فارس من أعلام الإسلام الأول يناظره تبجيل لأعدائه المجوس المعروفين، والأمر لا يقتصر على أبي لؤلؤة المجوسي الذي يعتبره الشيعة وليًا صالحًا لأنه بقر بطن عمر بن الخطاب ﷺ اقتصاصًا للزهراء فاطمة ﷺ وفقًا لرواياتهم المختلقة والزائفة، وإنما يتعدى إلى القادة المجوس المعروفين قبل الإسلام أو الذين عاصروه وكانوا له مناوئين كالقائد رستم دستان الفارسي، الذي دحره المسلمون في معركة القادسية الشهيرة[٣]، ويرصد الكاتب العراقي باقر الصراف أمثلة لهذه الحفاوة بالقائد المهزوم رستم، منها قوله أنه: «ما زال حكّام إيران الحاليون، بالرغم من تشدقهم بالإسلام

---

(١) ابن شدقم الشيعي - تحفة الأزهار وزلال الأنهار نقلا عن: باقر الصراف - الرؤية السياسية الإيرانية: كسروية طائفية... أم فارسية صفوية ـ موقع عربستان.

(٢) بثت فضائية إيرانية إخبارية ونقلت عنها الجزيرة صور طواف الإيرانيين خلال احتفال ديني يتصايح فيه الطائفون حول نار ويتقازفون فوق الجمرات الملتهبة قائلين لبيك يا حسين!! ونشره نقلاً عنها موقع يوتيوب الشهير على الرابط:

http://www.youtube.com/watch?v=KW5p2-Eeovw&feature=related

كما أن تلك الاحتفالات تشهد أحيانًا حضور مرشد الثورة الإيرانية علي خامنئي بما يضفي عليها «شرعية شيعية».

(٣) ١٥ هجريًا بقيادة سعد بن أبي وقاص ﷺ خال النبي ﷺ.

الذي قضى على الجاهلية وهزم عبّاد النار، يتيحون الفرصة للوفود العسكرية التي تأتي لزيارتهم بغية اصطحابهم إلى المتحف الخاص برستم، كونه أكبر الرموز العسكرية الفارسية، وقائدها، وعندما أبدى أحدهم رأيًا قوامه أنَّ رستم قد هـُزم على يد الإسلام، أجابوه: بأنه يمثل العقلية العسكرية الفارسية، وأبرز أبطالها، وما يزال يمثلها»[1]، وقوله: «لقد حرص الرئيس السابق محمد خاتمي ـ مثلاً ـ على تقديم ديوان الفردوسي المطبوع في المطابع الحكومية في طهران والموشى بالذهب إلى البابا الذي كان الشخص الأول في المذهب الكاثوليكي المسيحي والرمز الأكبر لجمهورية الفاتيكان، باعتبار ذلك الديوان هدية من مسؤول إيراني له موقعه السياسي السابق ومركزه المعنوي الراهن ودوره الأيديولوجي الحالي، لحظة زيارته للفاتيكان، وحديثه الذي أعلن فيه: عن حمده لله أنْ أصبحوا مسلمين ولم يتحولوا للعروبة، في دغدغة للعواطف السياسية المضادة للعرب عند الغرب السياسي المتعولم، من جهة، وتأكيد نوعية هذه الهدية الفردوسية على التعصب الفارسي الذي يتحكم في قناعات خاتمي الأيديولوجية، من جهة أخرى»[2].

---

(١) باقر الصراف - الرؤية السياسية الإيرانية: كسروية طائفية... أم فارسية صفوية ـ موقع عربستان.

(٢) المصدر السابق. على أن من واجب القول: التنبيه إلى أن القائلْ هو خاتمي الذي يقود تيارًا يسمونه إصلاحيًا معتدلاً، ولهذا السبب فقد حل ضيفًا على مكتبة الإسكندرية المصرية، محاضرًا عن «حوار الحضارات» في وقت لم تكُن العلاقات المصرية - الإيرانية جيدة.

والحق أن العقلية المتحكمة في الأوضاع الآن في العراق، والتي تأتمر بأوامر الحرس الثوري الإيراني، وتنقاد إلى تغليب الفارسية الإيرانية على العروبة العراقية ولو كانت شيعية، تمارس العديد من الممارسات التي تؤكد بشدة على فارسية المحتلين المساندين للاحتلال الأمريكي، منها استهداف مدن ذات اعتبار ديني لدى المسلمين كلافتة وعنوان على دحر الامبراطورية الساسانية الفارسية؛ فالجثث التي يعثر عليها معصوبة العيون ومقيدة الأيدي بكثافة في جلولاء (نهاوند)، والمدائن، وبغداد تعبر بجلاء عن مدى الحنق المكتوم في قلوب وذاكرة الإيرانيين الذين ثبت تورطهم المباشر في مجازر كهذه.

وثمة حادثة أخرى موحية بشيء من ذلك يؤكدها الكاتب العراقي المهاجر سمير عبيد، وتتحدث عن إيوان كسرى الذي مازال الإيرانيون وفقهاؤهم الشيعة يبكونه، يقول: «لقد أرسلت حكومة طهران بعد احتلال العراق بأشهر قليلة وفدا سريا رفيعا إلى بغداد، وكان يتكون من بعض السياسيين القوميين، وعلماء الآثار، والجيولوجيا، وبعض المهندسين المرموقين، وذلك من أجل دراسة وتقييم كيفية ترميم (طاق كسرى) الأثري في مدينة المدائن ـ سلمان باك ـ العراقية، والذي يعتبره الإيرانيون رمزا تاريخيا وإسقاطا تاريخيا بأن العراق تابع لإيران»[(١)].

---

(١) سمير عبيد - الدور الإيراني وأذناب إيران في قضية مدينة المدائن (سلمان باك) وسر طاق كسرى!- موقع الكاتب:٢١/ ٤/ ٢٠٠٥م.

إن المسألة لا تعدو تشابهًا تاريخيًا بين الفارسية والتشيع في النظام السياسي الإيراني، بل الأمر يقترب من كونه امتدادًا طبيعيًا ليس للإسلام فيه دور غير تغيير الأسرة المقدسة؛ فـ«الزعامة الدينية في بلاد فارس كانت تتمثل في قبيلة من القبائل، فالسيطرة الدينية قديما كانت لقبيلة (ميديا)، وفي عصر أتباع زردشت أصبحت السيطرة لقبيلة (المغان).

ورجال القبيلة الدينية هم ظل الله في الأرض، وقد خلقوا لخدمة الآلهة، والحاكم يجب أن يكون من هذه القبيلة، وتتجسد فيه الذات الإلهية، وتتولى هذه العائلة شرف سدانة بيت النار. إن عبادة الله عن طريق القبيلة هو الذي دفع الفرس الى التشيع لآل البيت لا حبا بآل البيت ولكن لأن هذا التصور يلائم عقيدة المجوس»[1].

أما لماذا آل البيت رضوان الله عليهم بالذات؛ فلأمرين، الأول يتعلق بقيمة هذا النسل عند المسلمين لارتباطه بالرسول ﷺ، مع أن مجرد الانتساب لآل البيت لا يمنح صاحبه قداسة ولا فضلاً ما لم يكن متمسكًا بالإسلام وقيمه، والأمر رهين بقواعد حاكمة يقررها قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾، وقول صاحب بيت النبوة نفسه ﷺ: «ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه».

---

(١) عبد الله الغريب - وجاء دور المجوس: ٣٢.

أما الثاني: فهو أن الروايات التاريخية التي يعتمد عليها الشيعة الصفويون[1] تدعي أن الحسين بن علي رضي الله عنهما قد تزوج (شهربانو) ابنة يزدجرد ملك ايران بعدما جاءت مع الأسرى في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه[2]، ولكن على أية حال؛ فقد روجت هذه الرواية وأسبغ على هذه الزيجة قداسة زج فيها قسرًا بالعرق الساساني الوثني لخلطه بآل البيت لضمان هذا الامتداد الديني للمجوسية باسم الإسلام، وتحت مظلته، وهو ما لم يختلط ولن يكون.

واللافت أنهم يحكون رواية عجيبة عن ابنة يزدجرد ينسبونها لأبي جعفر الباقر تقول: «لمّا أقدمت بنت يزدجرد على عمر، أشرف لها عذاري المدينة، وأشرق المسجد بضوئها لمّا دخلته، فلمّا نظر إليها عمر، غطّت وجهها.. » ثم تنسب الرواية إلى علي بن أبي طالب القول لابنه الحسين

---

(١) هذه قصة يشكك بها جملة من المحققين والمؤرخين المسلمين ويقول ابن سعد في الطبقات عن والدة زين العابدين علي بن الحسين أنها أم ولد تدعى غزالة، طبقات ابن سعد: ٥/ ١٥٦. ويؤكد المفكر الشيعي علي شريعتي استحالة أن تكون ليزدجرد البالغ من العمر ١٥ عامًا لدى فتح المدائن ابنة تصلح للزواج.

(٢) ينفي الباحث الإيراني د.سعيد نفيسي أن «يكون ليزدجرد الثالث أصلاً بنتًا باسم شهربانو حتى تأسر في المدائن» راجع: تاريخ ايران الاجتماعي ١/ ١٣، نقلاً عن صباح الموسوي- زواج الحسين بابنت كسرى بين الحقيقة والأسطورة - شبكة البصرة:٢٠/ ٣/ ٢٠٠٦م.

ﷺ، عنها: «ابن الخيرتين، فخيرة الله من العرب هاشم، ومن العجم فارس»[1]، وهو ما يفسر الاحتفاء الفارسي بالحسين ﷺ، بخلاف باقي أهل البيت أو الصحابة بوجه عام؛ ففي نظرهم يبقى الحسين عنوانًا لهذا التزاوج المزعوم بين بيت النبوة وبيت كسرى، وهو إن حدث فلا يمنح الأكاسرة شرعية ولا للمجوسية فضلاً.

الأمر ذاته يتكرر مع «عيد» النيروز، وهو رأس السنة الفارسية التي تبدأ في ٢١ مارس، والتي تعد مظهر بهجة وسرور، بخلاف كل «الأعياد» والمناسبات والذكريات الدينية الشيعية التي تصطبغ بالأحزان واللطائم، وفي حين يمنح الموظفون يومًا واحدًا للاحتفال بالهجرة النبوية المشرفة أو بأي من العيدين المعتبرين إسلاميًا، يتمتع الموظفون في إيران بإجازة تمتد لأسبوعين احتفاء بدخول «عيد» النيروز، الذي هو للمناسبة اصطبغ دينيًا بلا أدنى مناسبة؛ فهو ميدان فسيح في الأدبيات الشيعية لغفران الذنوب، يقول عباس القمي: «وأما عيد النيروز فهو ما علمه الصادق إلى معلى بن خنيس، قال: إذا

---

(١) الكليني - الكافي: ١/ ٤٦٦: باب مولد علي بن الحسين، لا مجال لمناقشة الدس الواضح في الرواية عن عمر رضي الله عنه أو في الحديث عن ابنة يزدجرد، غير أنه من المهم الانتباه إلى أن مفهوم النور والنار الزرادشتي الوثني قد طفح في هذه الرواية التي لا تفسر هذا النور الطاغي لامرأة لم تكن أسلمت بعد أو كانت على وشك الإسلام أو حتى حديثة العهد بالإسلام، مع أن أفاضل الصحابة لم يروَ عنهم هذا النور وهم السابقون الأولون.

كان يوم النيروز، فاغتسل والبس أنظف ثيابك، وتطيب بأطيب طيبك، وتكون ذلك اليوم صائمًا»، إلى أن قال في فريته: «فإذا فعلت ذلك غفر الله لك ذنوب خمسين سنة»[1].

على أن احتفالات النيروز ليست عنوانًا للفرح فقط، وإنما فاتحة شر لاضطهاد أكبر للأقلية السنية العربية وغير العربية من الأعراق والقوميات الأخرى بخلاف الفارسية، وهو بذاته ما يحيل إلى مسألة بالغة الأهمية تتعلق بقضية القومية الفارسية كجنس سامٍ لا ينبغي لغيره أن يحكم إيران حتى لو كان شيعيًا «تقيًا» ـ إن جازت التسمية ـ أو كان عالمًا بأصول المذهب ومرجعًا فقهيًا ينتهي إليه العلم لدى الطائفة؛ فحين «طرح أحمد الخميني نجل الخميني مشكلة جنسية الخليفة المتوقع لوالده كمرشد أعلى للأمة الايرانية في رسالة مفتوحة إلى حسين منتظري رئيس الجمعية التأسيسية، أشار ابن الخميني في رسالته الى التناقض الذي جرى في منح سلطات واسعة وخاصة القيادة العامة للجيش الايراني إلى مرشد لم يحدد الدستور أن يكون حاملا للجنسية الايرانية (محذرًا من كون هذا الدستور لا يشترط ابتداءً أن يكون المرشد، وهو أعلى منصب ديني ونائب «صاحب الزمان» - المهدي المنتظر، إيرانيًا؛ فقد يكون أي جنسية أخرى، بما فيها العراقية مثلما كان حكيم زعيم الطائفة الشيعية قبل الخميني)، مشيرًا إلى أن الجمعية التأسيسية قد عهدت إلى

(١) عباس القمي - مفاتيح الجنان: ٣٥٤.



المرشد بقيادة الجيش الإيراني وأضاف قائلا: وفي حال نشوب حرب بين إيران والعراق ماذا يستطيع أن يفعل المرشد الأعلى العراقي الجنسية، إعلان الحرب على بلاده وإلا فماذا نحن فاعلون؟؟ إذا كنتم تقولون إن الاسلام لا يعرف الحدود فأنتم تمزحون»[١].

إن ما يقوله أحمد الخميني في الحقيقة لا يقتصر حتى على لفظ وتحقير سائر الأمم بخلاف الإيرانيين، بل إن المتقرر حتى الآن أن العنصر الفارسي دون سائر الأعراق، هو السيد في المواقع الحساسة للحكم الإيراني، مع العلم بأن الفرس لا يمثلون سوى ٥٠٪ من تعداد سكان إيران أو ما يتردد حول هذه النسبة، وبالتالي؛ فإن الإمامة في الدين والنيابة عن المهدي المنتظر تبعًا لذلك هو حكر على هذا العرق «السامي»، وبرغم وجود شيعة عرب كثيرين في الأحواز العربية؛ فإن هذه القومية مضطهدة بشدة سياسيًا واقتصاديًا وحتى بيئيًا، حيث دولة الأحواز المحتلة الأغنى إمكاناتٍ بين الأقاليم الإيرانية (٩٠٪ من النفط الإيراني موجود بالأحواز) والأفقر معيشة، وحتى أولئك الذين أسهموا في إنجاح الثورة الإيرانية كالدكتور مهدي عبد الحميد الخاقاني الذي رحل في ظروف غامضة ٢٠٠٧/١/٩ بطهران، وهو الذي كان مرشحا لرئاسة الجمهورية الإيرانية بعد نجاح الثورة في ايران، والذي اتهم بعد بخيانة الثورة، رغم دوره في توفير الدعم المالي لها عبر علاقات أسرته الواسعة في الدول العربية.

---

(١) وكالة الأنباء الفرنسية على الإنترنت: ١٥ / ١٠/ ١٩٧١م.

والمسألة لا تنحصر داخل الحيز الإيراني فحسب، بل إنه يكاد يكون شرطًا ضمنيًا للصعود الديني والسياسي للقادة والزعماء الدينيين أن تكون الجذور عائدة إلى الفارسية إن في إيران أو العراق أو لبنان أو الكويت أو السعودية أو البحرين أو باكستان أو في غيرها من الدول التي تضم أقليات شيعية، بل إن الخلاف الأساسي بين إيران وأذربيجان يعود إلى اختلاف القوميتين الفارسية والأذرية، وخشية إيران من أن تستقوي الأقلية الأذرية في إيران بالدولة الأذربيجانية المجاورة، والأسماء[1] التي برزت في العراق وغيره اتضح لاحقًا أن جذورها فارسية وأنها تستر ذلك لأسباب سياسية، والفضيحة السياسية العراقية تشي بذلك بوضوح؛ فمعظم القادة السياسيين العراقيين الذين نسقوا مع المحتل الأمريكي وارتضوا التعامل معه اتضح أن جنسياتهم إيرانية.

بقي أن نقول إن استدعاء الفارسية كقومية، والمجوسية كدين، سواء على نحو خالص أو مشوب بالتشيع، مفضٍ إلى التطلع إلى استعادة أمجاد الامبراطورية الفارسية في أوج تمددها الإقليمي والدولي، وما الحديث عن «هلال شيعي» إلا تجسيد لحالة تاريخية لدولة تمكنت من بسط سيطرتها يومًا ما إلى سواحل البحر المتوسط (بحر الروم سابقًا)، ووصول جحافلها إلى مسيرة أيام قلائل عن القسطنطينية في أكبر مساحات هذه الامبراطورية اتساعًا في التاريخ، تلك التي

---

(١) تلك الأسماء أكثر من أن تحصى في هذا الكتاب، لكن أبرزها عائلة الحكيم والمالكي وموفق الربيعي وباقر جبر صولاغ والسيستاني وغيرهم.

وثقها كتاب الله وتابعها العالم أجمع بدون وسائل إعلام حديثة، ومنهم العرب في مكة الذين نزل على مؤمنيهم قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾[1].

ثانيًا: الجمع بين المرجعية الفقهية والبراجماتية الميكيافيلية:

لم تكن الفتاوى الشيعية التي صدرت إبان غزو العراق في العام ٢٠٠٣ بدعًا من المواقف البراجماتية التي ينتهجها الفقهاء والملالي الشيعة الذين يمسكون بتلابيب السلطة الروحية والسياسية على أتباعهم في إيران والعراق، والتي أفضت إلى معاونة أتباعهم للمحتل أثناء غزوه للعراق وما تلاه من احتلال، فالموقف ذاته معلوم في أفغانستان، ويكاد لا يجد من ينفيه أو يحاول ستره لا في العراق ولا في أفغانستان، وفي أكتوبر ٢٠٠٧ صدر عن جامعة ييل كتاب يحمل اسم «التحالف الخبيث، أسرار التعاملات بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة» يتناول صفقة قدمتها إيران للولايات المتحدة الأمريكية و«إسرائيل».

وفي المرحلة الأولى من الغزو الأميركي للعراق في مارس ٢٠٠٣، جرت حركة اتصالات استثنائية بين إيران والولايات المتحدة من جهة، وإيران وإسرائيل من جهة ثانية. وتناولت هذه الاتصالات البحث في صفقة كبرى

---

(١) تمت فيها محاصرة القسطنطينية من قبل (كسرى الثاني) والاستيلاء على آسيا الوسطى: لم يحصل مثل هذا النصر الفارسي من قبل ولا من بعد، وفي المعركة التي جرت بـ«أذرعات» ـ وفقًا لجمهور المفسرين ـ نزلت الآيات: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ ...﴾ سنة ٦١٤م.

عرضتها طهران ورفضتها واشنطن، رغم أنها اقترحت فيها نزع سلاح «حزب الله» ودعم المبادرة العربية للسلام والتعاون في الحرب على الإرهاب.

ويستند الكتاب إلى ١٣٠ مقابلة مع مسؤولين حاليين وسابقين، أجراها المؤلف تريتا بارسي أستاذ العلاقات الدولية في جامعة جونز هوبكينز بين ٢٠٠١ و٢٠٠٧م[١].

على أن الإيرانيين والأمريكيين أحبطوا آمال المؤلف في تفجير فضيحة جديدة بكتابه؛ فالذي ظن أنه قد نجح في كشفه بجهد خارق، سرعان ما تبين أنه (خبر قديم) لا يفتح شهية الدارسين؛ فقبل صدوره كانت المباحثات الأمنية بين الطرفين تعقد أمام الإعلام في قلب المنطقة الخضراء ببغداد المحتلة، ثم أمنت الولايات المتحدة زيارة امبراطورية للرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد للعراق في مطلع مارس ٢٠٠٨م بحيث أصبح أول رئيس إيراني يزور العراق، وهو ما لم يتم إلا بعد أن غدا العراق محتلاً من قبل من تدعوهم الدعاية الإيرانية بـ«الشيطان الأكبر».

والطريف أن الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد ادعى أنه «كان يمتلك معلومات موثقة، بشأن محاولة من الأعداء اختطافه واغتياله أثناء الزيارة، مبينا أنه كان أول رئيس يزور العراق وفق إعلان مسبق، وذلك وفقًا لوكالة الأنباء الإيرانية»[٢]، وإذا كان الأمريكان قد أمّنوا الزيارة لاعتبارهم دولة احتلال

---

(١) صحيفة الحياة اللندنية:٩/ ٩/ ٢٠٠٧م.

(٢) موقع وكالة الأنباء الإيرانية (إرنا) على الإنترنت:١٩/ ٦/ ٢٠٠٨م.

مسؤولة عن سلامة رئيس يتمتع بالحصانة ـ ولو تحدث دعائيًا عن إبادة «إسرائيل» ـ فمن غير المقاومة كان يعتبرها نجاد عدوًا له مترصدًا لزيارته؟!

وبالعودة إلى الصفقة التي لم تعد سرًا؛ فالأنباء توالت عن صفقات كثيرة يعرضها الملالي والفقهاء الإيرانيون ما زالت واشنطن تتمنع عن قبولها، ومجلة الوطن العربي الباريسية قد عنونت موضوع غلافها بعبارة «الهلال الشيعي يعرض السلام على إسرائيل ـ المفاوضات الحقيقية ليست مع سوريا بل مع إيران»، وكشفت الصحيفة عن أنه، وفيما كانت الأوضاع مشتعلة في بيروت في التاسع والعاشر من مايو ٢٠٠٨م، «تسلم بان كي مون رسالة رسمية من طهران بتاريخ ١٣/ ٥/ ٢٠٠٨م تضمنت عرضًا برزمة إيرانية لمفاوضات بناءة، وفوجئ الأمين العام للأمم المتحدة بأن الرسالة لم تتضمن فقط كما توقع عرضًا إيرانيًا حول الخلاف النووي الإيراني، بل شملت سلسلة مقترحات من الملالي لـ(الانطلاق من التفاوض حول النووي للوصول إلى سلام عادل في المناطق التي تعاني من عدم الاستقرار والعنف والإرهاب)، ونقلت الرسالة تعهدًا إيرانيًا بـ(التعاون لمساعدة الشعب الفلسطيني للوصول إلى خطة مقبولة وحل ديمقراطي وعادل وقابل للحياة) أي إلى اتفاقية سلام مع إسرائيل، وذلك في وقت كان أحمدي نجاد يستأنف دعواته لإزالة إسرائيل من الوجود. وأجمع الخبراء الذين اطلعوا على هذه الرسالة أنها دعوة إيرانية واضحة للتسوية بما فيها السلام مع إسرائيل واقتراح للضغط على حماس والجهاد لقبولها»[1]،

---

(١) مجلة الوطن العربي:١١/ ٦/ ٢٠٠٨م.

وتضيف المجلة نقلاً عن مصادر لم تسمها: «أن ملالي طهران راهنوا في تقديم عرضهم على معرفتهم بدعم جهات نافذة في إسرائيل ومن المحافظين الجدد في البيت الأبيض لمشروع الهلال الشيعي وصفقة السلام معه»[1].

وتؤكد المجلة أن العرض قد أعيد إنتاجه عدة مرات في شهر مايو تحديدًا من الأعوام ٢٠٠٣، ٢٠٠٦، ٢٠٠٨م، ما يعني لدينا أن العرض لم يكن حالة عارضة وإنما قناعة لدى الطرف الإيراني بضرورة التطبيع، وهو ما يستقر أيضًا لدى الكونجرس الأمريكي الذي يوصي بالشيء نفسه، لكن اللافت على كل حال أن نظام ولاية الفقيه الإيراني هو الذي تحلى دومًا بالبراجماتية السياسية التي حدت به إلى تكرار طرق الباب الأمريكي و«الإسرائيلي»، وكان الأخيران أكثر زهدًا في ذلك وفقًا لما يرشح عن تلك العلاقة الملغزة بين تلك الأطراف.

وعلى زهدهما هذا، إلا أنهما لا يعتبرانها خطرًا محدقًا لأسباب موضوعية وغير إعلامية بطبيعة الحال، وهو ما يقرره رئيس وزراء «إسرائيل» السابق آرييل شارون في مذكراته حين يقول عن الشيعة والدروز «شخصيًا طلبت منهم توثيق الروابط مع هاتين الأقليتين، حتى أنني اقترحت إعطاء قسم من الأسلحة التي منحتها إسرائيل ولو كبادرة رمزية إلى الشيعة الذين يعانون هم أيضًا مشاكل خطيرة مع منظمة التحرير الفلسطينية، ومن دون الدخول في أي تفاصيل، لم أرَ يومًا في الشيعة أعداء إسرائيل على المدى

(١) المصدر السابق.

البعيد»[1]، (على ما يشتم من ذلك من رغبة شارونية في تفسير هذا التقارب بالقول «من دون الدخول في أي تفاصيل، لأن التفاصيل في الحقيقة عقدية وتاريخية ومصلحية، وإهالة التراب عليها أفضل من نفضه)، وتأكيد ديفيد ليفي وزير خارجية «إسرائيل» السابق أن «إسرائيل» لم تقل في يوم من الأيام إنَّ إيران هي العدو»[2].

بيد أن هذه العلاقة لا يمكن بحال اختزالها في تصريح هنا أو هناك، وللتوكيد بشكل مقنع، علينا العودة طويلاً إلى الامبراطورية البريطانية التي حلت في الخليج العربي خلال القرنين الماضيين قبل أن يجتاحه الأمريكيون، والتي تمكنت على الدوام من إيجاد مساحة التقاء شاسعة مع الإيرانيين على أرضية دينية لم تتأثر كثيرًا في مرحلة ما قبل الثورة الإيرانية عما بعدها والتي ورثها الأمريكيون فيما بعد.

إنه، ولكي تتضح الصورة بشكل جلي، لابد من النظر إلى الشاهنشاهية التي سبقت مجيء الخميني على أنها وجه علماني يكاد يماثل ولاية الفقيه في مرحلة ما بعد الثورة في تعاطيه مع أصحاب الديانات الأخرى ـ بخلاف المسلمين ـ وفي سياسته الدولية وطموحاته الإقليمية.

وبإطلالة سريعة على الشاهنشاهية في أدبيات مدرسة علي شريعتي الفكرية، يلاحظ بوضوح أن المقصود بالتشيع الصفوي الذي قارنه المفكر

---

(١) مذكرات أرئيل شارون – ترجمة أنطوان عبيد: ٥٨٣ – ٥٨٤.

(٢) هآرتس العبرية: ١/ ٦/ ١٩٩٧م.

الإيراني بالآخر العلوي لم يكن سوى الشاهنشاهية التي مدت جسورًا عتيدة مع المؤسسات الدينية الإيرانية - الحوزات، والتي اتهمها شريعتي بأنها قد هجرت «الحكمة والموعظة الحسنة» إلى النمط الصفوي، غير أن المفارقة في هذا الصدد أن شريعتي الذي اختلف المحللون في الجهة المسؤولة عن اغتياله في العام ١٩٧٧ بلندن أكانت السافاك الشاهنشاهي أم أنصار الخميني، لم يكن قد عاين حكم ولاية الفقيه الذي ضاعف ما كان يشكو منه في حكم الشاه، وجسد الصفوية بكل حذافيرها وممارساتها، ولو كان عاصرها ماذا كان عساه يقول، أيقول بعد عبارته: «ما الذي لم يصنعه هذا السحر الأسود؟! لقد حوّل عليّ إلى رستم في الشاهنامه! ليس في ميدان الحرب بل في الخانقاه»[1]، ثم حوله إلى ولاية فقيه يمكنها أن تحيل الحلال حرامًا والحرام حلالاً، إن الشاهنشاهية والخمينية صنوان، وإن كليهما نسخة منقحة من الدولة الصفوية؟! إنه بلاشك تشابه كبير بين ممارسات من أنظمة حكم مختلفة، تتقارب رؤاها عندما يتعلق الأمر بالفارسية والعنصرية وتجريد الخصم من أدوات خصومه، وهو في كل لا يكاد يبتعد كثيرًا عن كونه مسلمًا لا يشاطر الصفوي أو بهلوي أو الخميني قناعاته.

يضيف شريعتي: «التشيّع الصفوي هو في الأساس فرقة طائفية مناوئة للمجتمع المسلم وتقوم فلسفة وجوده على أساس بثّ الفتنة وزرع الاختلاف

---

(١) حقيقة التشيع الصفوي، ٢٧، والذي يعنيه بالخانقاه الذي هو بيت تجمع الدراويش سابقًا، الحسينيات لاحقًا.

بين أعضاء الجسد الإسلامي الواحد، والانفصال عن الجسد الإسلامي الأم الكبير، وما وجد التشيّع الصفوي إلاّ من أجل تحقيق هذا الغرض ويؤيد هذا التصور أن التشيّع الصفوي ظهر وتحالف مع القوى الصليبية والبرجوازية العدوانية في أوروبا لضرب القوة الإسلامية الوحيدة التي كانت تتصدى لهم ولو باسم الامبراطورية العثمانية البغيضة، وقد كانت الضربة التي وجّهها التشيّع الصفوي بمثابة طعنة في الظهر، تجلّت على شكل لقاءات مشتركة بين السلاطين الصفويين وسلاطين أوروبا الشرقية تمخّضت عن اتفاقات ومخططات للقضاء على العدو المشترك للمسيحية الغربية والتشيّع الصفوي والمتمثل آنذاك بالدولة العثمانية»[١].

وإذا كان هذا هو عين الحقيقة فيما يخص التحالف هذا الذي تم في القرن الخامس عشر الميلادي إبان ظهور الدولة الصفوية؛ فأي مجال لنفي هذا التوجه الذي اختطه الملالي وفقهاء التشيع في إيران في حالة مماثلة أو قريبة من الدولة العثمانية في كونها سدًا يقف إزاء الصليبية أو «الاستعمار» أيا كانت التسمية؟! ففي حين كانت الجيوش الغربية تحط رحالها على تخوم العراق، كان الإيرانيون يعرضون خدماتهم على جنرالات الولايات المتحدة، وكانت المعارضة العراقية بقيادة باقر الحكيم وعبد المجيد الخوئي تضع أيديها بأيدي البريطانيين في لندن لإطاحة النظام العراقي السابق، وميليشيا بدر المتدربة في إيران وبقيادة الإيراني جبر صولاغ تتهيأ للدخول إلى العمق العراقي لتطويق

(١) المصدر السابق: ٦٤.

جيوب المقاومة العراقية الناشئة، وحيث لم تكد دماء شهداء المعارك الأولى في أيام الغزو تجف، جلس الإيرانيون وممثلو الملالي وفقهاء قم إلى الأمريكيين و«الإسرائيليين» ـ بحسب كتاب التحالف الخبيث وغيره من المراجع ـ لوضع اللمسات الأخيرة لصفقة مخزية لا يوجد في «نهج البلاغة» ولا سواه ما يشرعنها أو يمنحها مسحة من التبرير أو التفسير.

عندما كان العراق يظهر كقوة صاعدة في الخليج، ويشب عن طوق التدجين الغربي، كان الفقهاء يستعدون لمحاكاة ما أسماه المفكر الشيعي علي شريعتي قبل سطور بـ«طعنة في الظهر».

هذه الطعنة التي سبقتها طعنة أخرى «فقهية» أيضًا في أفغانستان، لم تتوقف عند حد التقارب المصلحي مع الغرب، بل سمحت لها رقعة التبرير الصفوي ـ أو الخميني لا خلاف ـ أن تتسع لتستخدم بعد ذلك سلاحها في اتجاهين يبدوان متضادين، وهو اتجاه تحريك بعض الدمى في العراق ضد المصالح الغربية ـ كما في الاتفاقية الأمنية ـ وفي تهريب أسلحة إيرانية إلى العمق العراقي لاستخدامها ضد المقاومة دائمًا، وضد الاحتلال في أحيان نادرة لتحسين شروط الملالي التفاوضية حول عدد من الملفات تمتد من أفغانستان وباكستان شرقًا وحتى لبنان غربًا.

إن ما سمح لمحمد على أبطحي رئيس مركز حوار الأديان والمستشار القانوني والبرلماني السابق للرئيس الإيراني السابق محمد خاتمي أن يعلن أن بلاده «قدمت الكثير من العون للأمريكيين في حربيهم ضد أفغانستان والعراق»، ويؤكد أنه: «لولا التعاون الإيراني لما سقطت كابول وبغداد بهذه

السهولة»[1]، هو أنه كمرجع ديني لم يرَ مخجلاً أن يعترف بدور مساند لدولة غير مسلمة في حربها ضد دول مسلمة؛ فوفقًا للعقيدة الإمامية فإن من الواجب اتخاذ موقف كهذا ضد من يُعتبرون وفقًا لهذه العقيدة «مرتدين»، لأنهم لا يؤمنون بعصمة الأئمة ولا بـ«صاحب الزمان» وما إلى ذلك، وليس في ذلك حقيقة إلا موقف صدق مع النفس والآخرين، غير أن البراجماتية تتجلى حين يطالب هؤلاء الفقهاء الذين استدعوا الأمريكيين إلى العراق إلى الرحيل عنه، ويجعلون مسألة الاتفاق الأمني معه في العراق ورقة تفاوض على سيطرة يطلبها الملالي على الدول الخليجية الصغيرة؛ ففي «الصفقة الكبرى» التي كشفت عنها مجلة الوطن العربي، اتسعت «مرونة» الإيرانيين إلى حد عرض الاعتراف بـ«إسرائيل» في مقابل عدة مصالح معظمها اقتصادي، وكان من بين أخطر «بنود الصفقة التي تتوالى شواهد جديتها:

- الاستعداد للاعتراف بـ«إسرائيل» سواء عَبر دعم المبادرة العربية ومقولة الدولتين وحدود ١٩٦٧م.

- وقف دعم حماس والجهاد وتشجيعهما على قبول حل الدولتين.

- التخلي عن البرنامج النووي وتخصيب اليورانيوم والتعهد بفتح المفاعلات والمراكز أمام مفتشي الوكالة الدولية للطاقة الذرية والتوقيع على البروتوكول الإضافي الذي يسمح بالقيام بعمليات تفتيش مفاجئة في أي مكان من إيران.

---

(١) جاء ذلك في ختام أعمال مؤتمر: الخليج وتحديات المستقبل الذي ينظمه مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية سنويا بإمارة أبو ظبي مساء الثلاثاء: ١٥/ ١/ ٢٠٠٤م.

في مقابل طلبات تقدمت بها إيران أهمها:

- الاعتراف بدور إيران المحوري في أمن الخليج ومشاركة طهران في أي نظام إقليمي يجري إقامته والاعتراف بضرورة حصول طهران على قدرات دفاعية توازي دورها وموقعها كشرطي للخليج»[1]، غير أن هذا الدور ليس أمنيًا أو اقتصاديًا فحسب، بل دينيًا، وهو الدور الذي تريد أن تقوم به طهران عبر الأقليات الشيعية في الخليج، لفرض وصايتها الدينية على سائر دوله الصغيرة، وهو ما يعني أن للملالي استراتيجية واحدة في السيطرة على البلدان الإسلامية، وعدم التوسع في خارج الحوض الإسلامي - كاستراتيجية الدول الشيعية على مر التاريخ - لكن هذا النهج من الممكن أن يسير عبر قنطرة مسيحية أو يهودية إذا فشل الفقهاء في تنفيذه بشكل مباشر، وإذا كانت إيران قد رفضت احتلال العراق قبل الحرب ظاهريًا وأسهمت بقوة في تحقيقه بكل الوسائل؛ فإنها عادت لتطلب من الولايات المتحدة مؤخرًا الرحيل، ربما بصدق هذه المرة، وهذا ما يعبر عنه د.أسعد عبد الرحمن بقوله: «يعرف المراقبون والسياسيون أن النفوذ الإيراني في الشرق الأوسط تعزز بشكل كبير حتى أضحت إيران القوة الأكثر نفوذا في المنطقة قبل الولايات المتحدة، وهو ما أكده تقرير المعهد الملكي البريطاني للدراسات الدولية من أن الولايات المتحدة، بحربها على الإرهاب، عززت دور إيران من خلال الإطاحة بنظامين منافسين لها

---

(١) مجلة الوطن العربي:٩/ ٦/ ٢٠٠٦م.

بالمنطقة هما: نظام «طالبان» في أفغانستان ونظام صدام حسين في العراق، وذلك دون إقامة بنى سياسية مستقرة بدلا منهما. وهذا الاستخلاص أكده الرئيس الإيراني أحمدي نجاد حين قال: إن العراق وأفغانستان اللتين (كانتا تمثلان تهديدا مباشرا لإيران جعلهما الله في سلة إيران)»[1]، وهو ما يفسر تصريح نجاد في كلمة خلال عرض لميليشيا الباسيج، بأن «الأمة الإيرانية مستعدة لانتشالكم من ذلك المستنقع ـ في العراق ـ بشرط واحد. عليكم أن تتعهدوا بتصحيح نهجكم»، مضيفًا: «عودوا وخذوا قواتكما إلى ما وراء الحدود واخدموا بلادكما»[2].

هذه إذن براجماتية الملالي التي تسمح بالاحتلال، بل تؤيده، ثم تعود فتسعى للإفادة في السيطرة، وخلاصته أن للفقهاء ترتيبًا يجعلهم يعتبرون الاحتلال حلقة وسيطة في سبيل هيمنتهم على بلدان العالم الإسلامي، وهذا ما يفهمه الأمريكيون و«الإسرائيليون»، وما يفضي تلقائيًا إلى إمكانية «تعايشهم» مع كيان مغتصب كـ«إسرائيل» أو احتلال دائم كالولايات المتحدة الأمريكية، وقبولهم بقدر كبير من التفاهم معهم إلى حد التحالف في أحيان كثيرة، لاسيما حين يتعلق الأمر بعدو مشترك كجموع السنة والدول التي تنتسب إليها.

---

(١) د. أسعد عبد الرحمن - عن المواجهة الأمريكية ـ الإيرانية... وفلسطين ـ صحيفة الشرق القطرية: ٢٨/ ١٢/ ٢٠٠٦م.

(٢) موقع وكالة رويتر: ٢٧/ ١٠/ ٢٠٠٦م.

وذاك أيضًا، ما يفسر مواقف تبدو متناقضة كثيرًا ويعجز المحللون عن فهمها أحيانًا، مثل الإيعاز إلى ميليشيات بدر والمهدي بقتل الفلسطينيين اللاجئين في العراق، ودعمها لتصفية الفلسطينيين في صبرا وشاتيلا عبر حركة أمل اللبنانية، وتلقيها دفعات أسلحة إيرانية بلغت نحو ١,٣ مليار دولار خلال عام واحد في عقد الثمانينات[١] في وقت تقيم يومًا للقدس، وتنظم جيشًا للقدس لم يقتل إلا السنة في العراق، وتدعم سياسيًا حركة حماس ضد «إسرائيل» وماليًا حركة الجهاد الإسلامي الفلسطينية، ويردد «حزب الله» الموالي لها دومًا أنه يقوم بأعماله العسكرية دعمًا للفلسطينيين وفي سبيل تحرير الأقصى.

ومن تلك المظاهر اللافتة كذلك، أنه و«منذ نجاح الجمهورية (الإسلامية) في إيران، وقادتها لا يترددون في إظهار كل أنواع البراجماتية في مختلف الظروف، من أجل تحقيق الهدف الأبعد. كما أنهم الأسرع في استغلال الظروف، المأساوية منها بنوع خاص، والتقرب من (الشيطان الأكبر)، إذا كان الأمر يعجّل في إحراج المناوئين في المنطقة، ويقرّب تحقيق الهدف. وكنا لاحظنا أنه بعد أحداث١١ سبتمبر، أن الإيرانيين كانوا أول من أضاء الشموع على أرواح ضحايا زعيم القاعدة أسامة بن لادن، وخرجت يومها الصحف الإيرانية بعناوين: كلنا أميركيون، في وقت ارتبكت فيه السعودية من وقع تلك العملية الإرهابية التي شارك فيها ١٥ سعوديًا من أصل١٩ منفذًا»[٢].

(١) مجلة استراتيجيا اللبنانية: يناير ١٩٨٧م.

(٢) هدى الحسيني - صحيفة الشرق الأوسط:٢٤/٨/٢٠٠٦م.

والبراجماتية تلك هي التي تجعل الإيرانيين يسعون لاغتيال أمير الكويت الراحل الشيخ جابر الصباح، وينتظمون في البرلمان الكويتي، وبعضهم يصف مغنية المتورط في تلك المحاولة بـ«الشهيد»، وهي تلك التي تسمح لمن ينتقد العزاء في مغنية من الشيعة ومن يتحمس لذلك بالعمل كفرسي رهان لقاطرة إيرانية واحدة في الكويت.

وهي البراجماتية التي تسمح بتهديدات من الرئيس الإيراني نجاد بمحو «إسرائيل» من الخريطة في وقت يمد لها عرضًا بالتفاوض حول الاعتراف بها، وهي تلك التي بات الغرب يفهمها جيدًا، ومن ثم لا يعير بالاً لتلك التهديدات الاستهلاكية، بينما انتفض قادمًا إلى الخليج العربي في أوائل التسعينات بذريعة تحرير الكويت، والهدف كان ضمان عدم تحقيق الرئيس العراقي الراحل صدام حسين بتدمير نصف «إسرائيل» أواخر ثمانينات القرن الماضي؛ فنصف «إسرائيل» صدامية أخطر بكثير من «إسرائيل» كاملة نجادية؛ فالرئيس العراقي أخفقت معه كل المساعي للاعتراف بـ«إسرائيل» وشكل تهديدًا حقيقيًا أدركه الغرب، لكن نجاد ـ برغم ارتفاع نبرة تهديداته ـ أكثر «عقلانية»، والفيصل أيضًا عند الباحثين الغربيين الذين يدركون الفارق بين تصريحين أحدهما من صاحب تقية فارسية والآخر من صاحب نخوة عربية.

إن البراجماتية الإيرانية التي يتقنها الملالي في طهران تدفع دومًا إلى إظهار أمر وإبطان آخر، وهي التي تسمح «مرونة» بمخالفة قواعد الإسلام العظمى، بل حتى بمخالفة أصول التشيع ذاته (المعلن منها على الأقل)، وإلا فتفسير مساندة معظم شيعة العراق للاحتلال محير لاسيما إذا ما طرح السؤال التالي:

«لماذا لم يستنجد الإمام الحسين بالقوة الرومية الأعظم لنصرته على أعدائه من أمويين أو غيرهم؟!، وهي القوة الرئيسة في ذلك العصر، كما هي القوة الأمريكية في هذه المرحلة الراهنة وهي قوة غير عربية وغير مسلمة»[1].

ثالثًا: توظيف القوة النامية في التسويق لقيادة العالم الإسلامي:

تطرح إيران نفسها كقائدة للعالم الإسلامي بديلاً عن دول إسلامية أخرى، كالسعودية ومصر، وتراهن على أمور تؤهلها من جهة لهذه القيادة ـ في نظرها ـ وتحاول من جهة أخرى جاهدة تقليل تأثير العوامل المحجمة لانفرادها بهذا القرار؛ فإيران ترى أن في وسعها الآن أن تطرح نفسها زعيمة للعالم الإسلامي لأسباب، أهمها:

١ – تمتعها بقوة عسكرية حقيقية تعد إحدى أكبر القوى العسكرية في منطقة «الشرق الأوسط»، ويشدد تقرير بثته وكالة أنباء شينخوا الصينية على قوة إيرانية متعاظمة في جانب التسليح الصاروخي، ويشير إلى أن «الحرس الثوري الإيراني» قد نجح في نوفمبر ٢٠٠٧م في إطلاق الصواريخ العديدة من طراز «شهاب ٣»، ومداها ٢٠٠٠ كيلومتر ويغطي إسرائيل كلها بالإضافة إلى القواعد العسكرية الأمريكية في الشرق الأوسط» ويضيف نقلا عن مجلة تكنولوجيا الطيران والفضاء الأمريكية تصريحًا لمحلل عسكري يؤكد على أن «الدول الغربية قلقة بأن إيران ستطور صاروخا مداه ٤٠٠٠ كيلومتر بعد سلسلة من التجارب، ومدى صواريخها سيضم أوربا الوسطى. وتتوقع المخابرات الأمريكية المركزية أن تنجح

---

(١) باقر الصراف – مصدر سابق.

إيران فى تطوير صاروخ مداه ٤٨٠٠ كيلومتر قبل عام ٢٠١٥»[١]، وحيث تطور إيران بمساندة روسية وصينية وكورية سلاحها الجوي، وتعمل على قطع شوط كبير بسرعة في سبيل الحصول على الطاقة النووية العسكرية ـ مثلما يقول خصومها الدوليون ـ فتبدو هذه القوة الأبرز في المنطقة التي يرفدها سلاح مشاة كثيف وميليشيات ذات أذرع ممتدة في دول عربية مجاورة.

ومن ثم؛ فإن إيران بوسعها الآن ـ وهو ما تفعله ـ أن تقدم نفسها على أنها الدولة الإسلامية المرشحة للدفاع عن العالم الإسلامي ضد أخطار الأعداء الخارجيين، وهو ما تعزز بصورة كبيرة بعد حرب يوليو ٢٠٠٦ في لبنان التي كان أحد طرفيها: «حزب الله»، وأحد أذرع إيران في لبنان، وحقق فيها بعض النتائج الحربية التي سوقت على أنها انتصار على «إسرائيل» في العالم العربي والإسلامي.

٢- تعاظم نفوذها الإقليمي والناشئ عن قوة دفعه الاقتصاد الإيراني، والذي أفاد من الفائض في أسعار النفط، بما يضخ أكثر من ١٠٠ مليار دولار سنويا مرشحة للزيادة يمكن استثمارها في تعزيز دورها الديني في المنطقة استنادا إلى الدعم السخي الذي تقدمه لأعوانها في المنطقة، أحزابًا كانت أم كوادر ومثقفين ومسؤولين، كما أنها دولة نامية صناعيًا وبوسعها أن تقدم نفسها للعالم الإسلامي كأحد أركانه الاقتصادية والنفطية.

---

(١) إيران تصد القوات الأمريكية بالحرب الخاطفة ـ وكالة شينخوا الصينية للأنباء: ١١/٦/٢٠٠٧م.

٣- احتضانها لفعاليات إسلامية عديدة، من بينها يوم القدس العالمي وغيره، والذي تحاول من خلاله الترويج لدورها «الإسلامي»، ويضاف إلى ذلك علاقاتها المتميزة مع بعض القوى الإسلامية ذات السمعة الطيبة في العالم الإسلامي، كحركة حماس.

ثم جهود إيران للقيام بدور إسلامي محوري، كاستضافتها لقمة العالم الإسلامي، وجهدها الدؤوب لخلخلة المكانة التي تتمتع بها المملكة العربية السعودية كدولة تحتضن الحرمين الشريفين وتشرف عليهما وتقوم بخدمة الحجيج، إضافة إلى دورها الدعوي البارز في الخارج من خلال نشر المراكز الإسلامية وبناء المساجد في البلدان المختلفة سواء للجاليات أو الأقليات الأصلية أو الدول الإسلامية بوجه عام.

وهذه الخلخلة تقوم بها عبر جهدها لإدانة الدور السعودي ومحاولة لصق تهم الإرهاب به من جهة، ومن جهة أخرى إظهاره بنحو الموالي للغرب على نحو لا يصلح معه أن يقوم بدور ريادي.

وأيضًا محاولة نزع هذا الشرف الذي تتمتع به السعودية برعاية الحرمين الشريفين، عبر المطالبة الدؤوبة بتدويل الإشراف عليهما، وهي للمفارقة غير البريئة ما أوصت به دراسة عسكرية أمريكية نشرت في المجلة العسكرية الأمريكية المتخصصة «أرمد فورسز جورنال» وغيرها من الصحف الأمريكية، بأن يتم تدويل مناطق المشاعر لتقع تحت إشراف إسلامي لا يستبعد أن يكون للإيرانيين دور فيه[١]

(١) رالف بيترز - حدود الدم نحو نظرة أفضل للشرق الأوسط - فصلية سلسلة استراتيجيات المصرية: يونيو ٢٠٠٧م.

٤- قيادتها لتيار ما يسمى بالمقاومة أو الممانعة الذي يضم إلى جانب إيران، سوريا و«حزب الله» وحماس والجهاد الإسلامي، وتوسعها إقليميًا على حساب دول كالسعودية ومصر، وتمكنها من التأثيرات على ملفات أخرى إقليمية كانت حكرًا فيما مضى على قوى أخرى، مثل القضية الفلسطينية واللبنانية واتفاقات التسوية مع «إسرائيل»، لاسيما عبر تركيا أو قطر.

٥- ارتفاع الأصوات الداعمة لها في المنطقة العربية في العراق ودول الخليج وحتى في أوساط النخبة المثقفة في غير ما بلد مؤثر مثل مصر والمغرب، وفي ذلك يذكر أنه لما قام أحمدي نجاد رئيس إيران بزيارة إلى مرفأ بوشهر، حيث كان الروس يبنون أول مفاعل نووي إيراني، قال لأهل المنطقة: «إن كل دول العالم تقف وراءنا»، مستدركا: «إن ثقافة الاستشهاد هي منبع قوتنا، ونحن مفوضون لنشر هذه الثقافة المقدسة في العالم، من أجل استتباب العدالة»[1].

وهو ما دعا إيران لأن تطلب مؤخرًا بمقعد دائم لـ«الأمة الإسلامية» بمجلس الأمن، غير بعيد أن تكون أكثر الدول عملاً على الاستحواذ عليه.

٦- تقدم إيران نفسها أيضًا للغرب على أنها ما زالت قادرة على لعب دور الدولة العازلة (جغرافيًا وحضاريًا وسكانيًا) بين روسيا وحلفائها من جهة والعالم العربي من جهة أخرى، والدولة العازلة أيضا ما بين الجنوب «السني الوهابي» الذي صدر الإرهاب إلى العالم الغربي والتي يرشح لها «الهلال الشيعي» ضمن منظومة قيادة دينية دور الفاصل ما بين أوروبا والدول

---

(١) صحيفة الشرق الأوسط: ١/ ٢/ ٢٠٠٦م.

العربية التي يمكن أن تثير شعوبها قلاقل ضد أوروبا، كما نظرت إليها كدولة «مخوفة» لدول الخليج بما يجعلها في حاجة ماسة إلى الوجود والدور والسلاح الأمريكي، وتقدم كذلك إيران نفسها للغرب على أنها دولة ليس لها «تاريخ أسود» مع «إسرائيل» كذاك الذي تتمتع به مصر والعراق كأكبر دولتين عربيتين كانت لهما الريادة العسكرية في المنطقة العربية، ويمنع معتقدها المختلف عن جموع المسلمين من قيامها بدور تحريضي ضد الغرب يمكنه أن يحدث خرقًا في موازين القوى الحالية لصالح المسلمين.

ويرى الكاتب في الشؤون السياسية طلعت رميح أن «العداء» لإيران الخميني من قبل الولايات المتحدة «اقتصر على منعها من مد نفوذها باتجاه مناطق النفوذ الأمريكي في المنطقة العربية، وكانت الخطة في المواجهة هي «خطة الاحتواء داخل الاستراتيجية الأمريكية».

وفى ذلك يبدو مهما التذكير هنا بما قاله الكاتب الصحفي محمد حسنين هيكل، من أن مراسلي وكالات الأنباء وأجهزة التلفزة الأمريكية التي كانت تغطى أحداث الثورة الخمينية دارت في طهران كلها فلم تجد أحدا يرفع شعارات العداء للولايات المتحدة ولا يحرق أو يهاجم رموزها، فما كان من تلك الفرق إلا أن أتت بأعلام أمريكية وصارت توزعها على المتظاهرين لحرقها من أجل التقاط صور للتلفزة الأمريكية لإعلان الثورة معادية للولايات المتحدة»[1].

---

(١) طلعت رميح - «عطسة» فى الخليج وتقع الحرب الأمريكية - الإيرانية! - موقع المسلم: ١٦/٢/٢٠٠٧م.

على أن هذه التطلعات الإيرانية التي يجري العمل عليها بصبر، قد لا تجد سبيلها للتنفيذ برغم النجاحات التي حققتها إيران في صعيد اختراق العالم الإسلامي، لأن كثيرًا من أوراق القوة التي تملكتها طهران فقدت نظائر لها بعد أن وضعت أجندتها الخاصة على طاولة البحث لدى كثير من الكتاب والخبراء في العالم الإسلامي بما أفضى إلى تصدير معطيات حولها بكثافة إلى «الشارع» الإسلامي، الذي لم يرحب من جهته بالتدخل الإيراني السافر في العراق، كما لم ينظر لرفع الأعلام الإيرانية في مدارس الكويت والبحرين بعين الارتياح، ولم يعد يجد تفسيرًا معقولاً لأحداث بيروت في ٩ - ١٠/ ٥/ ٢٠٠٨.

غير أن إيران لم تزل عازمة ليس على تصدير ثورتها فحسب، وإنما على ريادة العالم الإسلامي والسيطرة عليه وتحويله إلى «مذهب أهل البيت» وفق التسمية الإيرانية، وهو ما سيخلق أجواء ـ ربما ـ ساخنة في الأعوام القادمة، يقول باقر الصراف: «إنَّ الجسم القيادي الإيراني يرى التالي: (من الضروري أنْ يكون الإسلام لإيران) أي أنْ يكون فارسيًا صفويًا، كما تشير إليه الممارسة الحالية للدولة الإيرانية، جاء ذلك القول على الشكل الآتي: (منذ الأيام الأولى للثورة الإسلامية في إيران كان هناك جدلية ساخنة بين مَنْ يقول (إيران للإسلام) وبين مَنْ يقول (الإسلام لإيران) وأخيرًا حسمت الجدلية لصالح الفريق الثاني وبفوز ساحق، ولا شك أنَّ للتركيبة الشخصية الإيرانية دورًا مهمًا في تحقيق هذا الفوز»[1].

---

(١) باقر الصراف - مصدر سابق.

رابعًا: الصراع الدائم مع الغالبية الإسلامية السنية:

لا تنكر إيران أنها تشكلت من خلال صراع كبير، تحتفظ فيه بتاريخ دموي وإرث قل نظيره في سائر البلاد الإسلامية؛ فتلك الدولة التي يزيد عدد سكانها الآن عن ٧٠ مليونًا، يشكل المسلمون السنة فيها نسبة تبلغ ٣٠٪ في وفقًا للمعطيات السنية الحقيقية، أو ١٠٪ وفقًا للإحصاءات الشيعية الرسمية، كان المسلمون السنة فيها يشكلون نحو ٩٠٪ من سكانها قبل أن تبتدئ الدعوة الصفوية مجازرها في القرن الخامس عشر الميلادي وترغم شافعية إيران على التحول إلى الإمامية الشيعية، ويسجل ذلك د.علي شريعتي؛ فيقول: «وبينما كان العثمانيون منهمكين في دحر القوات الغربية وتحقيق الانتصارات المتوالية، إذا بقوة جديدة تظهر على حدودهم الشرقية وتباغتهم من الخلف ؛ ثورة في إيران يقودها رجل من سلالة الشيخ صفي الدين الأردبيلي أحد أقطاب التصوف. واستطاعت هذه الثورة تأجيج الغضب والسخط والأحقاد»[1]، وقد كان حينها على الشاه إسماعيل الصفوي أن يدير المعتقد الذي عليه سكان إيران حينها، ليكون الشافعية السنة بين ليلة وضحاها، جعفرية إمامية، واحتاج ذلك إلى جهد خارق لحرق الزمن استباقًا لاشتعال أي ثورة ضد الصفويين أو وصول طلائع الفتح العثماني إليها، وقد «جاء في نسخة مخطوطة في مكتبة البرلمان أنه في مطلع العهد الصفوي كان القزلباشية الصفوية (وهم

---

(١) علي شريعتي - حقيقة التشيع الصفوي: ١٢.

عشيرة اعتمد عليها الشاه في تصفية المؤمنين السنة) يجوبون شوارع وأزقة المدن وهم يصيحون بصوت واحد: اللعنة على أبي بكر، اللعنة على عمر، وكان يتعيّن على المارّة أن يردّدوا هذا الشعار معهم، وكل من يتردّد في ذلك سيغرز الحراس حرابهم في صدره لإخراجه من حالة الشك والتردّد»[1].

وتسارعت خطى الصفويين بجميع أرجاء دولة إيران الحالية، وامتد نفوذهم حتى إقليم هيرات الذي ما زال إلى اليوم يضم طائفة شيعية وامتدت إليه قوى الحرس الثوري فورًا إبان الغزو الأمريكي لأفغانستان في أكتوبر ٢٠٠١، تمامًا مثلما عبر فيلق بدر إلى الجنوب العراقي بالتزامن مع الغزو الأمريكي - البريطاني للعراق في إبريل ٢٠٠٣، وهي خطوات تكررت فيما كان البرتغاليون يحجمون النفوذ العثماني في الخليج بمعاونة صفوية، ثم البريطانيون في الخليج أيضًا أواخر القرن الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي، ومن يدقق جيدًا في ذلك «يلحظ مدى التشابه والتوافق بين أوضاع المجتمع الإيراني المسلم هذه الأيام (أي قبل الثورة) وأوضاعه في أيام الصفويين ممّا يعطي انطباعًا حيًّا عن الدور الذي لعبه التشيّع الصفوي وأقطابه، وذلك لمن يريد أن يبحث القضية تاريخيًّا واجتماعيًا»[2].

---

(١) المصدر السابق: ١٣.

(٢) المصدر السابق: ١٥.

إن ما يتركه هذا الموروث التاريخي للصفويين والشاهنشاهيين لدى الخمينيين وأتباع الثورة الإيرانية لاشك أنه مؤثر في صناعة القرار السياسي الإيراني، وإن حاول بعض المفكرين استبعاده، كون محطات التاريخ جميعها تشي بذلك؛ فكيف لمحلل ما أن يتجاوز عن مليون قتيل في بغداد إبان هجوم التتار بتسهيل من ابن العلقمي الوزير الشيعي، ومليون آخرين قتلوا على يد إسماعيل الصفوي، ومثلهم - أو قريب من ذلك - قتلوا في العراق خلال أعوام الاحتلال على أيدي الميليشيات الموالية لإيران؟! في حين أن أيا من الحوادث المغايرة لهذا الانطباع يكاد يخلو منها التاريخ على طوله وتنوعه.

وعطفًا على ذلك، هل يمكن أن يتوقع أن تكون العراق يومًا دولة خالصة للشيعة مثلما صارت هكذا إيران أو كادت، استهداء بسوالف الزمان؟!

إن من الصعب ابتداء تصور حجم الأحقاد التي أشربها الشاه إسماعيل الصفوي وحدت به إلى حفر اسمه في تاريخ المجازر وهو بعد لم يجاوز ٣٧ عامًا انتهى عليها أجله، لكن هذا العجب قد يزيله مثال قريب لمجازر جرت في أحياء بغداد وغيرها نفذتها ميليشيات «جيش المهدي» الذي يعود إلى آمره البالغ من العمر سنًا مقاربًا، لكن على كل حال فليست القضية عمرية، وإنما التشابه حاصل في السياسات والمنطلقات الدينية الحاكمة للدولة الصفوية والدولة الإيرانية الحالية، وإذا كانت الدولة الصفوية هي موضع تقدير من النظام الحالي؛ فإن محاكاتها ليست أمرًا مستبعدًا ابتداءً؛ فكيف إذا جاء الحاضر ليؤكده، يقول صباح الموسوي[1]:

---

(١) رئيس حزب النهضة الأحوزي، وهو شيعي إمامي معارض للدولة الإيرانية.

«مع انتصار ثورة الشعوب الإيرانية ضد نظام الحكم البهلوي وقيام ما يسمى بنظام جمهوري إسلامي تبنى قادة هذا النظام مشروع تصدير الثورة لإسقاط الأنظمة السنية. ولهذا فقد تم إنشاء العديد من الأحزاب والحركات السياسية الشيعية في عدد من البلدان الإسلامية بغية خلخلة وضعها الأمني وتهيأت الظروف لإسقاط أنظمتها وتحقيق حلم الشعوبية الهادف إلى إعادة الامبراطورية الفارسية تحت عباءة التشيع.

ومن أجل تحقيق هذا الحلم نجد أن النظام الإيراني قام (بواسطة علي أكبر محتشمي) بتأسيس حزب الله اللبناني والذي كان شعاره عند التأسيس في عام ١٩٨٢ م ولغاية عام ١٩٩٢م هو (حزب الله الثورة الإسلامية في لبنان) وكذلك حذا حزب الله الحجاز بزعامة السيد هاشم الشخص حذو قرينه اللبناني ورفع شعار(تحرير الحرمين الشريفين) وهكذا فعل كل من، حزب الله الكويت بزعامة الشيخ عباس بن نخي، ومنظمة الثورة الإسلامية لتحرير الجزيرة العربية بزعامة الشيخ حسن الصفار، وجبهة الثورة الإسلامية لتحرير البحرين بزعامة هادي المدرسي، والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق بزعامة محمد باقر الحكيم وحزب الوحدة الأفغاني بزعامة الشيخ علي مزاري وحركة الفقه الجعفري في باكستانية بزعامة ساجد نقوي و.....الخ. فجميع هذه الحركات تأسست بهدف إسقاط الحكم السني في بلدانها من خلال ممارسة العمل المسلح الذي هو جزء من منهج حركة الشعوبية التي سخرت العاطفة ومحبة أهل البيت كأحد أهم عناصر خطابها السياسي لحشد مؤيديها ضد سلطة الحكم الأموي والعباسي وصولا إلى النظام العربي الحالي»[١].

---

(١) صباح الموسوي - ما بين الحركة الشعوبية والمدرسة الإسلامية السنية - موقع إيلاف الإخباري: ٨/٤/٢٠٠٦م.

إن ما يتقدم ويتأخر في هذا الكتاب يكفينا الإطناب هنا، لكن من المهم أن يقال أن إيران اليوم، كما الدولة الصفوية لم تحرك ساكنًا عندما وقعت المجازر الرهيبة للمسلمين في البوسنة والهرسك التي أودت بحياة عشرات الآلاف وأصابت وشردت مئات الآلاف من المسلمين، ووقعت مذابح مشابهة في الشيشان، والصومال، وأفغانستان، والهند، وكشمير، ولبنان، والعراق، ثم افتقد المسلمون الدولة الإيرانية في تلك الحوادث جميعها ـ بل للإنصاف ـ وجدوها في الجهة المقابلة، مع الولايات المتحدة وروسيا والصرب والهند (الهندوس) و(الموارنة والدروز والنصيريين) لبنان.

وتعقيبًا، لا تسقط إيران تلك الدول من حسابها، بل تتجه إليها فورًا بعد المعارك، لإجراء عملية تشييع منظمة لمن بقي من المسلمين على قيد الحياة.

وعلى ذلك؛ فإنه لا التاريخ ولا الحاضر يمكنه أن يمنح إيران صكًا بالبراءة من تلك السمة التي ميزت سياستها على اختلاف دولها متى كانت تعتنق هذا «المذهب» الذي يعتقد صاحبه أن «الناصبي» -أي السني- أشد كفرًا من أصحاب العقائد الأخرى.

* * *


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



الاستراتيجية الإيرانية وما طرأ عليها من تغيير وتطوير

لا يمكن في الحقيقة أن تؤخذ الأوراق السرية بشكل سري كخطط استراتيجية أو تقارير صادرة عن أجهزة دولة وكذلك عن مراكز بحثية قريبة من دوائر صنع القرار في الدول التي تعد قوى عظمى دولية أو إقليمية بعين التسليم والإقرار، كما لا يمكن في المقابل إهمالها كليًا، وإنما الواجب وضعها على طاولة البحث والدراسة وبين يدي الحقيقة التي تصدق أو تكذب ما ورد في الوثيقة.

الوثيقة ليست جديدة، لكنها متجددة، وما تشعر به لأول وهلة أنها حقيقية، وهي قد نقلت عن نشرات رابطة أهل السنة في إيران ـ مكتب لندن ـ في مارس من العام ١٩٩٨ بمجلة البيان[١] بتعليقات الناشط السني د.عبد الرحيم البلوشي مشددًا على كونها «رسالة سرية للغاية موجهة من شورى الثورة الثقافية الإيرانية إلى المحافظين في الولايات الإيرانية» وبوسعنا أن نوجزها الآن بما لا يخل بمعانيها في نقاط:

الخطة على محورين: داخلي في مناطق السنة ويرنو إلى تغيير التركيبة الديموجرافية للسنة فيها، بهدف عدم الإبقاء على مناطق سنية خارج السيطرة الشيعية والفارسية في إيران.

---

(١) مجلة البيان السعودية: يناير ١٩٩٩م.

وخارجي يتناول الدول العربية على وجه الخصوص، ويمتد ليشمل الدول الإسلامية التي يمكن العبور فيها إلى التشييع الكامل أو السيطرة الشيعية على مقاليد الحكم فيها، وتسميها الوثيقة بـ«دول الجوار».

تعمد الوثيقة إلى التوصية باستخدام أسلوب سلمي، هادئ يستمر لنحو خمسين عامًا، ويتخذ من كل مرحلة وسيلة لكسب مزيد من التسلل إلى المحيط السني، وقد تبين لواضعيها المفترضين أن بلادهم قد أخطأت الطريق حين جهرت بعدائها للآخرين مبكرًا واستعدت دولاً كثيرة ضدها، وأنه من الواجب أن تحسن علاقاتها بالجميع الآن. وجاء في نص الوثيقة في هذا الخصوص:

«إذا لم نكن قادرين على تصدير ثورتنا إلى البلاد الإسلامية المجاورة فلا شك أن ثقافة تلك البلاد الممزوجة بثقافة الغرب سوف تهاجمنا وتنتصر علينا.

وقد قامت الآن بفضل الله وتضحية أمة الإمام الباسلة دولة الإثني عشرية في إيران بعد قرون عديدة، ولذلك فنحن ـ وبناءً على إرشادات الزعماء الشيعة المبجلين ـ نحمل واجبًا خطيرًا وثقيلاً وهو تصدير الثورة؛ وعلينا أن نعترف أن حكومتنا فضلاً عن مهمتها في حفظ استقلال البلاد وحقوق الشعب، فهي حكومة مذهبية ويجب أن نجعل تصدير الثورة على رأس الأولويات، لكن نظرًا للوضع العالمي الحالي والقوانين الدولية ـ كما اصطلح على تسميتها ـ لا يمكن تصدير الثورة بل ربما اقترن ذلك بأخطار جسيمة مدمرة.

ولهذا فإننا خلال ثلاث جلسات وبآراء شبه إجماعية من المشاركين

وأعضاء اللجان وضعنا خطة خمسينية تشمل خمس مراحل، ومدة كل مرحلة عشر سنوات، لنقوم بتصدير الثورة الإسلامية إلى جميع الدول المجاورة ونوحد الإسلام أولاً؛ لأن الخطر الذي يواجهنا من الحكام الوهابيين والمتسننين أكبر بكثير من الخطر الذي يواجهنا من الشرق والغرب؛ لأن هؤلاء الوهابيين وأهل السنة يناهضون حركتنا وهم الأعداء الأصليون لولاية الفقيه والأئمة المعصومين، حتى إنهم يعدون اعتماد المذهب الشيعي كمذهب رسمي دستورًا للبلد أمرًا مخالفًا للشرع والعرف، وهم بذلك قد شقوا الإسلام إلى فرعين متضادين.

بناء على هذا: يجب علينا أن نزيد نفوذنا في المناطق السنية داخل إيران، وبخاصة المدن الحدودية، ونزيد من عدد مساجدنا و(الحسينيات) ونقيم الاحتفالات المذهبية أكثر من ذي قبل، وبجدية أكثر، ويجب أن نهيئ الجو في المدن التي يسكنها ٩٠ إلى ١٠٠٪ من السنة حتى يتم ترحيل أعداد كبيرة من الشيعة من المدن والقرى الداخلية إليها، ويقيمون فيها إلى الأبد للسكنى والعمل والتجارة، ويجب على الدولة والدوائر الحكومية أن تجعل هؤلاء المستوطنين تحت حمايتها بشكل مباشر ليتم إخراج إدارات المدن والمراكز الثقافية والاجتماعية بمرور الزمن من يد المواطنين السابقين من السنة ـ والخطة التي رسمناها لتصدير الثورة ـ خلافًا لرأي كثير من أهل النظر، ستثمر دون ضجيج أو إراقة للدماء أو حتى رد فعل من القوى العظمى في العالم، وإن الأموال التي ستنفق في هذا السبيل لن تكون نفقات دون عائد».

ووضعت الخطة خمس مراحل لتنفيذها، واستثنت دولاً من المرحلة الأولى لأنها تجاوزتها فعليًا، وهي: «تركيا والعراق وأفغانستان وباكستان وعدد من الإمارات في الحاشية الجنوبية ومدخل الخليج (الفارسي)»، وملامح المراحل كما يلي:

المرحلة الأولى:

تتمحور حول (الاستيطان) من قبل العملاء المهاجرين إلى دول إسلامية مجاورة بعد تحسين العلاقات مع حكوماتها في بعض مناطق الدول السنية المختارة بعناية بحيث تكون قرى جديدة ومدن صغيرة، ثم التلاقي وإقامة علاقات مع أصحاب رؤوس الأموال وكبار المسؤولين والموظفين.

وبدء نشاط اقتصادي مدروس بدقة.

المرحلة الثانية:

العمل على إقامة الحسينيات والجمعيات والحصول على تراخيص لتنظيم الاحتفالات الشيعية، والسعي خلف التجنس عبر الرشا والطرق الأخرى، لتوطين المهاجرين بشكل رسمي والبدء في توسيع الهوة بين من تدعوهم الوثيقة بـ«علماء الوهابيين» وحكومات الدول التي يعيشون فيها، عبر تشجيع هؤلاء على إثارة الشغب ومعارضة أنظمة الحكم السائدة، في وقت يعمل الشيعة على تجسير العلاقة بينهم وبين حكومات تلك الدول، من خلال الحرص الدائم على إظهار «احترام الشرعية والقانون» في تلك الدول، ما يمهد مستقبلاً للتوظيف السياسي لذلك.

وفي هذا الصدد ستزداد الدولة في حصار المتدينين استنادًا إلى مسؤليتهم عن أعمال العنف والشغب والمعارضة، ما يزيد أكثر من حنق علماء «الوهابيين» عليهم، في ظل حيادية مقصودة في تلك المرحلة من الشيعة المستوطنين.

المرحلة الثالثة:

مزيد من ترسيخ الصداقة مع أصحاب رؤوس الأموال والموظفين الكبار في السلك العسكري والقوى التنفيذية من دون التدخل في الأنشطة الدينية، بل وإظهار الولاء الكامل للسلطة ساعة تزداد العلاقة بين أهل الحكم وعلماء ودعاة السنة سوءًا، وهنا يبدأ كبار المشايخ الشيعة المشهورين في إبداء حسن نواياهم تجاه السلطة وإظهار التشيع والدعوة إليه بشكل واضح.

وعلى صعيد آخر يجري ضرب اقتصاد تلك الدول ومحاولة السيطرة عليه، والسعي لدى الأصدقاء في أروقة الحكم لتقلد وظائف حكومية رفيعة.

المرحلة الرابعة:

تنص الدراسة في تلك المرحلة إجمالاً على أنه «سيكون قد تهيأ أمامنا دول بين علمائها وحكامها مشاحنات، والتجار فيها على وشك الإفلاس والفرار، والناس مضطربون ومستعدون لبيع ممتلكاتهم بنصف قيمتها ليتمكنوا من السفر إلى أماكن آمنة؛ وفي وسط هذه المعمعة فإن عملاءنا ومهاجرينا سيعتبرون وحدهم حماة السلطة والحكم، وإذا عمل هؤلاء العملاء بيقظة فسيمكنهم أن يتبوؤوا كبرى الوظائف المدنية والعسكرية ويضيّقوا المسافة بينهم وبين المؤسسات الحاكمة والحكام، ومن مواقع كهذه يمكننا

بسهولة بالغة أن نشي بالمخلصين لدى الحكام على أنهم خونة؛ وهذا سيؤدي إلى توقيفهم أو طردهم واستبدالهم بعناصرنا».

وترصد الدراسة لذلك فائدتين إحداهما: اكتساب ثقة الحكام، والثانية: مزيد من السخط الشعبي على الحكام بسبب القرب من الشيعة، وهو ما سيفسح المجال جدًا لتقدم الشيعة وإبداء ولاء أكبر للحكم وحرصًا موازيًا على إنقاذ الموقف.

المرحلة الخامسة:

هي تهيؤ البلاد حينئذ للثورة؛ فإما أن يكون العمل على إطفائها عبر تولي الحكم بشكل غير مباشر عن طريق «تشكيل مجلس شعبي لتهدئة الأوضاع» للشيعة نصيب الأسد في تشكيله، أو الثورة المباشرة ضد الحكام فاقدي الشعبية، وأي السبيلين يتخذ بحسب الإمكان.

وإلى هنا تنتهي مراحل الخطة التي بنيت على أن أركان الدول تبنى بالأصل على أسس ثلاثة:

الأول: القوة التي تملكها السلطة الحاكمة.

- **الثاني:** العلم والمعرفة عند العلماء والباحثين.

الثالث: الاقتصاد المتمركز في أيدي أصحاب رؤوس الأموال.

وبتركيز هذه الأسس شيئًا فشيئًا في أيدي «المستوطنين» الشيعة الجديدة، يتم إنجاز أهداف الخطة الاستراتيجية هذه.

والملاحظ في هذه الخطة أمور بعضها يصدقها والبعض لا يؤكدها، بما يمكن النظر إليه من هذه الوجوه:

إزاء مثل هذه الخطط والوثائق السرية بوجه عام؛ فإن المراقب يضع باعتباره احتمالات، منها أنها قد تم تسريبها عمدًا لإحداث بلبلة في صفوف المخططين المقابلين ـ إن وجدوا ـ أو هي صادقة السند لكن متنها من الصعب أن يقوم الواضعون له على هذا النحو المتسلسل البسيط، والذي هو في الحقيقة أقرب إلى الأحلام منه إلى الآمال والتطلعات، وهو بهذه البساطة يسدي إلى حكومات الجوار معروفًا بإطلاعها على هذه المخططات حال تسرب خطتها.

فإن قيل ليس في ذهن المخططين أن تتسرب هذه الوثيقة بهذا النحو، قال المعترضون: وهل لخطة يستمر تنفيذها خمسين عامًا أمان من العبور إلى الطرف الآخر من الصراع؟ وهل لخطة استراتيجية كهذه أن توزع هكذا بسهولة على حكام المحافظات الإيرانية وهم كثر، ولا يؤمن تسريبهم إياها، والأولى أن توزع على التنفيذيين بشكل مرحلي، ويبتعد شأنهم قليلاً عن طموحات المخططين الاستراتيجيين في خارج البلاد، وحيث هذا شأن مجلس الأمن القومي أو الحرس الثوري أو أجهزة التخطيط عمومًا لا السلطات التنفيذية المحلية غير المعنية بشكل مباشر بالعمل خارج البلاد؟!

والخطة كما تقدم استفزازية نوعًا ما، وتفضي إلى تجييش العداء الرسمي في الدول العربية ضدها، والاحتراز منها، وتأليب الغاضبين من الطموحات الإيرانية في سائر دول الجوار ضدها، لكنها مع ذلك تثير خوفًا بالتأكيد بين المفكرين الاستراتيجيين في الدول المجاورة، وربما ذعرًا عند عرضها على الجمهور السني في بعض البلدان الصغيرة المجاورة لإيران.

والحق أنها لو كانت صادقة فهي ليست قدَرًا لا يمكن الفكاك منه، ولا هي أحلام عبثية لا يمكن تحقيق بعضها في بعض دول الجوار، وعلى هذا ينبغي أن تنبني نظرة متزنة، ليست لها بالضرورة، بل لكل المعطيات المتوافرة بما يمكن رسم هيكل حقيقي لا يمكن تكذيبه من شواهد الواقع وأحداث الحاضر.

وإن كانت كاذبة؛ فهي صافرة إنذار ولو كانت وهمية؛ فإنها تهب للسامعين لها قدرًا من اليقظة يحميهم من الخدر والذهول في ساعة الحقيقة.

على أية حال فما يمكن أن يتوافق مع الواقع فهو مؤشر على وقوعه ـ في الغالب ـ داخل سياج الاستراتيجية الإيرانية للسيطرة على المحيط وما يخالفه لا يحكم بالضرورة على عكس ما نقول، وباستطاعتنا أن نلاحظ ما يلي:

أولاً: ما تقوم به السلطات الإيرانية في الداخل السني داخل الدولة الإيرانية من عمليات تهجير وترحيل وتغيير من شكل الخريطة السكانية بما يقلل من قدرة أهل السنة على الحركة أمر يصدقه الواقع ولا تكذبه الدراسات، وبنظرة على مناطق البلوش والأحواز يمكن تلمس ذلك، والواقع أن هذه الطريقة ليست مبتدعة، وإنما جرى بها العرف من قبل؛ فاستخدمها ستالين حينما نفى المسلمين وسط روسيا والقوقاز إلى سيبريا الشمالية، وغير من بنى دول آسيا الوسطى وما إلى ذلك، واستخدمها حتى الرئيس السابق للعراق صدام حسين في الشمال الكردي والجنوب وفي بغداد ذاتها، واستخدمها الزعماء الصرب مرارًا في البلقان، وما إلى ذلك، وهي تكاد تكون مسلَّمة سياسية عند الدول التي تحْذَر من أقلياتها وتقمعهم وتبعثر طموحاتهم في الشتات وتفصل بينهم ببقع من القومية السائدة التي تشكل النظام الحاكم.

ثانيًا: هناك تغيير استراتيجي لابد أن تراعيه أي خطة مستقبلية يمكن أن تكون وضعت داخل أروقة الحكم الإيراني استنادًا إلى التغيير الجوهري الطارئ على خريطة المنطقة العربية (والشرق الأوسط إن جاز التعبير بمصطلحه)؛ فالتغير الهائل الذي أحدثه التعاون الأمريكي - الإيراني في العراق (وأفغانستان بدرجة أقل كثيرًا) أفرز عدة معطيات جديدة سارعت من وتيرة تنفيذ أي مخطط معد سلفًا أو هو بالتحديد قد غير وجهة أحداث المنطقة باتجاه يفيد تلقائيًا أصحاب هذا الطرح، وإذا كنا لا ننظر بالضرورة بعين الشك لهذه الخطة الآنفة الذكر؛ فإنه من المهم أن نلاحظ أن التغيير الحادث كليًا على المنطقة أكبر بكثير من التغييرات الجزئية.

بمعنى أن إيران واجهت الآن عدة استحقاقات وحصدت أكثر من مزية من اقتسامها؛ فإيران توافرت على أوراق لعب استراتيجية جديدة منها، عودة الشيعة إلى ميدان التأثير النفطي مع تناقص المخزون النفطي في إيران، وازدياده في العراق، الذي أضحى إضافة معتبرة لقوة الشيعة الاقتصادية العالمية، وتحديدًا مع الحجم الهائل للنفط المهرب من الجنوب العراقي، وتسليم القوات البريطانية الجنوب العراقي غضًا دون عناء إلى الفصائل الشيعية، وسيطرة الفصائل الشيعية على مقاليد السلطة في العراق، بدعم واضح من الاحتلال الأمريكي، وتنامي القوى الشيعية في دول الخليج لاسيما الكويت والبحرين، والهجرة المؤثرة نسبيًا إلى مدينة ٦ أكتوبر المصرية، وبدأت الأنشطة الشيعية تأخذ أبعادًا سياسية ودينية لافتة، والتشيع الواضح في سوريا برعاية رسمية لافتة، والدعاية الإيجابية التي تمتع بها «حزب الله» من وسائل الإعلام العربية القومية وبعض الإسلامية في أعقاب حرب يوليو ٢٠٠٦م، وتفعيل

ذلك من خلال الندوات والمهرجانات والصحف وغيرها، ودور الولايات المتحدة اللافت في حرق خصوم «حزب الله» في لبنان بالعمل دومًا على تقديم الدعم الكلامي دون العملي لهم، والتنامي الواضح في نفوذ القنوات التلفزيونية الشيعية على الفضاء العربي، والدعم اللافت الذي تلقاه الأقليات الشيعية من وسائل الإعلام الأمريكية العربية لاسيما قناة الحرة وراديو سوا والقنوات العربية الدائرة في فلكهما، علاوة على النفوذ النامي في قناة الجزيرة المؤثر الإعلامي السياسي الأظهر على الرأي العام العربي.

على أنه في مقابل ذلك، لابد من وضع السمعة السيئة التي عُرفت بها الميليشيات الشيعية في العراق، ونمو الوعي الشعبي المضاد للتشيع، وازدياد الإصدارات التوعوية الإسلامية والعربية في هذا الصدد في المكتبات وعلى شبكات الإنترنت، ودور المواقع الإسلامية في زيادة هذا الوعي، جميعها وغيرها في خانة التقليل من المخاطر الاستراتيجية المترتبة على زيادة القوة العسكرية والسياسية والدعم الأجنبي للنفوذ الإيراني، وأيضًا انتباه النظم الرسمية العربية ـ على تخوف ـ من هذه الأخطار، وإيعاز الولايات المتحدة الأمريكية تحديدًا إلى حلفائها بضرورة استيعاب إيران داخل أطر عربية وإقليمية، لا تعود بالنفع إلا على إيران، نفوذًا واقتصادًا وإعلامًا، وصمت الدول الكبرى على مضي إيران قدمًا في برنامجها النووي الذي يهدد الخليج العربي دون غيره، واكتفائها بفرض عقوبات هزيلة سرعان ما يجري خرقها من الطرق الخلفية للتهريب والتغاضي عن تبادل إيران الاقتصادي مع دول أوروبية وشركات أمريكية.

وهذا يؤدي إلى خلط الأوراق بوجه عام، وتحريك أي ثوابت قد تحكم استراتيجية معينة، فضلاً عن أن تكون مفضية إلى وضع أسس استراتيجية جديدة مغايرة لتلك التي اعتمدت تصدير «الثورة» بشكل سلمي.

نستطيع القول إنه مع ذلك فقد بدا جليًا أن إيران ماضية في تنفيذ استراتيجية ما، تتحدد ملامحها من خلال آليات بعضها تقليدي والآخر تفرضه اللحظة، ومن ذلك:

١- السعي نحو زيادة حجم التبادل التجاري بينها وبين الدول العربية، والسعي وراء التمثيل الديبلوماسي المتبادل بينها وجيرانها ما يفتح آفاقًا لتواجد المستثمرين الإيرانيين على أراضي تلك الدول، ووضع أقدام لهم في تلك الدول.. حي السيدة زينب في دمشق ـ مدينة ٦ أكتوبر نموذجان للتحرك الابتدائي لـ«التبشير» بالتشيع الديني ثم السياسي. وهما قد بدتا كجيتوهات يعدا مركزين للانطلاق ومقرين رئيسيين، والواقع أن فكرة الجيتوهات والتكتلات السكنية التي تتحدث عنها الخطة الخمسينية ليست إلا ارتدادًا حقيقيًا إلى الفكرة اليهودية التي أخذت عنها السبئية هذا المنحى، كما أن العمل على السيطرة على رؤوس الأموال في البلاد التي ترغب تلك التجمعات التحكم في سياساتها من لجم الاقتصاد، هي مبدأ يهودي كذلك، وكلاهما ـ سواء أكانت الخطة حقيقية أم لا ـ مطبق بالفعل سواء في تلك الدولتين وبعض دول الخليج (بدءًا من الهجرات السابقة أوائل القرن الماضي)، وحتى الآن في الدول العربية الأخرى غير المعروفة بوجود أقليات شيعية كمصر وسوريا (كإثني عشرية على نحو ملحوظ)، والتدفق المالي

المرافق لهذا «الاستيطان» في هاتين الدولتين الاستراتيجيتين على وجه الخصوص موحٍ بقوة إلى أن ما ورد في الخطة لم يكن محض خيال.

٢- ستر البداية عن عيون «المتطفلين»؛ فالتشيع في مصر هو تعبير عن الحب لآل البيت! المسكون في قلوب المصريين، وهم جميعًا ـ فجأة ـ قد ظهروا كنسل شريف لآل البيت، ولذا فالأشراف شيعة في عرفهم وتقديرهم، وهو امتداد للتصوف في مصر (برغم كون طرق صوفية ليست قليلة تلفظ هذا التشيع حينما تدرك حقيقته)، وهم أيضًا ضد التوريث كمعارضة تأنف من توريث الحكم ليزيد من معاوية على حد قولهم، وهم مدافعون عن حقوق الإنسان مثلما يفعل مرصد الإمام علي لحقوق الإنسان، وهم مع اليسار في رفض الأمركة ومع الناصريين ضد الساداتيين ومع الليبراليين في رفض التسلط ومناهضة (عاصمة جهنم) التي هي في الحقيقة ليست طهران وإنما سجون القاهرة، وفي سوريا هم أنصار «حزب الله» الذي يحمي سوريا من البوابة اللبنانية وأحد أبرز أوراق ألعابها، وهم أطباء معالجون في ساحة السيدة زينب، ولا عجب من بكائيات في صحن المسجد الأموي تحت ستار الوحدة.

وفي السعودية هم ضد الدولة بالأمس، حلفاؤها اليوم، المنادون بالوحدة وإنشاء «حزب الله» في الحجاز والشرقية، وهم أصحاب أكبر تفجير في الخبر، وأكبر إلحاد في بيت الله الحرام بالأمس، واليوم هم مناهضو الإرهاب، دعاة الوحدة، ومؤسسو بنية الاستقلال في القطيف وحواليه.

٣- من سابق القول فيما تقدم، أن إيران وضعت نصب أعينها التأثير الاستراتيجي لدول إسلامية كبيرة، كالسعودية بما تحويه من أماكن مقدسة

ونفوذ ديني في العالم الإسلامي، ونفط أيضًا يذكي «النار المقدسة الفارسية»، حيث ظلت الطاقة إكسير حياة الامبراطورية الفارسية على مدى ٢٥٠٠ عام. ومصر بما تمثله من ثقل إسلامي لأسباب عديدة أبرزها وجود الأزهر، ونسيجها الاجتماعي الفريد، وموقعها الجغرافي، ونخبتها، وثقلها السكاني، وتاريخها الديني، ووراثتها للدولة العبيدية أكبر الدول الشيعية على مر القرون. والعراق بحضارته وتاريخه وثرواته النفطية الهائلة. وتركيا ذات البعدين الجغرافي والحضاري الإسلامي والقوة الاقتصادية الصناعية الصاعدة. وباكستان صاحبة السلاح النووي «الإسلامي» وناقلة التقنية النووية عبر العالم الباكستاني عبد القدير خان لإيران والثقل السكاني الضخم. والسودان صاحب التأثير ال إفريقي الممتد وريادته التاريخية ل إفريقيا وتأثيره على منطقة القرن ال إفريقي الاستراتيجية. ثم بدرجات أقل الكويت بثقلها المادي وامتداداتها الخيرية في كافة أنحاء العالم الإسلامي، ودبي حاضرة الخليج العربي التجارية. وسوريا أكبر دول الشام الغالبة الأثر على فلسطين ولبنان والأردن.

من الجدير ذكره، أن التحول الاستراتيجي من عنف التصدير إلى «سِلمه» ليس حالة مرحلية بالضرورة، تنسحب على كافة الحالات؛ فتصدير الثورة، وإن كان نصت عليه الخطة في العراق تحديدًا بعد الهزيمة في الحرب العراقية – الإيرانية، كحالة من حالات التصدير السلمي؛ فقد شهد أعنف موجات التهجير الطائفي والعرقي في القرن الحالي، حيث فاضت أرواح مليون ونصف المليون من المسلمين معظمهم من السنة في العراق على أيدي فرق الموت وميليشيات الإجرام الطائفي في العراق في الفترة ذاتها التي شهدت

«تباشير» هذه الخطة، ومن ثم؛ فلا يمكن اعتبار الحالة العراقية التي شهدت في سنيِّها الأولى ضحايا أكثر مما شهدته فلسطين على مر تاريخها مذ أعلن الكيان الغاصب نفسه دولة فيها أواسط أربعينات القرن الماضي، وبالإجمال يصعب الاستدلال على الخطة بما جرى بعدها من أعمال عنف إجرامية، وإنما من الممكن جدًا الاستهداء بهذه الرغبة الموروثة والدفينة في حال الكمون لدى متعصبي الشيعة الإيرانيين في قتل من يخالفهم من السنة بدم بارد بما من شأنه أن ينسف الدعاوى السلمية لتصدير «الثورة» ويضربها في مقتل.

وليس ذاك للقول بأن إيران لم تتطلع إلى هذا التصدير بشكل لا عنفي في غالب الدول التي لا شوكة للشيعة فيها؛ فذلك مفهوم بداهة، كما أن استخدام العنف مفهوم كذلك في حال القوة والشكيمة، وبينهما تبقى الرغبة الدفينة في إحداث الاضطرابات متوافرة كما في البحرين وأحداث عنف بيروت في أوائل العام ٢٠٠٨ برغم كل قواعد اللعبة التي تغل أيدي «حزب الله» عن الاسترسال في أعمال كهذه.

إنما في الحقيقة يتبدى بجلاء أن لكل حالة ظروفها ومراحلها التي تفرضها أجندة معدة سلفًا لكنها في الوقت عينه ليست قاعدة جامدة لا يمكن تسييلها تبعًا للظروف المحلية والإقليمية والدولية، ووفقًا للمزاج الأيديولوجي العام المظلل لتلك المنطقة أو تلك.

بيد أن الواضح أن ثمة تسارعًا لافتًا في كل مناحي الأنشطة التصديرية في عموم بلدان المحيط الإيراني، وتنوعًا هائلاً في آليات التنفيذ، ولعل من الواجب التعرض مثلاً لجملة من الفضائيات الشيعية التي لا يقتصر دورها

فقط على التصدير الثوري والأيديولوجي وعبور الحدود بلا جوازات إلى عقول المستهدفين في سائر البلدان العربية فقط، لا بل لابد من رؤية التأثير المباشر الذي تصنعه تلكم المؤسسات الإعلامية على النخبة التي تستضاف من خلالها وما يمكن أن يمنح لبعضها من مكافآت وأعطيات نظير الظهور على شاشتها أو التعاون معها، والأمر ذاته ينسحب على كثير من الصحف التي أغدق عليها من المال النفطي الإيراني وأخماس الملالي لتتحول كليًا لدعم «حزب الله» والدولة الإيرانية، و«جبهة الصمود والتصدي والممانعة» بوجه عام، وهذا كله لا ينضح تأثيره على قراء تلك الصحف بل أيضًا على كتابها وإداراتها ذواتهم.

* * *


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



دول ينشط فيها الشيعة

الجزائر:

لفت المتابعين للشأن الشيعي في الجزائر عبارة الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي التي أطلقها في أعقاب حرب يوليو ٢٠٠٦ في لبنان، حين حذر من مغبة نشر التشيع في البلاد العربية السنية، وخص منها دولاً مثل الجزائر بالقول: «الجزائر بلد مالكي، اتركوا أهل السنة لمذاهبهم».

والواقع أن عددًا من الشباب الجزائري قد تأثر بالحرب التي جرت في لبنان، ما استغلته الدوائر الشيعية على الفور بالتحضير لما يسمى بـ«حزب الله المغاربي» والذي ينتظر له أن يمثل امتدادًا في الشمال الإسلامي الإفريقي والعربي الغربي، وقد أماطت صحيفة الشرق الأوسط السعودية عن معلومات نسبتها إلى البرلماني الجزائري عن حركة حمس سعيدي عبد الرحمن بأنه «يتم التحضير في بلاد غربية وفي بلاد الشام لمشروع حزب الله المغاربي»، ليضيف متحدثا عن شخص «يقيم بشرق الجزائر وزوجته لبنانية، إضافة إلى ذلك أنه يتمتع بنفوذ في الأوساط الشيعية خارج الجزائر، ويدعي أنه من كبار الشيعة في المنطقة المغاربية»، وتنقل الصحيفة أيضًا عن مصادر أخرى من حركة «حمس» قولها إن «الحركة تملك ملفا كاملا عن الموضوع»، وهو بحوزة زعيمها الحالي الوزير أبو جرة سلطاني، وسوف تتركه للوقت المناسب للبت

فيه، من دون أن يحدد جدولا زمنيا لذلك[1]، وهو ما يتلاقى مع التحذير الذي أطلقه الشيخ القرضاوي، الذي رأى ـ برغم دعوته إلى نوع من التفاهم مع الطائفة الشيعية ـ أن الأمر قد بلغ حدًا استرعى انتباه حزب الإخوان في الجزائر (حركة حمس).

على أن الأمر قد جاوز الأحزاب التي تتبنى ما يسمى بـ«الإسلام السياسي» إلى الطرق الصوفية؛ فقد طالب الدكتور محمد بن بريكة، المنسق الأعلى للطريقة القادرية في الجزائر وعموم إفريقيا، السلطات الجزائرية بالتعجيل في استحداث منصب مفتي الجمهورية لدعم جهاز المناعة الثقافي الضعيف أصلا، الذي يسهل بحسب قوله اجتياح المد الشيعي وتناميه، قبل أن يحذر من أن «التشيّع هو الفتنة القادمة بعد التطرف الوهابي وفتنة اللامذهبية». واعتبر ذات المتحدث خطر التشيّع قائما في ظل السكوت العام على هذه الظاهرة التي تهدد الجزائر أمنيا بالدرجة الأولى، وحث وسائل الإعلام على متابعة الظاهرة. مذكرا الأحزاب «الغارقة في حمى الانتخابات» بالواجب الواقع عليهم[2].

ويحاول الشيعة أن يجدوا في مناطق القبائل ضالتهم، حيث يروجون إلى مذهبهم في تلك المناطق تحت ذرائع مختلفة؛ فللتشيع تاريخ في منطقة القبائل ـ بحسب المصادر الشيعية ـ وله دلالات تتعلق بالأسماء والطقوس الشيعية التي اندرست علاقاتها بالتشيع ـ مثل مصر ـ لكنها ما زالت تدل على تشيع

---

(١) صحيفة الشرق الأوسط: ٢٨/٠٣/٢٠٠٧م.

(٢) مجلة الراصد: يونيو ٢٠٠٧م.

الجدود، ثم إن مناطق القبائل تعاني ـ أو هكذا تقول الحركات الانفصالية الأمازيغية ـ من التضييق السياسي والمعيشي، وهو ما يمكن ترجمته على الفور بلافتة «المظلومية» التي تعد وسيلة ناجعة للتحرر من ربقة الاضطهاد والتهميش، وفق الدعاوى الشيعية التي نجحت في كثير من الدول التي تعاني تفاوتًا طبقيًا أمكن استثماره في نشر التشيع.

الجزائر التي أعادت العلاقات الدبلوماسية في العام ٢٠٠٠ بعد فترة قطيعة، شهدت عدة حوادث بعد غزو العراق ٢٠٠٣م وحرب الجنوب اللبناني ٢٠٠٦م دلت على نية لدى الشيعة في طرق هذه المنطقة الاستراتيجية التي غدت أكثر أهمية بعدما كادت أن تتعافى من أزمتها الاقتصادية بعد فائض النفط الذي ساقه ارتفاع أسعار النفط إليها.

وإذ حاولت الولايات المتحدة الأمريكية أن تنمي علاقاتها الواعدة مع الجزائر، وفرنسا بأن تعاود رسم ملامح علاقتها بالجزائر على أرضية شراكة جديدة، لم تغب العين الإيرانية عن الجزائر ضمن منظومة الدول المغاربية.

ومن أبرز تلك الحوادث قرار وزير التربية الوطنية أبو بكر بن بوزيد، توقيف ١١ مدرّسا شيعيا من المدارس التعليمية التي كانوا يشتغلون فيها، والذي جاء على إثر مناشدة مجموعة من الأولياء بمدينة الشريعة «ولاية تبسة» الجهات المعنية للتحرك بقوة لوضع حد من خطر المد الشيعي ببعض المؤسسات التربوية، حيث يعمد بعض الأساتذة كما جاء في رسالة موقعة من قبل بعض الأولياء، لتمرير معتقدات وتوجهات شيعية والمعتمدة أساسا على تقديس آل البيت والطعن في بعض الصحابة وشتم بعضهم.

وفي بئر مقدم «أرسلت مديرية التربية مؤخرا لجنة تحقيق لإحدى المتوسطات على إثر شكوى من مدير المتوسطة مفادها أن أستاذا قام أثناء إحدى الحصص بسب وشتم أحد الصحابة الكرام أمام مسمع التلاميذ الذين أبلغوا أولياءهم بالحادثة، حيث تحرك الأولياء بقوة وأخذت القضية أبعادا وتداعيات كبرى، كانت محل متابعة حتى من قبل المسؤولين بالمنطقة، وعلى الرغم من محاولات عدة أطراف طي الملف وتطويق المشكلة من خلال مطالبة بعض الجهات المسؤولة من الأستاذ الذي شتم الصحابة، تقديم اعتذار أمام الأولياء والتلاميذ، إلا أن البعض مازال يبدي تخوفا من أن تكون هذه السلوكات بداية لإحياء دعوة شيعية، خاصة وأن هناك معلومات تؤكد أن منطقة بئر مقدم والشريعة وتبسة يوجد بها عناصر من اتباع المذهب الشيعي، البعض منهم لا يتورع في الجهر بذلك والبعض الآخر مازال يستعمل كما يعرف عند الشيعة «التقية» درءا لأي مشكلة قد تلحق به»[١].

ويقول «محمد العامري» المشرف العام على «شبكة شيعة الجزائر» أن التشيع في الجزائر «متفجر في كامل أرجاء التراب الجزائري متنقلا عبر كل الطبقات الاجتماعية، فسابقا كان يدور بين الشبان والآن ببركة صاحب العصر والزمان دخلت بيوت بكاملها في التشيع وسمعت أن أكبر متشيع عمره ٦٩ سنة».

---

(١) عبد المالك حداد - التشيع يخترق المجتمع الجزائري - موقع «الشهاب» الإسلامي الجزائري.

ويقول الكاتب أنور مالك: «من خلال ما جمعناه من معلومات عبر كل الولايات الجزائرية (٤٨ ولاية)، وحسب ما تم إحصاؤه من طرف جهات أمنية تكفلت بهذا الملف، فإن عدد الأشخاص المتشيعين حوالي ١٧٠٠ شخص أغلبيتهم الساحقة من الأسرة التربوية المعروفة بالدخل المتواضع، أي أنه ما يقارب ٠,٠٠٦٪ من مجموع السكان، وأما النشيطون والقائمون على شؤون الدعوة الذين يتمتعون بمكانة وممن يرتبطون بمكاتب المرجعيات الشيعية في الحوزات العلمية سواء بإيران أو العراق فلم يتجاوز عددهم المئة، وأيضا أن نسبة ٧٣٪ من هؤلاء المتشيعين الجزائريين قد زاروا إيران أو على الأقل سورية ولبنان»(١).

ويكشف الكاتب نفسه في مقال له بعنوان شيعة الجزائر: موسم الحج إلى ضريح خالد بن سنان العبسي عن أن «شيعة الجزائر يتواجدون كعادتهم وبصفة سرية لإحياء ذكرى عاشوراء بضريح خالد بن سنان العبسي، المتواجد بمدينة سيدي خالد ولاية بسكرة «الشرق الجزائري»، وهو ما دأبوا عليه خلال السنوات التي مضت وخاصة في ظل الظروف الأمنية المتدهورة»(٢).

---

(١) أنور مالك – الشيعة والتشيع في الجزائر: حقائق مثيرة عن محاولات الغزو الفارسي ـ موقع الكاتب: أكتوبر ٢٠٠٧.

(٢) أنور مالك – شيعة الجزائر: موسم الحج إلى ضريح خالد بن سنان العبسي ـ صحيفة مصر الحرة: ١٨/ ١/ ٢٠٠٨.

وأورد الكاتب ذاته في الحلقة السادسة من دراسته عن مواضع الحسينيات السرية بدقة بالغة وبالأسماء، والتي عادة ما تكون بالأساس شققًا مفروشة تمارس فيها الطقوس الشيعية بعد تشغيل شرائط الأغاني الصاخبة لتغطي على أصوات اللطائم وغيرها من طقوس الشيعة ذات الضجة الصوتية العالية، كما أورد أسماء من اخترقوا القطاع التعليمي في الجزائر[١].

تونس:

إذا جرى الحديث عن الجهد التشييعي في بلاد المسلمين، لا يمكن إلا أن يذكر محمد التيجاني السماوي صاحب كتاب (ثم اهتديت) الذي يتم توزيعه في كافة أقطار العالم بين السنة بنقاط التماس مع الدعاة الشيعة، والتيجاني نفسه هو أحد المتشيعين في تونس بعد مناقشات له مع داعية شيعي، هو دكتور جامعي عراقي التقاه التيجاني على متن باخرة تقوم برحلة بين الإسكندرية وبيروت، أفضت في النهاية إلى تشيع التيجاني، ومن ثم سفره إلى النجف حيث تلقى تعليمه الشيعي هناك، وبرع في دوره المناط به إلى الحد الذي جعله ذا مكانة عند المراجع الشيعية؛ فـ«المرجع الشيعي المعروف محمد باقر الصدر لقبه بـ(بذرة التشيع)، أي نبتة غرست في تونس فكانت مباركة وآتت أكلها

---

(١) أنور مالك – الشيعة والتشيع في الجزائر: حقائق مثيرة عن محاولات الغزو الفارسي ـ موقع الكاتب: أكتوبر ٢٠٠٧.

كل حين..»[1]، وقد أسفرت جهوده عن تشييع آخرين يقول عنهم: «لقد تشيّع معي كثر من الأصدقاء الذين أصبحوا دعاة... بدأنا بالعشرات وأصبحنا آلافا مؤلفة بل تفوق مئات الألوف..»[2]

ولو بدا أن الرقم المشار إليه هو محض آمال من التيجاني، إلا أن التفاهم بين الدولة التونسية وإيران أسهم كثيرًا في مضاعفة أعداد المتشيعين في تونس منذ أن أعيدت العلاقات الدبلوماسية بين إيران وتونس في العام ١٩٩٠ ما أسفر لاحقًا عن تقديم حركة النهضة كـ«عربون محبة» إيران لنظام الرئيس زين العابدين بن علي، بعد أن كانت العلاقات بين الحركة الإسلامية وإيران هي إحدى مبررات اضطهادها قبل التسعينات.

وقد كان موقف الحركة «متسامحًا» بعض الشيء فيما يخص تشيع بعض عناصرها، مثلما كان الحال مع «مبارك بعداش وهو أحد مؤسسي الجماعة الإسلامية في تونس الذي أبلغ الشيخ راشد الغنوشي بتشيعه وفقًا لروايته التي يزعم فيها أن الغنوشي لم يجبه على أسئلته عن التشيع، ما زاد تمسكه بمعتقده!»[3]

---

(١) حوار للسماوي مع وكالة الأنباء الشيعية (إباء).

(٢) المصدر السابق.

(٣) مبارك بعداش- يحكي روايته عن تشيعه لموقع الميزان- قسم المستبصرون الشيعي: ١٣- ١٤.

لكن هذا الموقف قد تغير كثيرًا لاسيما بعد رفض إيران استقبال الشيخ الغنوشي(زعيم حركة النهضة التونسية) ضمن وفد المؤتمر القومي الإسلامي، وهو ما وصفه بأنه موقف «انتهازي وغير مبدئي»، حيث قال إن الوفد «كان يريد أن يطلب من طهران أن تلعب دورا إيجابيا في العراق، لا ينحاز لجهة أو طائفة على حساب الأخرى، خصوصا أن الكثير من العراقيين يؤكدون الدور الإيراني المتحيز في بلادهم»، موضحًا بأن الموقف الإيراني «غير مبدئي، ويعطي الأولوية لعلاقة مع نظام ديكتاتوري ومنتهك للحريات وحقوق الإنسان، على مصلحة أعم كان هو يحملها ضمن هذا الوفد، وتتعلق بحقن دماء المسلمين في العراق»، ومعتبرًا أن «الرهان على نظام ديكتاتوري هو انتهازية، وموقف متحيز يقدم غطاء للمحاولات الإيرانية لنشر التشيع في تونس. وهو بهذا المعنى رشوة يقدمها النظام الإيراني للنظام التونسي مقابل نشر الفكر الإيراني»[١]، وهو ما اتضح جليًا فيما بعد عندما أيد الغنوشي تصريحات الشيخ القرضاوي التي حذر فيها من التمدد الشيعي وسب الصحابة وغير ذلك والتي أعقبها هجوم غير مسبوق عليه من قبل مراجع ووسائل إعلام شيعية في سبتمبر ٢٠٠٨، وكتب أثناءها الغنوشي مقالاً شهيرًا حمل عنوان: «كلنا يوسف القرضاوي».

وقد رَشَح ـ حينما رفضت إيران استقبال الغنوشي ـ من خلال المحللين

(١) راشد الغنوشي - تصريحات لوكالة قدس برس:١٠/ ١/ ٢٠٠٧م.

السياسيين أن طهران لا تريد التضحية بعلاقتها المتميزة مع تونس من أجل النهضة، وأنها لا تريد سماع نقد فيما يتعلق بعلاقتها بفرق الموت في العراق، ومن المعلوم أن «لإيران حضورًا ثقافيًا مميزًا بتونس فكثيرا ما حاضر بعض الأساتذة الإيرانيين في «بيت الحكمة» -وهو مؤسسة تونسية ثقافية- وقد أشاد سعيد النعماني -المستشار السابق لقائد الثورة الإيرانية آية الله علي خامنئي- بمحاضرة في تونس سنة ٢٠٠٢ بمناسبة شهر رمضان «بالمقاربة الإسلامية للرئيس زين العابدين بن علي»[١].

وينأى الشيعة عمومًا عن استفزاز نظام الرئيس بن علي، غير أن ناشطًا شيعيًا تونسيًا يمارس لعبة تبادل الأدوار ـ فيما يبدو ـ مع التيجاني، أو يغايره فعليًا، هو عماد الدين الحمروني، وهو شيعي أصلي، ويطالب بالحريات الدينية والأساسية في تونس، وهو ما جعل الكاتب نور الدين المباركي يصنفهما كخصمين في مجال الدعوة للتشيع في تونس[٢].

السودان:

ينظر واضعو السياسات في العالم إلى السودان كمعبر إلى قلب إفريقيا، وتنظر له الاستراتيجية الإيرانية بالعين ذاتها، ولقد سارعت على الفور إليه

---

(١) سيدي أحمد ولد سالم - تونس وإيران من القطيعة إلى التوافق ـ الجزيرة.نت: ١٤/ ٢/ ٢٠٠٧م.

(٢) انظر نور الدين المباركي - الشيعة في تونس.. شجرة لها جذورها أم نبتة زرعت فأثمرت؟ ـ صحيفة دنيا الوطن:٢٤/ ١/ ٢٠٠٧م.

حينما اتجه الزعيم السوداني حسن الترابي لدول تخالف الغرب ـ ولو ظاهريًا ـ من أجل الصمود في وجه الضغوط الغربية خصوصًا الأمريكية منها، وقد كانت إيران جاهزة على الفور ـ إلى جانب قوى دولية كالصين ـ للعب هذا الدور وسد هذا الفراغ الذي أحدثته سياسة الرئيس الأمريكي بل كلينتون في مقاطعة وحصار السودان، لكن هذا التعاون الثنائي لم يكن أبدًا في صالح السودان على الأصعدة الدينية والثقافية، بل والأمنية كذلك، إذ كشفت صحيفة مصرية النقاب عن تورط النظام الإيراني في دعم محاولة الانقلاب التي نفذتها عناصر تابعة لحركة العدل والمساواة عندما شنت هجوما على مدينة أم درمان، خلف عشرات القتلى والجرحى في ١٠/ ٥/ ٢٠٠٨، ونقلت صحيفة الجمهورية (المصرية) عن مصادر وصفتها بالمسئولة قولها إنه قد تم «ضبط كميات من الذخائر والمعدات الإيرانية التي خلفها المتمردون وراءهم بعد هزيمتهم أمام القوات السودانية». مضيفة أن «إيران ساهمت بدور هام ومؤثر في محاولة الانقلاب الأخيرة لحركة العدل والمساواة للاستيلاء علي السلطة في السودان وتنصيب خليل إبراهيم رئيس الحركة رئيسا للجمهورية». لاعتبار أن إبراهيم «اشتهر بعلاقاته بالسفارة الإيرانية في الخرطوم عندما كان وزيرا إقليميا للصحة وعقد لقاءات كثيرة مع الإيرانيين بحجة تنسيق المعونات الإنسانية الإيرانية لبعض المناطق في السودان، على حد قول الصحيفة»[1].

---

(١) صحيفة الجمهورية المصرية:٢٧/ ٥/ ٢٠٠٨م.

إعلاميًا استفز الشارع السوداني هذا الاختراق الإيراني «في أعقاب تكشف أنباء عن سفر ٢٥ صحفي سوداني من مختلف الصحف السودانية الحكومية والمستقلة - بينهم خمس فتيات - لإيران لتلقي دورة تدريبية»[١]، وذلك في شهر يوليو ٢٠٠٨، ما استدعى هجومًا عنيفًا شنه الفريق صلاح قوش (مدير جهاز الأمن والمخابرات السوداني) ضد مجموعة من الصحفيين السودانيين اتهمهم بتلقي مبالغ مالية من السفارات الأجنبية بالخرطوم ووصفهم بأنهم «مجموعة بسيطة وغريبة على الوسط الصحفي يجب بترها» علي حد قوله، «وهي مجموعة جديدة بخلاف المعروفة والتي منها محمد طه أحمد رئيس تحرير صحيفة الوفاق القريبة من طهران والذي قتل في أعقاب اتهامات له بسب الصحابة من قبل»[٢]، وذلك من بعد الاستفزاز السابق للشارع السوداني الذي انبرى له معظم علماء السودان السنة إبان معرض الخرطوم الدولي للكتاب في ديسمبر ٢٠٠٦ عندما تم عرض كتب مسيئة للصحابة في المعرض ما حدا بالمجلس الأعلى للتنسيق بين الجماعات الإسلامية الذي يضم (جماعة أنصار السنة المحمدية) وجماعة (الإخوان المسلمين) و(مجلس الدعوة) و(الطائفة الختمية) وجماعات إسلامية أخرى، خلال مؤتمر صحفي عقده في العاصمة الخرطوم إلى أن يحذر من «مخطط كبير يقوده متشيعون من ورائهم تنظيمات شيعية وجهات إقليمية لنشر الفكر

(١) محمد جمال عرفة - التغلغل الشيعي في السودان مستمر إعلاميًا ـ موقع المسلم: ٧/ ٧/ ٢٠٠٨م.

(٢) جمال عرفة ـ مصدر سابق.

الشيعي في السودان»[1]، ويكشف عن أن «قرى سودانية تشيعت بأكملها وانتشرت الحسينيات والزوايا في البلاد»، ويطالب بـ«الإغلاق الفوري للمستشارية الثقافية الإيرانية»[2]، وهي المستشارية التي يقع على عاتقها قيادة الفريق التشييعي الكبير في السودان لاسيما في الخرطوم وكردفان، والتي تقوم بجهد لافت في عملية التشييع بأعداد كبيرة لم تكن في الحقيقة موجودة بأي نسبة تذكر من قبل لولا نجاحها في استقطاب الكثيرين من المثقفين والبسطاء تحت طائلة المال وقلة العلم الشرعي، وهي التي تقوم سياستها على محاور رصدها الدكتور عثمان عيسى في محاور تتحرك من خلالها السفارة الإيرانية ومراكزها الثقافية، وأبرزها:

١- جهود المركز الثقافي الإيراني بالخرطوم، والتي تتلخص في عقد دورات فقهية لدارسي الشريعة تحت ذريعة دراسة الفقه المقارن بين المذاهب السنية الأربعة والمذهب الجعفري، وترجيح آراء الأخير، وإقامة الدورات في اللغة الفارسية والخط الفارسي وغيرها، وبث الكتب الشيعية في المكتبة الخاصة والمعارض، وإقامة المناسبات الشيعية وطقوسها. والأهم أن جامعة إفريقيا العالمية بالخرطوم التي تقوم بدور رائد في نشر الإسلام (سنية) في ربوع إفريقيا، قد نجح المركز في اختراقها إلى حد كبير عبر تواصله مع طلابها الأفارقة وبعض أعضاء هيئة تدريسها.

---

(١) صحيفة الحياة اللندنية:١٩/ ١٢/ ٢٠٠٦م.

(٢) المصدر نفسه.

٢- جهود المؤسسات التعليمية الإيرانية ومنها مدرسة الإمام علي بن أبي طالب الثانوية في محافظة شرق النيل، ومدرسة الجيل الإسلامي بأطراف الخرطوم، ومدرسة فاطمة الزهراء للبنات بمحافظة الخرطوم، ومعهد الإمام علي العلمي الثانوي للقراءات بمحافظة أم درمان، ومعهد الإمام جعفر الصادق الثانوي للعلوم القرآنية والدينية بمحافظة الخرطوم، وهو أخطر تلك المعاهد لاعتماده على حفظة القرآن كاملاً.

٣- جهود الروابط الثقافية والأهلية والاجتماعية، ومن أهمها، رابطة أصدقاء المركز الثقافي الإيراني، ورابطة الثقلين، ورابطة آل البيت، ورابطة المودة، ورابطة الظهير، والروابط الأربعة الأخيرة طلابية، أما التالية وهي رابطة الزهراء؛ فهي خاصة بالطالبات في المدارس والمعاهد والجامعات، وجمعية الصداقة السودانية الإيرانية، ومنظمة طيبة الإسلامية، وهي المعنية بإنشاء المدارس والمعاهد.[١]

اليمن:

لم يكن التحذير الذي أطلقه د.ناصر العمر، الداعية السعودي حول مسألة تطويق السعودية من قبل الشيعة[٢] بمعزل عن عشرات التقارير التي

---

(١) د.عثمان عيسى - حتى لا يقال : كان السودان بلدًا سُنّيًا(باختصار وتصرف) ـ مجلة البيان: مارس ٢٠٠٢م.

(٢) د.ناصر العمر: في محاضرة ألقاها في مسجد بالرياض وتحدث فيه عن «النفوذ النامي في صعدة للحوثيين وأحداث نجران والاضطرابات الشيعية وأعمال الشغب في البحرين، والسيطرة الشيعية على العراق، واستيلاء (حزب اللّـه) على بيروت الغربية» ـ موقع المسلم:١٨/ ٥/ ٢٠٠٨.

تتحدث عن مد إيران نفوذها القوي إلى اليمن حيث تمكنت من إيجاد ورقة تتنامى مع ازدياد النفوذ الشيعي في اليمن، والذي ازداد قوة منذ العام ١٩٩٠ عندما استغل الشيعة في اليمن أجواء الانفتاح التي أعقبت الوحدة؛ فمدت نفوذها «عبر سفارتها في صنعاء عن أهم وأكبر تواجد قبلي شيعي جدير بالاهتمام دون غيره فوجدت قبائل دهم هي الأجدر والأهم لأسباب منها:

أولا: شجاعة هذه القبائل وشراستها إضافة إلى تشيعهم الشديد الذي دفعهم إلى الاستماتة في الدفاع عن حكم الحميد الدين وأئمة اليمن، وما قاموا به من مجازر في صفوف الجيش المصري في بلادهم؛ حيث كانوا في مقدمة المحاصرين لمدينة صنعاء آنذاك، ومنها أيضًا تمرسهم – أي هذه القبيلة – على الحروب وامتلاكهم لأنواع الأسلحة الخفيفة والثقيلة ... كما أن موقعهم حساس على حدود المملكة العربية السعودية والتي تعتبرها إيران العدو الأكبر والأول لها خاصة وللشيعة عامة، إضافة إلى مجاورة قبائل دهم لقبائل يام الإسماعيلية، وقبائل وِئلة المتشيعة في منطقة نجران السعودية، وتقاربهم في الحدود والعادات والتقاليد واختلاطهم في الأنساب مما جعل من قبائل دهم همزة وصل قوية لإيران في هذه القبائل السعودية المتشيعة ... كما وجدت إيران لها على حدود المملكة العربية السعودية جنودا مجندة مسلحة مدربة وشجاعة متشيعة لا ينقصها سوى تغذيتها بالأفكار والدولار وصبغها بالعقيدة الاثنى عشرية وأهداف ومبادئ الثورة الإيرانية؛ من أجل ذلك وغيره انبرت السفارة الإيرانية ورموز التشيع في دولة اليمن لمد جسور الصلة بين قبائل دهم؛ فأرسلت القوافل الدعوية من العلماء والدعاة الاثنى عشرية، وتم مدهم بمختلف الوسائل الدعوية الكفيلة بغرس العقائد الاثنى عشرية

وأهداف ومبادئ الثورة الإيرانية، واتخذت هذه القوافل من منطقة الجوف العالي مقرًا لها حيث تتمركز الزعامات الدينية الشيعية في قبائل دهم في خمس مديريات متقاربة وهي مديرية المتون، وتعتبر أكبر معقل للشيعة، ثم مديرية المطمة، ثم مديرية المصلوب، فمديرية الزاهر، ثم مديرية الحميدات ...

ثانيًا: أخذت السفارة الإيرانية خمسة طلاب من أنبغ طلاب الشيعة من أبناء مشايخ القبائل ومن حملة الشهادات الثانوية بصحبة زوجاتهم وأرسلتهم في بعثة علمية على حساب السفارة الإيرانية إلى إيران للدراسة في الحوزات العلمية في طهران لمدة أربع سنوات لدراسة العقائد الاثنى عشرية ونظريات الثورة الإيرانية، وقد عادوا إلى قبائلهم دعاة مزودين بما يحتاجون من دعم ووسائل لنشر ما تعلموه.

ثالثًا: أخذت السفارة الإيرانية عشرات الطلاب في المرحلة المتوسطة والثانوية إلى مراكز علمية جعفرية في صنعاء وصعدة؛ لتلقي دورات علمية تتراوح ما بين السنة والسنتين وستة أشهر على حساب السفارة لتحميلهم بالعقائد الاثنى عشرية، وتأهيلهم دعاةً وإعادتهم إلى بني قومهم.

رابعًا: خصصت السفارة الإيرانية كفالات مالية لكل شيخ شيعي مبلغ خمسمائة دولار شهريًا، ولكل داعية ثلاثمائة دولار، ولكل طالب مائة دولار.

خامسًا: قامت السفارة الإيرانية بإحياء المناسبات الدينية والاحتفالات الاثنى عشرية ودعمتها ماديًا ومعنويًا، ومن ذلك عيد الغدير وميلاد علي ومقتل الحسين، كما تم بناء ثلاثة مراكز علمية للشيعة ومكتبتين ... إضافة إلى إنشاء معسكر في جبل حام بالمتون للتدريب على مختلف الأسلحة الخفيفة والثقيلة، كما قامت الحكومة الإيرانية عن طريق سفارتها بتزويدهم بوسائل

النقل من سيارات وغيرها إضافة إلى فتح مركز طبي لهم في صنعاء باسم المركز الطبي الإيراني وبأحدث الوسائل والخبرات لعلاجهم بالمجان»[1].

وكما تقدم؛ فإن نشر التشيع أخذ شكلاً مسلحًا في اليمن بات يهدد استقراره، لكنه لم يقتصر على الجانب العسكري بطبيعة الحال؛ فكعادة الشيعة، لابد من إيجاد قنطرة للعبور من خلالها إلى التشييع، وقد كانت هذه القنطرة هي الزيدية وهي طائفة لم تكن تحمل الأفكار الإمامية المتشددة على مر العصور، لكن أضحت الآن مهيأة في قطاعات منها لتقبل الاقتراب من الحوزات العلمية الإيرانية والحوزة الزينبية في سوريا[2]، مع أن قطاعات أخرى منها لم تزل تقاوم محاولات التحويل إلى الاثنية عشرية.

وقد بدا أن التمدد الشيعي يأخذ منحنى خطيرًا عندما كشفت مصادر سياسية يمنية مطلعة عن تورط بعض أتباع الحوثي الزيدي في حادث إضرام النار بمسجد للسنة في بلدة السودة بمحافظة عمران شمال اليمن في جمعة يوم ٦/ ٤/ ٢٠٠٧، عندما قاموا «برش البنزين على المصلين وهم يؤدون صلاة الجمعة في جامع بمحافظة عمران ثم أضرموا فيهم النيران»[3].

---

(١) ممدوح الحربي - الأخطبوط الشيعي في العالم ـ موقع البينة.

(٢) عندما حققت السلطات المصرية مع أحمد عبد الله الزايدي زعيم الشيعة الجعفرية في اليمن قال لـ«مأرب برس»:١٦/ ١٢/ ٢٠٠٨م: إن السلطات المصرية عرضت عليه العودة إلى اليمن بدلا من سوريا التي كان مقيما فيها منذ ما يزيد عن سنة وسبعة أشهر، ولم يفسر بطبيعة الحال لوسائل الإعلام سبب وجوده في سوريا كل هذه المدة.

(٣) موقع إسلام أون لاين.نت :٧/ ٤/ ٢٠٠٧م.

السعودية:

مع كثرة التقارير والدراسات السنية التي تتحدث عن الشيعة في السعودية؛ فإن الشيعة قد تمكنوا إلى حد كبير من الإعلان عن النسبة التي يرون أنها تمثلهم في وسائل الإعلام ومراكز الدراسات الغربية[1]، والملاحظ أن من مصلحة الشيعة عمومًا ـ لاسيما المندفعين برغبة إيرانية ـ التهويل من نسبتهم، وفي منطقة كالشرقية في السعودية حيث منابع النفط الرئيسية التي يبلغ تعداد سكانها حسب الإحصاء الرسمي ما نسبته ٦٧, ١٤٪ من مجموع السكان، يدور الحديث دومًا في وسائل الإعلام عن نحو ١٠ ـ ١٥٪ من سكان السعودية هم من الشيعة، بحسب مصادرهم، مع أن مدينة القطيف الشرقية التي تعد أحد أبرز معاقلهم لا يجاوز عدد سكانها ٨٩ ألفًا بما يمثل نحو. ٥, ٠٪ من سكان المملكة العربية السعودية إضافة إلى شيعة الأحساء وإسماعيلية نجران الذين يقدرون بنحو ١٠٠ ألف وفقًا لـ«تقرير (المسألة الشيعية في المملكة العربية السعودية)، الصادر عن المجموعة الدولية لمعالجة الأزمات (ICG) في بروكسل عام ٢٠٠٥، أو بنحو ٧٠٠ ألف وفقا لـ تقرير (الحرية الدينية في العالم) لعام ٢٠٠٦، والصادر عن وزارة الخارجية الأمريكية»[2]!!

---

(١) للغرب عمومًا مصلحة في تضخيم نسب الطوائف والديانات عمومًا في الدول العربية والإسلامية لاسيما فيما يتعلق بالشيعة والخليج تحديدًا، ويلمح ذلك في أكثر من إحصائية تجافي الحقيقة في الدول الخليجية.

(٢) الشيعة في السعودية: من التهميش إلى الاحتواء ـ موقع CNN: ٧/ ٤/ ٢٠٠٧م.

ويقول العالم السني السعودي د.ناصر العمر المتابع لشؤون الشيعة: «يدعي الرافضة أنهم يبلغون ٢٥٪ من سكان هذه البلاد، كما في كتابهم الشيعة في السعودية ص (٣)!! مع أنهم في الحقيقة لا يتجاوزون ٥٪ بل لا يبلغون ذلك»[(١)].

على أن الأهم من النسبة، هو النشاط الحثيث الذي تقوم به الطائفة الشيعية مذ تمكنت من تغيير دفة عدائها ظاهريًا مع الحكومة السعودية في أعقاب العام ١٩٩٣ عندما رصد تحول ملحوظ في علاقة الشيعة السعوديين بالحكومة السعودية، إذ اختارت القيادات الشيعية الإفادة من تغيير الظروف الدولية لتعزيز مطالبها ورفع سقف طموحاتها، والتي تمثلت ـ ظاهريًا ـ في «الانفتاح على مختلف المذاهب الإسلامية وتمثيلها في المؤسسات الإسلامية التي ترعاها المملكة، كرابطة العالم الإسلامي، والندوة العالمية للشباب الإسلامي، والمجلس الأعلى للمساجد، وهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية وغيرها من المؤسسات التي تعنى بالشأن الإسلامي والإنساني العام. ... وتشكيل لجنة وطنية عاجلة ذات صلاحية بمشاركة عناصر مؤهلة من الشيعة للنظر في واقع التمييز الطائفي ومعالجته بتمثيل المواطنين الشيعة في المناصب العليا للبلاد كمجلس الوزراء، ووكلاء الوزارات، والتمثيل الدبلوماسي، والأجهزة العسكرية والأمنية، ورفع نسبة مشاركتهم في مجلس الشورى ... ووضع حد لهذه التوجهات والممارسات التعصبية، بدءا من مناهج التعليم ووسائل الإعلام وما يصدر عن المؤسسات الدينية الرسمية ...إلغاء القيود

---

(١) د.ناصر بن سليمان العمر – الرافضة في بلاد التوحيد: ٢.

والمضايقات على الشعائر الدينية وفسح المجال لطباعة ودخول الكتب والمطبوعات الشيعية، وضمان حرية التعبير. والسماح للمواطنين الشيعة بحقهم في التعليم الديني وإنشاء معاهد وكليات دينية للتعليم حسب مذهبهم. «طبقًا لأهم ما ورد في وثيقة (شركاء في الوطن)»[١].

ويلاحظ أن هذه الوثيقة التي قدمت بعد ثلاثة أسابيع تحديدًا من احتلال بغداد بتسهيلات شيعية عراقية للولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، بنت على هذا الاحتلال في تعزيز أوضاعها الداخلية بالسعودية، لاسيما أن شيعة السعودية يرتبطون عضويًا بالمراجع الدينية في قم والنجف وكربلاء، يقول موسى بوخمسين أحد الزعامات الشيعية السعودية إن «الشيعة في الأحساء عانوا من انعدام المرجعية بسبب منع الكتب وبسبب منعهم من تأسيس حوزة دينية، وهو ما حال دون ظهور مرجعيات دينية لهم؛ فالشيعة في الأحساء يقلدون مرجعيات في العراق، وأنا شخصيا على مذهب الشيرازي في التقليد، كما أن بعض شيعة الأحساء على مذهب السيد الحكيم في النجف»[٢].

وقد تبلورت مواقف شيعية لمئات المثقفين السعوديين أصدروا بيانًا ضد موقف بلدهم تضامنًا مع «حزب الله» اللبناني أثناء العدوان الصهيوني على لبنان في العام ٢٠٠٦، وقد بدأ الشيعة في السنوات الأخيرة في بناء مواقف

(١) نص وثيقة:(شركاء في الوطن) - المقدمة من قبل قيادات شيعية إلى ولي العهد السعودي حينها (الملك الحالي) عبد الله بن عبد العزيز:٣٠/ ٤/ ٢٠٠٣م.

(٢) موسى بوخمسين ـ برنامج إضاءات على قناة العربية:٢/ ٢/ ٢٠٠٥م.

موحدة مستقلة عن السنة في السعودية تستند إلى تغلغل كوادر إعلامية كثيرة في الصحف ووسائل الإعلام السعودية، لاسيما تلك التي تتخذ موقفًا واضحًا ضد التيارات الدينية في السعودية، وتحديدًا أدق داخل التيار الليبرالي المناوئ للمؤسسة والعلماء والشيوخ السعوديين.

وقد توقفت الأقلية الشيعية عن اتخاذ العنف وسيلة لتحقيق مطالبها بعدما تبين لها أنها لا تحقق من ذلك مكاسب سياسية ودينية، وسعت إلى استغلال الظرف الدولي والإقليمي المساند على العودة إلى مساندة شيعة الخارج في أحداث الحرم (١٤٠٧) وتفجير الخبر (١٩٩٦) المنسوبة إلى ما يُسمى بـ«حزب الله» السعودي.

ويلاحظ أن سقف هذه المطالب قد ارتفع في الآونة الأخيرة ليشمل الطلب من «القيادة السعودية بتعيين وزراء من الشيعة في الحكومة»[1]، على لسان حسن الصفار الشيخ الشيعي السعودي الأبرز والصاعد بانتظام وبهدوء في وسائل إعلام يسيطر عليها التيار الليبرالي السعودي.

مصر:

يبلغ عدد سكان مصر نحو ٨٠ مليون نسمة وهي بذلك تشكل نحو ربع العرب الذين هم أهل لغة القرآن، أما العرب ذاتهم فيشكلون ثالث أكبر كتلة سكانية في العالم، وتحظى مصر باهتمام شيعي بالغ نظرًا لموقعها الاستراتيجي وكتلتها السكانية وتأثيرها الديني واحتضانها للجامع الأزهر، ولأسباب عقدية

---

(١) حسن الصفار ـ حوار مع موقع العربية.نت:١٩/ ٩/ ٢٠٠٤م.

تتلاقى مع أخرى يهودية تتعلق بخطورتها على كلا الفريقين، بما يمكن رصده من خلال أدبياتهما.

وقد ظل التشيع محدودًا في مصر خلال السنوات التي تلت الثورة الخمينية، واقتصر على بعض التجمعات القليلة في الصعيد والإسكندرية والبحر الأحمر، وما رشح من أخبار تتعلق بالشيعة في مصر بقي محصورا في بعض القضايا التي نظرها القضاء في مصر كقضية رأس غارب وغيرها، بيد أن الأوضاع تبدلت تمامًا مع غزو العراق الذي كان بمثابة خط تأريخ جديد للتشيع وانسياب امتداداته في كثير من البلدان الإسلامية وفي قلبها مصر.

على أن أظهر شواهد التغيير في الخريطة الشيعية المحدودة بمصر كان إبان حرب لبنان ٢٠٠٦ والتي شهدت تنامي شعبية الأمين العام لـ«حزب الله» الشيعي بشكل مؤقت على خلفية سياسية بحتة، حاول الشيعة المصريون بمعاونة إيرانية استغلالها في التسويق لبعض أفكار الشيعة في مصر، والتي ظهرت من خلال صحف مصرية غير رسمية شنت حملة مسعورة على صحابة رسول الله ﷺ لاسيما أم المؤمنين عائشة، وراوي أكثر الأحاديث عن رسول الله ﷺ أبو هريرة، وأبو بكر وعمر وعثمان وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة رضى الله تعالى عنهم وأرضاهم.

ثم كان التدفق اللافت لرجال الأعمال الشيعة إلى مصر وتحديدًا مدينة ٦ أكتوبر الصناعية التي شهدت مطالبات شيعية بإقامة حسينيات، ونثرت أموال «المعز» على بعض صغار المستثمرين بغية إيجاد موطئ قدم رسمي في البلاد.

وقد سارت الخطة الشيعية في مصر على عدة محاور، يمكن إجمالها فيما يلي:

محور «الأشراف»: مع نهاية تسعينات القرن الماضي بدأ نشاط «المجلس الأعلى لرعاية آل البيت في مصر» يظهر بشكل واضح مع مؤتمر الصعيد الأعلى الذي أقامه برئاسة محمد الدريني الشخصية المثيرة للجدل في شأن تشيعها ومبدئه، وحول لقاءاته بـ«يائير لمبرت» سكرتير أول السفارة الأمريكية في مصر والتي قامت بزيارة له في منزله أواسط العام ٢٠٠٧، والتي اعترف على إثرها لصحيفة نهضة مصر بأنه طالب «الولايات المتحدة الأمريكية أن تتوقف عن ذكر اسمه أو تناول شيعة مصر في تقارير الخارجية الأمريكية لما يترتب على هذا المزيد من بطش النظام والأهم منه هو استعداء الشعب للحالات التي تتبنى أمريكا الدفاع عنها»، وهو ما استجابت له واشنطن على الفور[١]، ويزعم المجلس أنه يمثل (بخلاف نقابة الأشراف التي يعاديها) نحو ٦ ملايين من «الأشراف»، والذين قال إنهم قد شكلوا في الماضي «عدة دويلات في الصعيد الأعلى لحماية أنفسهم»[٢].

محور الصوفية: وهو محور يحاول شيعة مصر تجييره لصالحهم والادعاء بأن أكثر من «عشرة ملايين صوفي في مصر» هم من «الشيعة» لحبهم لآل البيت رضوان الله تعالى عليهم مثلما ورد في أدبيات موقع الكرار الذي يمثل

---

(١) نهضة مصر:٢١/ ٩/ ٢٠٠٧م.

(٢) حوار لجريدة الشعب الإلكترونية:٢٠/ ١٢/ ٢٠٠٧م.

«المجلس الأعلى»، ويرصد مهتمون بالشأن الشيعي في مصر توغلاً ملحوظًا للتشيع في أوساط بعض الطرق الصوفية بأسوان وما حولها.

محور الإعلام الحزبي و«المستقل»: وفيه يتلون العمل الشيعي ليتماهى مع تطلعات وأفكار القوى السياسية؛ فهو مع القوى الناصرية والعروبية ضد «إسرائيل» ولهذا الغرض؛ فهو يساهم في الترويج لقضية «أم الرشراش» (مدينة إيلات المصرية المحتلة)، ويسعى على الأمد البعيد لأن تصبح القضية موازية لما يرفعه «حزب الله» اللبناني من لافتات ضد «إسرائيل»، وهو يسعى لتجسير العلاقات بين الحزب والقوى العروبية على الرغم من فارسية الحزب، ووقوفه ضد المد القومي العربي سواء في العراق أو في لبنان التي حارب فيها اللاجئين الفلسطينيين عندما كان معظم كوادره ضمن منظمة أمل الضالعة في مجازر صبرا وشاتيلا الثانية.

وهو مع الليبراليين منافحًا عن الحريات ولهذا الغرض فقد قام «رئيس المجلس الأعلى لرعاية أهل البيت في مصر» محمد الدريني بتأليف كتاب ساق فيه تصوراته عن التعذيب في مصر أسماه «عاصمة جهنم»، وقد ورد اسمه في تقرير نشر على نطاق واسع على الانترنت منسوب للاستخبارات الأردنية وضع اسمه ضمن متهمين بقيادة فرق موت بالعراق[1]، ومن المفارقة أن رئيس تحرير صحيفة «الغد» أحمد فكري التي تورطت في نشر ملحق بعنوان «من عائشة أم المؤمنين وعثمان الخليفة الراشد وحتى الأب الرئيس والابن

---

(١) موقع العربية.نت: ١٨/ ٢/ ٢٠٠٨م.

الوريث ..أسوأ عشر شخصيات في الإسلام»، قال في معرض تبريره لذلك لـ«العربية.نت» إنه هو الذي كتب الملف واختار هذه الشخصيات بناء على تأثيرها وخطرها على الحياة الإسلامية، فهي التي أجهضت الحلم الديمقراطي في الحياة الإسلامية»[1].

وهو مع «الإخوان المسلمين» مناصرًا للقضية الفلسطينية، وضد الهيمنة الغربية، ومدافعًا عن حقوقهم السياسية، ومع المعتقلين السياسيين من بقايا جماعة الجهاد مشاطرهم الرغبة في الإفراج عنهم، وأسس لهذا الغرض «مركز الإمام علي لحقوق الإنسان»، والذي يرفع شكاواه للإفراج عن رموز المعتقلين لاسيما عبود وطارق الزمر لاعتبارهما من المعتقلين السياسيين ولاعتبارهما من الأشراف الذين يدعي الشيعة في مصر الانتساب إليهم.

محور الأزهر: وقد حدث أكبر اختراق له عندما «قرر شيخ الأزهر قبول التحاق الطلبة الشيعة، لأول مرة منذ ألغى صلاح الدين الأيوبي في القرن السادس الهجري تدريس علوم الشيعة به، بعد لقاء جمعه مؤخرا مع مفتي الشيعة في صور بجنوب لبنان الشيخ علي الأمين، الذي طلب منه فتح أبواب معاهد وكليات الأزهر أمام الطلاب اللبنانيين الشيعة»، وتلته موافقة شيخ الأزهر على إرسال أساتذة للدراسة في الفروع الفقهية بالجامعات الإيرانية، وإنشاء كلية أزهرية في طهران، وتبادل المناهج الدراسية والكتب بين الجانبين، والسماح لأساتذة إيرانيين بإلقاء محاضرات في كليات جامعة الأزهر، بعد

(١) موقع العربية.نت: ٥/ ١٠/ ٢٠٠٦م.

تصريح صادر عن د. محمد حسن زماني، المستشار الثقافي بالسفارة الإيرانية بالقاهرة، الذي قال: «على الأزهر أن يتسع ليشمل كل العالم الإسلامي، وبالأخص ليشمل إيران لأنه يتميز بالتوسط والاعتدال». وأضاف: «سنقوم بإنشاء كلية أزهرية في طهران، على أن يتم إرسال أساتذة الأزهر للتدريس بها، ويتم فيها تدريس كتب ومناهج الأزهر، إضافة إلى أننا سنرسل إليكم كتبنا ومناهجنا الدراسية، للاستفادة بها، وكذلك أساتذة من إيران، لإلقاء محاضرات في كليات جامعة الأزهر»[1].

الأردن:

على الرغم من أن التشيع لم يحرز كثيرًا في الأردن إلا أنه ذو تأثير لافت، كونه يأتي من دولة انطلق منها التحذير السياسي الأظهر ـ على لسان ملكها ـ عن «الهلال الشيعي» الممتد من باكستان إلى لبنان، وفي غياب إحصاءات موثقة بشكل حيادي تحدد تعداد الشيعة في الأردن؛ فإن الأرقام المعلنة من قبل بعض الباحثين المعتبرين في الأردن تعد مؤشرًا مهمًا على حجم الشيعة والتشيع في الأردن، وينسب الباحث الأردني في شؤون الجماعات الإسلامية محمد أبو رمان إلى «مصدر موثوق، من الشيعة الأردنيين» رصدًا لتعدادهم «يبلغ قرابة ثلاثة آلاف شخص، وهو الرقم الذي لا توجد إحصائية دقيقة تنفيه أو تثبته». مضيفا أنه «تقطن العشائر الشيعية الأردنية في عدة مناطق رئيسة: الرمثا، دير أبو سعيد، إربد وعمّان، أبرزها:

(١) موقع العربية.نت: ٧/ ٢/ ٢٠٠٨م.

بيضون، سعد، ديباجة، فردوس، جمعة، الشرارة، حرب، برجاوي، البزة.

لا تحتفظ هذه العشائر بأية عادات أو تقاليد خاصة، مخالفة للتقاليد الأردنية، وتندمج في المجتمع الأردني بشكل كامل، وتشاركه في مختلف المناسبات، وإن كان بعضها يحتفل رمزيًا بالمناسبات الدينية الشيعية»[1].

إلا أن أحمد الجلبي الزعيم الشيعي العلماني القريب من إيران قد تحدث لقناة «الحرة» الأميركية قبل عدة أشهر «عن وجود نحو ثلاثين ألف شيعي أردني، يعانون من اضطهاد مذهبي كبير، ويمنعون من ممارسة شعائرهم»[2].

ويجمل الباحث حمدان الأشقر عددًا من المظاهر التي قال إنها دليل على التغلغل الإيراني الشيعي في الأردن، فيما يلي:

«١- إنشاء مساجد وحسينيات شيعية في الأردن، و(كثرة المطالبة بها).

٢- زرع خلايا شيعية نائمة وأخرى فاعلة من خلال هجرة كثير من العراقيين إلى الأردن ومنهم عدد كبير قد حصل على تعليم جيد ولهم إلمام بالمذاهب والجدل بينها.

---

(١) محمد أبو رمان - التشيع السياسي ظاهرة تغذيها انتصارات حزب الله ـ الغد الأردنية:
٤-٥/ ١٠/ ٢٠٠٦م.

(٢) حمدان الأشقر - مظاهر تغلغل التشيع الإيراني في البلدان السنية: مصر سوريا الأردن السودان وغيرها ـ دنيا الرأي: ٢٧/ ١٠/ ٢٠٠٨م.

٣- إنشاء مجمع دعوي كبير قرب قبر الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب بتمويل إيراني.

٤- تشييع بعض الطبقة المثقفة في الأردن من صحافيين وكتاب.

٥- نشر الكتب والمجلات التي تدعو إلى التشيع.

٦- وجود بعض الطواقم الأكاديمية الشيعية في الجامعات الأردنية الخاصة.

٧- استغلال الإعجاب بحزب الله وحسن نصر الله للتبشير بالدعوة الشيعية.

٨- استغلال انجراف حماس والجهاد الإسلامي خلف التيار الشيعي ومحاولة اختراق المجتمع الأردني من خلالهما.

٩- استغلال وجود عشائر أردنية شيعية، في الأصل منذ بدايات تأسيس المملكة الأردنية، بل تعود جذور بعضها إلى عام ١٨٩٠، وأصل هذه العشائر من جنوب لبنان، وتحمل الجنسية الأردنية أبًا عن جد، مثلها مثل باقي العشائر الأخرى وفي منتصف التسعينيات برزت علاقة بين شخصيات من هذه العشائر وبين مؤسسة الخوئي في لندن، بمباركة من الأمير الحسن، وقد كان حريصًا على حوار المذاهب والطوائف المختلفة، وكان ثمة تفكير بتأسيس مؤسسة خاصة بهم تحت اسم «أبو ذر الغفاري إلاّ أن الدولة عادت وتراجعت عن دعم الفكرة فيما بعد.

١٠- وجود بعض الكتب الشيعية الدعائية في بعض المكتبات مثل كتاب المراجعات.

١١- استغلال القنوات الإعلامية والخطابات المثيرة والملتهبة من نصر الله ضد إسرائيل ومن نجاد ضد أمريكا وإسرائيل لكسب تعاطف العامة مع الشيعة وقد نجحوا في ذلك بشكل كبير في مختلف الدول العربية.

١٢- استغلال القنوات الفضائية الشيعية في التبشير بالمذهب.

١٣- تجنيد الطلاب الشيعة الخليجيين الوافدين لتلقي التعليم الجامعي بالأردن»[١].

علاوة على ما يرصده من مظاهر اقتصادية تتعلق بالتجار الشيعة القادمين من العراق، ومساعيهم لشراء العقارات والمحال التجارية والأراضي، والتي يضيف عليها الكاتب الأردني طارق ديلواني، أنه «أمام ملايين الدولارات التي ضخها المستثمرون العراقيون في الأردن أكثر المتضررين من الحرب في العراق لم تجد السياسة الرسمية الأردنية بدا من منح التسهيلات للعراقيين لقاء مساهمة رجال الأعمال العراقيين وأغلبهم من الشيعة في إنعاش الاقتصاد الأردني ... وبالنظر إلى أن أغلب العراقيين المقيمين في الأردن هم من الطائفة الشيعية فلنا أن ندرك حجم تأثير هذه الطائفة ومعتقداتها على المجتمع الأردني السني بسطوة رأس المال حيث تشير بعض المصادر إلى أن العدد الأكبر من المستثمرين العراقيين الذين حصلوا على الجنسية الأردنية خلال الفترة الماضية، هم من العراقيين الشيعة»[٢].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) طارق ديلواني - المد الشيعي في الأردن ..حقيقة أم وهم! ـ موقع العربية.نت: ٤/ ١٢/ ٢٠٠٥م.

أما عملية التشيع ذاتها فيقول أبو رمان أن ثمة «معلومات رسمية، يؤكدها بعض المتشيعين، إن هنالك قرابة الثلاثين عائلة في مخيم البقعة تشيّعت في الآونة الأخيرة، كما أن هنالك ظاهرة محدودة للتشيع في مدينة السلط، بالإضافة إلى عائلة أو أكثر في مخيم مادبا وحالات في إربد والزرقاء وجرش والكرك، والانتشار الأبرز للظاهرة في عمان في ضواحٍ مختلفة منها. ويعزو أبو رمان ازدهار ظاهرة التشيع إلى التأثير الشيعي العراقي عندما وفد مئات الآلاف من العراقيين إلى الأردن بينهم «عشرات الآلاف من الشيعة، شريحة واسعة منهم من الأثرياء والمثقفين». وفقًا لتقديرات غير رسمية أوردها الباحث، وأيضًا إلى الحوزة الزينبية في دمشق التي تعد اليوم المركز الرئيسي للتوجيه الشيعي للأردنيين المتشيعين»[1].

غير أن السلطات الأردنية سرعان ما انتبهت إلى تأثيرات طائفية ساقها الوجود الشيعي العراقي في الأردن فقامت بترحيل ٢٣ عراقيا «بعد اتهامهم بمحاولات نشر التشيع بين منتسبي جماعة الإخوان المسلمين في مخيم البقعة، على الرغم من النفي القاطع من قبل الجماعة التي يمثلها حزب جبهة العمل الإسلامي الأردني، لمثل تلك الأنباء من قبل (إثر) تحقيق تم مع ستة أعضاء في التيار الإسلامي بتهمة التشيع على يد أكاديمي يدعى حسن الصواف يدرس في إحدى الجامعات الأردنية»[2].

---

(١) محمد أبو رمان - التشيع السياسي ظاهرة تغذيها انتصارات حزب الله ـ الغد الأردنية: ٤-٥/ ١٠/ ٢٠٠٦.

(٢) خالد فخيذة - الوطن السعودية ـ تقرير من عمان: ٢٤/ ٣/ ٢٠٠٧م.

وعزت صحيفة الوطن السعودية إلى مصادرها بالأردن قولهم إن «أعضاء تابعين لشعبة حزب جبهة العمل الإسلامي في مخيم البقعة شمال العاصمة عمان والذي يستضيف ١٠٠ ألف لاجئ فلسطيني اعترفوا أثناء التحقيق معهم بأنهم تلقوا تعليما دينيا على يد ذلك المدرس الذي يناصر التيار الشيعي السياسي الذي تقوده إيران في المنطقة»[١].

وتجاوز الحذر الأردني الرسمي حدود الترقب إذ أكدت صحيفة الأخبار اللبنانية القريبة من تيار المعارضة اللبنانية أن السلطات الأمنية الأردنية قد «استحدثت شعبة جديدة في جهاز استخباراتها الناشط جدًا تحت عنوان (شعبة مكافحة التشيّع) وهي تعمل وفق منظومة التحذيرات والموانع التي كانت تعمل تحتها (شعبة مكافحة الشيوعية) في وقت سابق. وتتولى هذه الشعبة جمع المعلومات عن المتشيّعين سياسيًا ودينيًا في الأردن ومخيماته الفلسطينية. وهي تحظى بتعاون من جانب جهات لبنانية بينها جهات رسمية»[٢].

وقد أثار هذا الحذر حفيظة المراجع والدعاة الشيعة إلى الحد الذي وجه فيه الناشط الشيعي المثير للجدل ياسر الحبيب شتائم لفظية شديدة اللهجة لكبار المسؤولين الأردنيين بسبب ما قيل عن اعتقال السلطات للمرجع الشيعي محمد الطباطبائي بعد عودته من العراق وإيداعه «سجن إدارة

---

(١) المصدر السابق.

(٢) صحيفة الأخبار اللبنانية: ٢/ ٧/ ٢٠٠٧م.

المخابرات مدة شهر» بسبب أن المذكور قد «أشار على بعض أولياء آل محمد (عليهم السلام) في الأردن بتأسيس مسجد وحسينية! فسارعت هذه الحكومة المعادية لأولياء آل محمد (صلوات الله عليهم) باعتقاله وإيداعه السجن التزاما منها بتعاليم الشيطان وانتهاكا لتعاليم الرحمن» على حد ما ورد من بيان الحبيب[1] المعروف بتطرفه وتكفيره ولعنه لأبي بكر وعمر وعائشة رضي الله عنهم أجمعين، وتمجيده لأبي لؤلؤة المجوسي قاتل عمر.

العراق:

من المفارقات اللافتة أن الاحتلال الإيراني للعراق لم ينجح في تشييع جموع من السنة، وإنما أسهم في إلجاء عشرات الآلاف من السنة إلى استخدام التقية لإخفاء انتمائهم السني أمام الحواجز التي كانت تنصبها الميليشيات الشيعية في الطرقات، ما أرغم من يتسمى منهم باسم عمر إلى تغيير اسمه، وإعلان بعض المواقع العراقية السنية عن طريقة مثلى لإيهام فرق الموت بأن الضحية الذي يقع بين يدها شيعي عن طريق حفظ أسماء أئمة الشيعة الاثني عشر وحفظ المناسبات الدينية الشيعية وما إلى ذلك، وقد أضحى نحو ٤ ملايين عراقي مهجرًا نتاج السياسة الإيرانية في العراق، ولكن مع ذلك؛ فإن انتصارًا للفكرة الشيعية على أرض العراق من حيث «التبشير» بها لم ترشح تقارير من أي جهة كانت عن نجاحه، وإنما ما تم بالعراق هو حالات تهجير قسري للسنة من مناطق الجنوب ذي الغالبية الشيعية، وبغداد، إضافة إلى إحلال عوائل

(١) ياسر الحبيب - بيان له - نشرته مواقع شيعية في حينها.

شيعية في محافظات ديالى، وصلاح الدين، والأنبار (وإن بدرجة أقل)، وإحلال مئات الآلاف الإيرانيين في بعض مناطق النفوذ الشيعي.

علاوة على قتل مئات الآلاف من السنة بلغوا ـ بحسب رئيس هيئة علماء المسلمين الشيخ حارث الضاري لدى إفادته أمام مؤتمر نصرة أهل العراق باسطنبول بأن الميليشيات المدعومة من إيران قتلت أكثر من ٢٠٠ ألف سني في العراق.

الواقع أنه رغم جهود الاحتلال الإيرانية المتنوعة في العراق؛ فإنه بقى شاهدًا على أن الفكرة الشيعية لا تنجح إلا حينما تغلف بقشرة سنية أو سترتها التقية، وأنها إذا ما تكشفت نفر السنة منها، وبرغم نجاح إيران في تغيير التركيبة السكانية التي كانت مائلة باتجاه السنة قبل الاحتلال، مع أنه لم تصدر تقارير مستقلة تتحدث عن نسبة الشيعة في العراق بعد أن كانت تتحدث المصادر السنية عن نحو ٤٠٪ من الشيعة في العراق أو أكثر من ذلك بقليل، إلا أن إيران لم تنجح «دينيًا» في نشر مذهبها بالعراق بل فرضته بالسيف أو لنقل مكنت له لكنها لم تنشره حقيقة.

وجدير بالذكر أن نسبة الشيعة في العراق تعرضت كما في غيرها من البلدان العربية لاسيما في الخليج إلى قدر عالٍ من التضخيم بلغ بها إلى ملامسة الـ٧٣٪، وفي المقابل «تذهب الإحصاءات السنية إلى نقيض ذلك تماما. وتمضي بعضها إلى كون نسبة أهل السنة تتجاوز ٦٥ في المائة. لكن إحصاءات أخرى أقرب إلى الواقعية تجعل نسبة أهل السنة تتراوح بين ٥٣ و٥٨ في المائة من العراقيين، على اعتبار أن الشيعة يمثلون نحو ٤٠ في المائة، ويمثل أتباع باقي الأديان والمذاهب غير الإسلامية نحو ٢ في المائة.

وشكك الأكاديمي «الشيعي» محمد جواد علي، رئيس قسم العلوم السياسية في جامعة بغداد، على هامش حديث مع المبعوث الخاص لوكالة «قدس برس» إلى العراق، في كون الشيعة يمثلون أغلبية العراقيين. وذهب إلى كون نسبتهم تتراوح بين ٤٠ و٤٥ في المائة، في حين يمثل السنة نحو ٥٣ في المائة، و٢ في المائة للعراقيين من غير المسلمين ... في حين تذهب إحصائية أخرى، أقيمت بالاستناد إلى معطيات التقرير السنوي للجهاز المركزي للإحصاء العراقي (نسخة دائرة الرقابة الصحية) التابعة لوزارة الصحة العراقية، وإلى دراسة الأكاديمي العراقي الدكتور سليمان الظفري، إلى أن نسبة السنة، من مجموع أبناء العراق المسلمين تبلغ ٥٣ في المائة، في حين تبلغ نسبة الشيعة ٤٧ في المائة.

ومما يزيد من تأكيد مصداقية الإحصاءات المشار إليها آنفا، بخصوص كون السنة يمثلون أغلبية الشعب العراقي، ما حصل بالنسبة لقوائم توزيع أعداد الحجاج على المحافظات، بحسب تعداد النفوس، إذ فاق عدد الحجاج من السنة عدد الحجاج من الشيعة، بناء على إحصاء نفوس المحافظات، وجاءت نسب توزيع الحجاج قريبة من النسب المذكورة آنفا، بحسب مصادر من الأوقاف العراقية»[1].

وعن ذلك السيف الذي اعتمدته إيران في التمكين لأتباعها يتحدث د.طارق سيف باسطًا تلك الوسائل القهرية الإيرانية؛ فيقول: «من أهم هذه

---

(١) نور الدين العويديدي ـ بغداد ـ وكالة قدس برس للأنباء: ١٢/ ٢/ ٢٠٠٤م.

الوسائل الشبكة الواسعة الانتشار من العملاء والحرس الثوري وفيلق القدس، والدعاية المذهبية، وحملات الرعاية الاجتماعية التي تقوم بها المؤسسات الخيرية الإيرانية مثل مساعدة الفقراء والمتضررين من حالة عدم الاستقرار وافتقاد الأمن في العراق، وإعادة بناء الأماكن الشيعية المقدسة، وإرسال الفرق الطبية، وإرسال رجال الدين الإيرانيين من (المجمع العالمي لأهل البيت)، والدعم العسكري والمالي للمليشيات الشيعية بالسلاح والتدريب، خاصة لجيش الصدر وقوات بدر، فضلاً عن التواجد المباشر لعناصر مقاتلة من الحرس الثوري الإيراني في مناطق الشيعة لتنظيم وإدارة حرب العصابات والتطهير العرقي، بالإضافة إلى سيطرتها السياسية المباشرة على المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق وحزب الدعوة، وتدخلها في الانتخابات»[١].

ويتناول تقرير لهيئة علماء المسلمين بعض الآليات التي اتخذتها إيران لكي يكون العراق شيعيًا وامتدادًا جيوستراتيجيا لها؛ فيقول: «في عام ٢٠٠٤ أعلن نائب قائد الحرس الثوري الإيراني خلال زيارته للندن بأن إيران لديها في العراق الآن لواء من المجندين لصالحها داخل العراق ولها علاقة مع فصائل أخرى لضمان حماية الأمن القومي الإيراني.

---

(١) د.طارق سيف - الاحتلال الإيراني للعراق ـ صحيفة الاتحاد الإماراتية: ٢٠٠٦/١٢/١٧م.

وفي يوم ٤/١١/٢٠٠٤ فتحت المخابرات الإيرانية مكتبًا في النجف تحت اسم (مكتب مساعدة فقراء العراق الشيعة) جندت على إثره أكثر من ٧٠ ألف شاب من الجنوب للانضمام إلى إحدى المليشيات الموالية لها. وكل متطوع لهذه المليشيات تدفع له إيران (١٠٠٠) دولار شهريًا، وكذلك تدفع له (٢٠٠٠) دولار كمقدمة. وذكرت مجلة الـ(تايم) في عدد آب ٢٠٠٥ أن لديها وثائق تشير إلى دور قامت به قوات قريبة من الحرس الثوري الإيراني في السيطرة على مدينتي الكوت والعمارة بعد أيام قليلة من الغزو. وأضافت الـ(تايم) إن لديها وثائق تخص وحدات الحرس الثوري الإيراني تتضمن سجلات عن مدفوعات ضخمة تظهر فيما يبدو أن إيران تدفع رواتب ١١٧٤٠ عضوًا في مليشيات بدر العراقية التي يقودها هادي العامري». ويضيف التقرير معددًا أوجه التفريس الإيراني للعراق والتي تتجاوز حتى الشيعة العرب فيه: تسعى إيران إلى تغيير طريقة التفكير عند (إخواننا) الشيعة العراقيين وذلك من خلال جعل الولاء ليس على أساس المواطنة أو الأرض التي ينتمون إليها وإنما إلى رجال الدين الإيرانيين بالدرجة الأولى باعتبار أن الدولة الإيرانية هي حاملة للواء حماية نهج أهل البيت وبجعل ولاية الفقيه أقدس مقدساتهم.

وضمن هذا التوجه فقد تم إرسال أكثر من ٢٠٠٠ طالب ورجل دين إيراني وأفغاني وباكستاني (من الدارسين في حوزة قم مُنح من مكتب المرشد) إلى النجف وكربلاء خلال العامين الماضيين. ثلث هؤلاء هم من المرتبطين بأجهزة المخابرات الإيرانية. وقد عين خامنئي ممثلين ووكلاء في

المدن الشيعية حيث يتولى هؤلاء دفع الرواتب الشهرية إلى ما يزيد عن ٧ آلاف طالب ومدرس لاحتوائهم وأخذ البيعة منهم لخامنئي باعتباره قائد الأمة ونائب إمام الزمان، ويحصّل الطالب ما بين ٥٠ و ١٠٠ دولار شهريا في حين يحصّل المدرس ما بين ٢٠٠ و ٥٠٠ دولار وقد أرسلت إيران جمعًا من مريدي الإمام وعناصر عاشت في إيران إلى العراق لمحاولة تولي مناصب حساسة في الحكومة العراقية، وتنظر إليهم القيادة الإيرانية كحصان طروادة للامبراطورية الصفوية ضمن مخطط لإخضاع العراق ولو بدون شماله إلى السيطرة الإيرانية فور خروج الجنود الأمريكان وحلفائهم من العراق.

ونود الإشارة إلى أن وزير الداخلية السابق فلاح النقيب يحتفظ بملفات حصل عليها عن حوالي ٣٥ عضوًا من أعضاء الجمعية الوطنية الانتقالية لهم انتماء إيراني وخلال الانتخابات الإيرانية الأخيرة قد صوتوا للرئيس الجديد (أحمدي نجادي) في المراكز الانتخابية التي افتتحت في بغداد.

إن إيران لها وجود قوي علني في المحافظات الجنوبية وسري في بغداد، ويشير إلى أنه خلال عهد حكومة الجعفري تم تجنيس آلاف الأفراد من عناصر المخابرات الإيرانية ووزعت الأراضي السكنية في أماكن مهمة من العراق في المدائن والبصرة وكربلاء، وفي عام ٢٠٠٤ تم اغتيال أحد ضباط الجنسية في بغداد وهو العقيد غازي مع أنه شيعي عربي بسبب رفضه تجنيس عدد من أعضاء إحدى المليشيات. وتدفقت الأموال والأفراد على العراق لشراء العقارات حيث اشترت المخابرات الايرانية ما يزيد عن خمسة آلاف بيت

وشقة ودكان ومطعم ومستودع في بغداد والبصرة والنجف ليقيم ويعمل فيها عناصر استخباراتها ورفاقهم من عناصر المليشيات الموالية لإيران. ويتم التركيز على مدينة البصرة لأهميتها الاستراتيجية النفطية حيث إن هناك مجموعات تعمل تحت توجيه المخابرات الإيرانية لتفريس المدينة من خلال شراء العقارات[١].

ومعلوم أن شيعة العراق ليسوا على قلب واحد إلا فيما يتعلق بالعلاقة مع السنة، يقول أحمد فهمي الباحث في الشأن العراقي: «ينقسم الشيعة بداية باعتبار مرجعيتهم المكانية والبشرية؛ فمدينة قم يمثلها كمرجعية المجلس الأعلى للثورة، بينما يرتكز حزب الدعوة على الحوزة العلمية في كربلاء، ومنظمة العمل الإسلامي تعتمد مرجعية النجف وبالأخص محمد صادق الشيرازي، وبين المدن الثلاث تنافس كبير في جذب الشيعة، وذلك بالإضافة إلى تعدد المرجعيات العلمية التي يختص كل منها بأتباع ومقلدين، وفي دلالة على هذا الزحام المرجعي فإن بوابة المرقد المزعوم للحسن بن علي رضي الله عنهما في كربلاء مغطاة تقريبًا بملصقات دعائية كثيرة لرجال دين متنافسين يقيم بعضهم في العراق وآخرون في إيران»[٢].

---

(١) الدور الإيراني في العراق بعد الاحتلال ـ موقع هيئة علماء المسلمين في العراق: ٢٥/٣/٢٠٠٦م.

(٢) أحمد فهمي – شيعة العراق .. أحجار على رقعة الشطرنج ـ مجلة البيان: فبراير ٢٠٠٥م.

على أن الأهم لم يحدث بعد في العراق؛ فقد أعقب الاتفاقية الأمنية بين الولايات المتحدة وحكومة نوري المالكي القريبة من إيران تصريح المتحدث الرسمي باسم الحكومة العراقية - تحت الاحتلال - على الدباغ «بأن العراق سيصبح جزءا من نظام إقليمي (لا جزءًا من المنظومة العربية). الدباغ قال في واشنطن: إن العراق سيصبح جزءا من نظام مع دول الإقليم على غرار الاتحاد الأوروبي، وفق دور إقليمي مخطط له.

... والمعنى والجوهر في اختيار الاتحاد الأوروبي هو أنه اختار اتحادا بين دول تتحدث (لغات مختلفة) ويضم (قوميات مختلفة)، ... ولذلك، يصبح المعنى الدقيق للقول والقصد، هو أن العراق سيكون جزءا من منظومة تضم إيران أو تحت هيمنتها بالدرجة الأولى، ... بالنظر إلى أن اجتماع العراق مع تركيا في نظام إقليمي مشترك، هو أمر دونه مشكلات كبيرة بسبب الصراع بين تركيا وحزب العمال الكردستاني»[١].

هذا بالطبع إذا ما أضيف له رغبة الزعيم الشيعي عبد العزيز الحكيم في دفع العراق تعويضات إلى إيران، وإقامة الزعيم الآخر مقتدى الصدر في إيران للدراسة والتوجيه، وخضوع المرجعية العراقية لآراء الإيراني علي السيستاني الذي بارك الاتفاقية الأمنية ومن قبلها أفتى باقتصار المقاومة على الجانب السلمي..

---

(١) طلعت رميح - جيتس والدباغ: صراع أمريكا وإيران على مستقبل العراق ـ موقع المسلم: ٢٤/١٢/٢٠٠٨م.

سوريا:

لم يكن التشيع الإمامي حديثًا على الحالة السورية، وإنما تسارعه وتناميه بشكل واسع هو اللافت؛ فحتى عام ١٩٩٥ لم يكن في سورية سوى حوزتين، الأولى «الحوزة الزينبية» أنشئت سنة ١٩٧٦، والثانية: «حوزة الإمام الخميني» أنشئت عام ١٩٨١ ... وبدءًا من عام ١٩٩٥ شهدت «السيدة زينب» تشييد وتأسيس عدد من الحوزات لتبدو كما لو أنها تسير لتصبح مدينة «قم»سورية! ففي الفترة ما بين ١٩٩٥-٢٠٠٠ تأسس ما يزيد عن خمس حوزات علمية»[1]، لكن هذه الزيادة لم تكن لتثير فضول الباحثين والمتابعين للشأن الشيعي إلا عندما تبعها جهد تشييعي كبير جدًا في عهد الرئيس بشار الأسد، والذي شهد نموًا مطردًا لحركة التشييع وبناء الحوزات وإقامة الحسينيات التي بلغت المئات، وببناء ضريح الصحابي عمار بن ياسر رضي الله عنه في العام ٢٠٠٤ واتخاذه مركزًا دينيًا كبيرًا في محافظة الرقة، والشائعات حول تشيع المفتي السوري، التي بادر إلى نفيها عبر وسائل الإعلام على نحو لم يطمئن السوريين السنة على نحو غير مسبوق جعل من سوريا الدولة الأولى بعد العراق التي تأثرت بجهود التشييع وجعل بقاءها متماسكة في ظل غالبية سنية كاسحة مسألة فيها نظر، وذلك بالنظر إلى محاولات هذا التغيير الديموجرافي الذي يسعى الإيرانيون والنصيريون إلى تغييره عبر تجنيس نحو مليون شيعي من إيران والعراق يقيم معظمهم في العاصمة في منطقة السيدة زينب، «كما برزت

(١) البعث الشيعي في سورية - المعهد الدولي للدراسات السورية (برعاية حركة العدالة والتنمية): ٥٩ - ٦٠ مختصرًا.

عمليات التزوير الفاضحة للتركيبة الديموجرافية للشعب السوري، ولعل أشدها وضوحًا، تلك الدراسات الوهمية التي نشرتها المخابرات الطائفية السورية، عن أن المجتمع السوري هو مجتمع أقليات، وأن أهل السنة العرب لا تتجاوز نسبتهم ٤٥٪ من مجموع الشعب السوري، وأن هؤلاء منقسمون على أنفسهم! في محاولات لتزوير التاريخ والجغرافيا والديموجرافيا السورية..»[(١)].

وتخلص دراسة البعث الشيعي في سورية إلى عدد المتشيعين من الوسط السني يبلغ ١٥٩٣٠ في الفترة ما بين عامي ١٩٩٩ و٢٠٠٧ وعند ضم أعداد المتشيعين (أي إلى الاثني عشرية) في الوسطين النصيري والإسماعيلي إلى أكثر من ٧٥ ألفا في الفترة ذاتها، وهو رقم كبير إذا ما اعتبر أنه يمثل مرتكزًا للقادمين من إيران والعراق.[(٢)]

والذين حضروا المؤتمرات التي عقدت لدعم القضية الفلسطينية لاسيما في دمشق في العام ٢٠٠٨ لاحظوا وجودًا كثيفًا للملالي الشيعة بين أظهر الحاضرين.

ويذكر موقع سوريا الحرة أن السلطات قد اعتقلت العشرات من السنة لإعاقتهم للتشييع في منطقة الرقة حيث يوجد مقام الصحابي عمار بن ياسر رضي الله عنه، والذي يتخذه الشيعة مركزًا لهم[(٣)].

---

(١) أحمد الأيوبي (الباحث اللبناني المتخصص في شؤون الحركات الإسلامية) - غزو إيراني لسوريا يحميه الأسد - مجلة الشراع:٢٢/ ١٠/ ٢٠٠٦م.

(٢) البعث الشيعي في سورية: ١٢٢.

(٣) موقع سوريا الحرة: ١٠/ ٩/ ٢٠٠٦م.

وقد أثارت جهود التشييع في سوريا العلماء السنة الذين بدؤوا في التصريحات بانزعاجهم من محاولات تشييع سوريا والتي طالت حتى الجامع الأموي بدمشق، الذي يكاد زائره يحسبه حسينية شيعية برغم الكراهية الشديدة من الشيعة للأمويين!!

لبنان:

تشير آخر إحصائية رسمية لبنانية إلى أن عدد السنة يزيد عن الشيعة بنسبة ١٪ فقط، لكن لا توجد أية إحصائية لبنانية جديدة فيما يبدو، ولا يلاحظ في لبنان عملية تشييع كبيرة وظاهرة تجرى في أوساط السنة، لكن هناك عملية تقييد لعموم أهل السنة، وتهجير متدرج منذ مدة طويلة في قرى الجنوب إلى الحد الذي كاد فيه الجنوب اللبناني يمثل حزامًا أمنيًا لم يشهد منذ حرب ٢٠٠٦ إطلاق أية رصاصة على «إسرائيل».

وقد كان هذا التقييد، التربة الخصبة لنشر التشييع السياسي، وكان المال الشيعي «النظيف» ـ على حد تعبير حسن نصر الله في أعقاب عدوان ٢٠٠٦ ـ هو السبيل الآخر لاستقطاب زعامات سنية، ومحاولات شق الصف السني، ولقد كان توقيع وثيقة بين منتسبين إلى السلفية في لبنان في شهر أغسطس ٢٠٠٨ مؤشرًا لافتًا على أن التمدد الإيراني قد بات يهدد حتى معاقل هي من المفترض أن تكون أبعد ما تكون عن التأثيرات الشيعية، وإن كان مؤسس التيار السلفي داعي الإسلام الشهال قد وصف ـ عقب الإعلان عنها وعن نقضها ـ الوثيقة التي وقعت بين سلفيين و(حزب الله) بأنها «محاولة لشق

الصف السني عمومًا، والسلفيين خصوصًا، وهي محاولة لتلميع صورة حزب الله بعد النكسة التي أصابته في الأحداث الأخيرة، إنها محاولة اختراق فاشلة بإذن الله»[1]، لكنها في الحقيقة لم تكن فاشلة تمامًا، إذا حاول عبرها (حزب الله) «إضعاف تيار المستقبل وتصويره بمظهر العاجز عن حماية الطائفة السنية وهذا سيؤدي إن حصل إلى إعادة تفريخ للقوى السلفية، وخصوصًا في منطقة الشمال بحيث تضعف مرجعية تيار المستقبل، ويتم بشكل مواز تركيب لوائح انتخابية ضده قادرة على التغلغل من خلال هذه الثغرة». كما صرح بذلك (خبير لبناني لم تشأ مجلة الوطن العربي الكشف عن اسمه).[2]

وإذا كانت قيادات كهشام منقارة وبلال شعبان وفتحي يكن قد تم ضمان اقترابهم الشديد من (حزب الله) وأجندة حلف (إيران ـ سوريا) عبر علاقات متشعبة؛ فإن الجانب السلفي قد شهد هو الآخر اختراقًا ما لا يمكن تجاهله «ويتجسد في قدرة الموقعين في الجانب السلفي على حشد أسماء وإن لم تكن بارزة ويمثل بعضها قوى سلفية كرتونية أو ضئيلة، ما يجعل البناء الحزبي ناجزا وفعالا، ومن الممكن أن يتحمل عددًا من الأدوار الخشبية عليه؛ فالذين حضروا توقيع الوثيقة كانوا: عن «التيار السلفي» ممثله الشيخ حسن الشهال وممثلين عن: معهد الدعوة والإرشاد، دعوة الإيمان والعدل والإحسان، وقف التراث الإسلامي، جمعية الأخوة للإنماء والتربية، جمعية

(١) داعي الإسلام - وكالات الأنباء: ١٨/٨/٢٠٠٨م.

(٢) مجلة الوطن العربي: ٢٠/٨/٢٠٠٨م.

التوعية للإنماء والتربية، وقف الخير الإسلامي (الضنية)، تجمع سنابل الخير (عكار)، رئيس مجلس أمناء وقف التراث الإسلامي الشيخ صفوان الزعبي، الدكتور محمد عبد الغني، الدكتور بشار العجل، الشيخ علي الشيخ، الشيخ أمين إبراهيم، الشيخ محمد الزعبي، الشيخ طارق بكراكي، الشيخ عامر الزاخوري، الشيخ محمد العويد، الشيخ جمال شحادة، الشيخ عبد الغفار الزعبي، الشيخ عبد المجيد المحمد، الشيخ سامر شحود، الشيخ عمر مشهور، الشيخ عمر حيدر، الدكتور خالد الخير، وهم بذلك رقم لا يمكن تجاهله لا عدديًا وإنما تأثيري على المدى البعيد على الأقل»[1].

وهذا التشييع السياسي أو لنقل العمل على ضمان تحييد القوى السنية جريًا وراء محاولات التشييع أو الهيمنة دونها (كما هو الحال في العراق) قد حقق نجاحات هائلة إبان حرب ٢٠٠٦ لكنه سرعان ما فقد كثيرًا من رصيده الدعائي عندما أخفق في كبح شهيته إلى السيطرة العسكرية على البلاد في العام ٢٠٠٨ عندما شهد شهر مايو اجتياحًا من الحزب لبيروت (كان متوقعًا على كل حال)، ونكأ جروحًا سنية كاد بعضها ينسى مع التحاف الحزب بالمقاومة وإدعائه أن سلاحه لا يمكن أن يستخدم في الداخل؛ فإذا هو إلى نحور السنة في بيروت وغيرها، وهو ما أدى إلى نوع من تجييش السنة ضده ولو على الصعيد المعرفي والثقافي، وأفقده رصيده في العالم الإسلامي كله ـ أو كاد ـ وسمح لمعارضي التشيع في العالم العربي أن

---

(١) أمير سعيد - سلفيو لبنان.. السياسة في طور التشكيل ـ موقع المسلم: ٢٩/٨/٢٠٠٨م.

يرفعوا أصواتهم ليفتحوا ملفات حرص الشيعة على إغلاقها، ومنها ملف صبرا وشاتيلا المتهم بارتكابها منظمة أمل الشيعية، بل امتد الاستحقاق التحذيري من قبل مفكرين سنة إلى ملف المقاومة ذاته، الذي قال عنه الكاتب الفلسطيني محمد أسعد بيوض التميمي: «معظم العمليات النوعية في جنوب لبنان قبل عام(٢٠٠٠)قام بها الفلسطينيون بزعامة (أحمد جبريل) قائد الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين القيادة العامة، حيث قدمت هذه الجبهة ٧٥٠ شهيدًا في جميع العمليات النوعية التي جرت في جنوب لبنان قبل عام ٢٠٠٠، وهذا التنظيم الفلسطيني قدم خيرة كوادره وشبابه في معارك(٢٠٠٦) حيث كانوا يُقاتلون في الصفوف الأمامية، فالفعل كان للفلسطينيين بقيادة(أحمد جبريل)والصيت ذهب للشيعة بقيادة(حسن نصر)كما يقول المثل (الفعل لأبوعبيد والصيت لأبو زيد) ، فالقائد الحقيقي هو(أحمد جبريل) وليس (حسن نصر)، وإذا كانت هُناك حسابات إقليمية ودولية تمنع(أحمد جبريل) من إعلان الحقيقة، فإن التاريخ سيُعلنها في يوم من الأيام، وأنا أعرف أن في نفس الأخ (أحمد جبريل) غصة من هذا الأمر، ونتيجة لهذا الدور الذي قام به أحمد جبريل (أبو جهاد) قام اليهود باغتيال ولده البكر(جهاد) القائد العسكري الذي كان يقود العمليات العسكرية ضد اليهود في الجنوب اللبناني»[1].

---

(١) محمد أسعد بيوض التميمي - بين سندان الصفويين في لبنان ومطرقتهم في العراق استيقظ أهل السنة والجماعة على الحقيقة المرة - موقع الكاتب: ٢٤/ ٥/ ٢٠٠٨م.

والأمر ذاته هو الذي حمل مفتي جبل لبنان الشيخ محمد علي الجوزو على فتح ملف قرى الجنوب السنية الواقعة تحت سيطرة (حزب الله) والتأكيد في أكثر من مناسبة على أن السنة ممنوعون من المقاومة هناك، يقول الجوزو: «لقد سألوني عدة مرات لماذا كان حزب الله الذي يحمل هوية شيعية وحده يقاتل علي الساحة ولم يكن لأهل السنة دور إلا المساندة والاحتضان كما تعرف. وكنت أجيب الكثير من الإخوة الذين لا يعرفون حقيقة ما يدور علي الساحة اللبنانية بأن الشقيقة سوريا تحالفت مع الجانب الشيعي وأسست له جيشًا أو أكثر من جيش ومكنتهم من التسلح بالاتفاق مع إيران، بينما حرمت البقية من أبناء الشعب اللبناني من هذا الشرف، يعني منعتنا من أن نتسلح، بل وألقت الكثير من أبنائنا في السجون واضطهدتهم وعاملتهم أسوأ معاملة ونحن نعرف كيف أن حافظ الأسد عندما دخل لبنان عام ١٩٧٦ دخل من أجل ضرب الحركة الوطنية والثورة الفلسطينية علي أرض لبنان، وكان هذا بالاتفاق مع أمريكا وإسرائيل، وقد واجه مقاومة شديدة من قبل جميع الأطراف الموجودة علي الساحة اللبنانية، وكانت مقاومة شديدة لدخوله في هذا الوقت مما جعله أي حافظ الأسد خصمًا للأطراف التي قاومته، وعلي رأسها أهل السنة والفلسطينيون، من هنا كان لابد له بعد ذلك أن يتحالف مع من؟ مع الشيعة، وهذا أخل بالتوازن علي الساحة اللبنانية وجعل المقاومة مقصورة علي إخواننا الشيعة»[(١)].

---

(١) مجلة آخر ساعة المصرية: ٢٤/٩/٢٠٠٦م.

فلسطين:

لم يستقبل كثيرون الصمت الرسمي من قبل حركة حماس الفلسطينية على الهجوم العنيف والشتائم والتكفير الذي غصت بها وسائل إعلام إيران على الشيخ القرضاوي في أعقاب انتقاده لسب الشيعة للصحابة و«تبشيرهم» بمذهبهم في بلاد المسلمين، بل وصدور تصريحات إيجابية في نفس التوقيت لصالح إيران، بارتياح؛ لاعتبار أن حركة حماس هي معنية بنصرة الشيخ القرضاوي في محنته أكثر من غيرها، كونه أحد كبار العلماء المتعاطفين مع الحركة.

ما أثار حفيظة البعض، تفهمه آخرون على خلفية المحنة التي تتعرض لها الحركة والشعب الفلسطيني في غزة أثناء الحصار المضروب عليها، والذي جسرت إيران علاقاتها أكثر بالحركة إبانه في ظل تقصير عربي واضح، ويلتمسون للحركة عذرًا بسبب الحصار وبسبب وقوفها عبر بعض الإجراءات في غزة ضد التشييع، وصدور بعض التصريحات والمقالات من أحد قادتها المندِدة بإيران ورغبتها في نشر التشيع في فلسطين.

وإن بدا للمتخوفين من انتشار التشيع في فلسطين مبرراتهم، إلا أنه مع ندرة حالات التشيع في صفوف الغزاويين وأهل الضفة؛ فقد يكون ما بات يعرف بالتشيع السياسي هو مربط فرس هذه المخاوف التي يخشى أن تتعزز في ظل اعتماد إيران «التشيع السياسي» وسيلة لنشر مذهبها ورهن أتباعه بها في النهاية، وفي ظل ارتياح صهيوني متفهم تاريخيًا سواء في نموذج جنوب لبنان أو غيره لوجود جيوب شيعية في نسيج المجتمع الفلسطيني السني، وقبل

ذلك، مع صدور تصريحات من قيادات رفيعة المستوى في حركة حماس تشيد بالنموذج الإيراني ووقوف إيران مع الحركة إلى حد اعتبارها الداعم الأول للقضية الفلسطينية ـ وربما الوحيد ـ كما ورد على لسان مسؤول رفيع المستوى في الحركة من دمشق.

وما يقال عن حماس، يتضاعف عندما يتعلق الأمر بحركة الجهاد الإسلامي التي فصلت في الأعوام الأخيرة (قبل ٢٠٠٩) عددًا من كوادرها وقياداتها بسبب تشيعهم الكامل، مثلما تواتر من مصادر إعلامية عديدة.

الهتاف الذي أضحى سبة يرددها ناشطو حركة فتح عن حركة حماس، وهو «شيعة.. شيعة» والذي تبدى أكثر في مهرجان تأسيس حركة فتح ٨/١/٢٠٠٧ بغزة، حين هتف عشرات الآلاف به ـ وبُث على فضائية الجزيرة مباشر حينها ـ منددين بالحركة الإسلامية السنية، يثير حفيظة قواعدها في غزة إلى الوصول إلى العراك مع مطلقيه، لكنه مع ذلك يعني أكثر من سباب شبابي؛ إذ يعبر عن قلق ليس بالضرورة من مطلقيه، وإنما من مستقبليه في أروقة حركة حماس والمتعاطفين معها في العالم الإسلامي.

«والإعلان الأخير عن إنشاء مجلس شيعي أعلى في فلسطين، والتراجع عن ذلك بعد أيام، أثار ردود فعل منددة ومستغربة ... لكن المهتمين المتابعين للتمدد الشيعي في الدول الإسلامية، لم يجدوا الإعلان عن إنشاء «المجلس الشيعي الأعلى في فلسطين» أمرًا مفاجئًا، ذلك أن إيران وبعض الجهات الحليفة لها تبذل جهودًا كبيرة، ومنذ سنوات طويلة، لنشر المذهب الشيعي في جميع دول العالم، وبخاصة في الدول السنيّة.

وهذا الإعلان عن إنشاء مجلس شيعي، ثم التراجع عنه بعد أيام يحمل أكثر من دلالة في طياته، ومن ذلك وجود مشروع شيعي تبشيري يعمل على الأرض الفلسطينية، ويبدو أن بعض المتشيعين قد استعجل الظهور للعلن قبل تهيئة الأوضاع، مما دعا حتى قادة الجهاد القريبين من إيران والشيعة للتنصل من هذا المجلس ... وقد تعودنا من متابعتنا لأسلوب العمل الشيعي أنهم يلجأون إلى إنشاء الهيئات والمؤسسات بكثرة وبأسماء ضخمة مثل (المجلس الأعلى، المجلس العالمي) مع أنهم لا يتجاوزون أحيانًا أصابع اليد الواحدة! ويفعلون ذلك لإيهام المسلمين أن عدد الشيعة في هذا البلد أو ذاك كبير، كما أن الشيعة لن يكتفوا بهذا بل سيصعدون مطالبهم كالعادة مع الأيام للحصول على مكاسب لا يستحقونها.

نعم، إن عدد الشيعة الحالي في فلسطين صغير جدًا، وأعداد المتشيعين الحالية لا تدعو للقلق، لكننا مطالبون بالوقوف تجاهه وقفة جادة ومحذرة، فنشر التشيع في فلسطين علاوة على بعض مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في لبنان يهدف إلى إثارة الفتنة بين الفلسطينيين، وصرفهم عن قضيتهم الأساسية في مقاومة الاحتلال»[١].

والتفسير الأكثر خطورة ـ في الصعيد السياسي ـ أن العمل على وجود «طائفية» في فلسطين، أحد البلدان الإسلامية الرئيسية المنسجمة دينيًا من شأنه أن يخدم «إسرائيل» ويسهم في تأمينها على المدى البعيد مثلما قد حصل في

---

(١) الغزو الشيعي لفلسطين - إعداد شبكة الراصد الإسلامية (السنية).

الجنوب اللبناني عندما أفرغ تمامًا من المقاومة الفلسطينية السنية، وحل بدلاً منه حزب يمكنه التفاهم مع «إسرائيل» والقبول بقرارات دولية كالقرار ١٧٠١ الذي أعقب العدوان على لبنان في صيف ٢٠٠٦.

أما على الصعيد الديني والمذهبي؛ فإن الأمر لم يعد كونه جهدًا تشييعيًا محدودًا لكنه مؤثر بالطبع إذا نظر إليه من جهة تأثير الشخصيات التي تشيعت بالفعل في فلسطين، ومنها ـ بحسب الدراسة نفسها ـ محمد شحادة، أحد قادة الجهاد السابقين ومبعدي مرج الزهور في التسعينات، «وقد أصبحت مدينة بيت لحم حيث يسكن محمد شحادة مركزًا للشيعة في فلسطين ... ومحمد عبد الفتاح غوانمة رئيس (المجلس الشيعي الأعلى في فلسطين) ويؤكد أن خطته الحالية هي بناء مسجد شيعي في رام الله، ومحمد أبو سمرة، رئيس ما يسمى «الحركة الإسلامية الوطنية» وهو متزوج من شيعية، وله ارتباط بالسلطة الفلسطينية ومراجع الشيعة خارج فلسطين، ويدير مركز القدس للدراسات والبحوث، الذي يقوم بنشر كتب الشيعة على أنها كتب دينية، والمهندس معتصم زكي، وهو عضو سابق في حزب التحرير ... وقد استدعي ـ بحسب روايته ـ من قبل أجهزة السلطة الفلسطينية للتحقيق معه بسبب لعنه لأبي بكر وعمر، ويقول: إن أغلب المتشيعين في فلسطين، إنما (يستبصرون) بسبب حسن نصر الله، أمين عام (حزب الله). وأشرف أمونة، ويعيش في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨م، ويشرف على جمعية مرخصة من سلطات الاحتلال في دبورية ـ قضاء الجليل ـ، وهي (الجمعية الجعفرية) التي ترعى هيئات

منها: حسينية الرسول الأعظم ﷺ، ومكتبة الزهراء عليها السلام، ومجلة السبيل»[1].

ويلحظ من خلال هؤلاء أن التشييع الديني ليس حكرًا على تنظيم ما في فلسطين إذ يسعى الإيرانيون إلى مد الجسور مع الجميع بغية تحقيق هدفهم، ومع ذلك، وبرغم أهمية هؤلاء؛ فإن مسألة التشيع الديني لم تلق قبولاً لدى الفلسطينيين حتى غير المتدينين منهم، بسبب التاريخ المأساوي الذي تعرضوا له في لبنان سابقًا والعراق حاليًا على يد الشيعة.

«وتعتبر الفترة التي قضاها بعض قادة الجهاد، في الداخل، في مخيم مرج الزهور بجنوب لبنان فترة حاسمة، فقد تبين أن جلسات مطولة ومنتظمة كانت تتم بين حزب الله ونشيطين من «الجهاد الإسلامي». ونتج عن هذه اللقاءات تبني بعض قادة الحركة التشيع خلال وجوده في «مرج الزهور»، وبدأ بالعمل الشيعي بعد ذلك بشكل سري ومنظم، وكان يتم تدريس التشيع بين أفراد ينتمون إلى حركة الجهاد الإسلامي بسرية تامة، ولم يظهر أي أثر للتشيع حتى بداية انتفاضة الأقصى سنة ٢٠٠٠م، حيث بدأت تطفو على السطح الحركات المسلحة، ومنها «الجهاد الإسلامي»، فانتهزوا الفرصة، وأظهروا التشيع علنًا مستغلين حالة الفوضى، وانشغال المسلمين بمقاومة اليهود، واستغلوا عاطفة المسلمين مع كل من يحمل السلاح.

---

(١) المصدر السابق.

وقاموا بإنشاء عدة مؤسسات، خاصة في محافظة بيت لحم، مثل اتحاد الشباب الإسلامي، وهو عبارة عن جمعية خيرية دعوية أنشأت فيه ناديًا للشباب فيه كثير من المغريات لاستقطاب أكبر عدد، كذلك تم إنشاء مستوصف الإحسان الخيري، ومستوصف السبيل، ومركز نقاء الدوحة الجراحي، ومدرسة النقاء ومركز النقاء النسوي. وإضافة إلى فتح دور للقرآن الكريم في المساجد، وتقديم دعم مالي لطلاب الجامعات، واعتماد راتب شهري للمنتسبين إليهم. ومؤخرًا قاموا بشراء مبنى في بيت لحم بقيمة ٣٠٠ ألف دولار»[(١)].

الكويت:

تتحدث دراسة لشبكة الراصد السنية المتخصصة في الشأن الشيعي عن أن نسبة الشيعة في الكويت تبلغ نحو ٢٠٪ من سكانها[(٢)]، بينما تزيد المصادر الغربية ـ كالعادة ـ هذه النسبة، «فوفقًا لتقرير (الحرية الدينية في العالم) لعام ٢٠٠٦، الذي تصدره الخارجية الأمريكية، يشكل الشيعة نسبة ٣٠ في المائة من عدد السكان المواطنين»[(٣)]، أتى معظمهم إلى البلاد من إيران «نتيجة مخطط

(١) المصدر السابق.

(٢) د. عبد الله الغريب - وجاء دور المجوس: ٣١٨،وتنسب الشبكة إلى (هموم الأقليات) الصادر عن مركز ابن خلدون لسنة: ١٩٩٣م: ٣٠٤. غير أن معطيات الانتخابات النيابية ربما أعطت نسبة أدق وأقل وإن لم تكن مطابقة.

(٣) شيعة الكويت.. بين المشاركة والتمايز المذهبي ـ موقع CNN: ١٣/ ٤/ ٢٠٠٧م.

مدروس ... وكانت هذه الهجرة المنظمة والكثيفة تهدف إلى الاستفادة من الرخاء المأمول بسبب اكتشاف النفط، إضافة إلى رغبة إيران في تشكيل تجمعات شيعية كبيرة في دول الخليج، تسهّل على إيران المطالبة بهذه المناطق وادّعاء ملكيتها لها»[1].

وللشيعة نشاط يتزايد يومًا بعد يوم على الصعيد السياسي، وقد تجلت قوتهم من خلال تمكنهم في العام ٢٠٠٨ من تمرير أزمة عزاء عماد مغنية القيادي العسكري بـ«حزب الله» الشيعي اللبناني الذي قتل بشكل غامض في سوريا في العام نفسه، عندما قام نائبان كويتيان ونائب سابق، وهم النائب عدنان عبد الصمد والنائب أحمد لاري والنائب السابق عبد المحسن جمال بالمشاركة في حفل تأبين للقتيل برغم كونه متهمًا بقيادة عمليات إرهابية ضد الكويت إبان الثمانينات، وذلك بعد أن نجحت الطائفة الشيعية في تجييش طاقاتها للوقوف خلف النواب الذين خضعوا لتحقيقات النيابة العامة بعد مجلس التأبين ووجهت إليهم تهم تتضمن «الانتماء إلى تنظيم محظور يعمل ضد أمن البلد»، ما أدى إلى إطلاق عشرات دعاوى القضايا ضد منتقدي النواب، وهو ما سمح للنواب بالاجتماع مع أمير البلاد بهدف عرض التنازل عن الدعاوى ضد المنتقدين السنة في مقابل إيقاف التحقيق معهم بحسب صحيفة الآن الكويتية[2]، علما بأن الأزمة لم تكن في نهايتها قد أدت

---

(١) شبكة الراصد السنية - التجمعات الشيعية في الكويت.

(٢) صحيفة الآن الكويتية: ٣/ ٧/ ٢٠٠٨م.

سوى إلى تراجع الموقف السني قليلاً بعدما «رفع (المؤبنون) قضايا التشهير ضدهم النائب السلفي محمد هايف المطيري الذي كان ذكر في ندوة أن (حزب الله الكويتي) يدرّب عناصره في مخيمات في الصحراء الكويتية. ورفعت الحصانة النيابية عنه أخيرا لكي يمثل لتحقيق النيابة»[1].

كما أن قضية المرجع الشيعي الإيراني محمد الفالي الذي نجح نافذون في السماح له بدخول الكويت رغم وضعه على قائمة الممنوعين من دخول البلاد في نوفمبر ٢٠٠٨ قد كشفت عن حجم النفوذ الذي يتمتع به الشيعة في الكويت، وهو ما أدى في النهاية إلى إدارة الأزمة باتجاه التيار السلفي الذي فجر أزمة دخول الفالي إلى البلاد بما يحمله ذلك من تجاوز للقانون والدستور، حيث انطلقت أيضًا الدعاوى القضايا والحملات الإعلامية ضد النواب الثائرين ضد وجود متهم بسب الذات الإلهية على أرض الكويت، ويمكن لأي باحث تحليل بعض الصحف الكويتية في تلك المرحلة للوقوف على حجم هذا النفوذ الذي تمكن من تجاوز الإرث العنيف لبعض الناشطين الشيعة الذين حاولوا اغتيال الأمير الراحل جابر الصباح إبان مساندة الكويت للعراق في حربه مع إيران في ثمانينات القرن الماضي.

ويبدو في الأمر مفارقة لافتة إذا ما علم أن «الحكومة في تشكيلتها الأخيرة فاجأت الجميع بإدخالها لنائب المجلس البلدي فاضل صفر في تشكيلتها وزيرًا للشؤون البلدية. وكان صفر ضمن من خضعوا لتحقيقات

---

(١) تقرير حمد الجاسر من الكويت ـ صحيفة الحياة السعودية: ٤/ ٧/ ٢٠٠٨م.

النيابة العامة في قضية (التأبين)، وفسرت مشاركته بأن النظام السياسي الكويتي يحاول تجاوز مشكلة التأبين وما أثارته من حساسيات سياسية ومذهبية بـ(القفز إلى الأمام) واحتواء هذه المجموعة السياسية الشيعية الأقرب إلى فكر الثورة الإيرانية والأكثر جهرًا بالتعاطف معها»[1].

لكن النشاط الشيعي في الكويت لا يقتصر على الجانب السياسي، الذي لا يمثل إلا جزءًا محدودًا من فعاليته؛ فالنشاط الديني المؤثر آخذ في النمو مع وجود أكثر من ٢٦ مسجدًا شيعيًا كبيرًا و١٤٠ حسينية تقريبًا خارج أطر السيطرة الأوقافية الرسمية، ومع أرضية تتسع من المهرجانات والاحتفالات والطقوس الشيعية المتظاهرة بقوة منذ أن احتلت بغداد في العام ٢٠٠٣، والتعليم والإعلام الذي يتجسد فيه التوغل الشيعي والجمعيات الأهلية.

البحرين:

في يوليو ٢٠٠٨ كتب حسين شريعتمداري مستشار مرشد الثورة الإيراني علي خامنئي ورئيس تحرير صحيفة كيهان شبه الرسمية أن «هناك حسابا منفصلا للبحرين بين دول مجلس التعاون في الخليج الفارسي»، وقال في افتتاحية صحيفته إن البحرين جزء من الأراضي الإيرانية وأنها انفصلت عن إيران «إثر تسوية غير قانونية بين الشاه وحكومات الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا»، طبقًا لما ذكرته وكالات الأنباء حينها، وبعد أسابيع، وصف عضو كتلة (الوفاق الإسلامية) الشيعية النائب بالبرلمان البحريني حمزة

(١) الحياة ـ مصدر سابق.

الديري في مقابلة صحفية نشرتها الصحافة البحرينية، النائب السلفي المستقل الشيخ جاسم السعيدي بأنه «ناصبي» وأئمة الحرمين المكي والمدني بأنهم «أكثر ناصبية» من السعيدي.

كلا التصريحين عكسا تطورات الموقف في البحرين على الصعيدين الداخلي والخارجي، بعد شهور من تصريحات صحفية مفعمة بالمرارة قالها القائد العام للجيش البحريني الفريق أول الركن الشيخ خليفة بن أحمد آل خليفة لصحيفة (إيران ديلي) وجاء فيها أن «هناك بعض المشاغبين، وهم قليلون ولن يستطيعوا المس بأمن البحرين ... وهذا جزء من سياسة إيران، فهي تعبث في العراق والكويت ولبنان وغزة والبحرين، وهي مثل الأخطبوط»[1].

ما تقدم ليس في الحقيقة، مأخوذًا من طيات أزمة تصعيدية بين المعارضة الشيعية والحكومة البحرينية؛ فقد جرى في أكثر الأيام تفاهم بين الطرفين، بعدما باشرت السلطات البحرينية ترطيب الأجواء مع تلك المعارضة وأعادت منفييها من إيران وأوروبا وسمحت لهم بمزاولة الأنشطة السياسية للحد الذي مكن جمعية الوفاق الشيعية لأن تصبح أكبر كتلة في البرلمان البحريني (١٧ نائبًا في البرلمان البحريني) من أصل أربعين عضوًا موزعين على القوى المختلفة والمستقلة (منتخبًا بخلاف مثلهم من المعينين وفقًا للنظام البحريني).

---

(١) موقع البينة المتخصص في تتبع أنشطة الشيعة الإمامية: ٢١/ ٥/ ٢٠٠٨م.

والواقع أن إتاحة المجال لانتخابات ديمقراطية في البحرين لم يكبح طموحًا لدى الناشطين الشيعة في السيطرة الكاملة على البحرين وتسليمها وفقًا لرغبات بعضهم إلى إيران كمحافظة جديدة برغم ما يتوقع من تضرر هذه الأقلية الشيعية ذاتها ماديًا في ذلك.

وإن كان من فائدة لهذه الانتخابات؛ فإنها أماطت في العام ٢٠٠٦ عن الحجم الحقيقي للشيعة في البحرين عندما أسفرت نتائجها عن حصول الشيعة على تمثيل يوازي ٤٢,٥٪ من أعضاء البرلمان البحريني، وهو ما يجافي التقديرات الغربية والإيرانية المتواترة والمتضافرة (للدقة)، والتي تقفز بتلك النسبة إلى ما بين ٧٠ إلى ٩٠٪!! وهو ما نبهت إليه شبكة الراصد السنية عندما أوردت هذه المعلومات ضمن دراسة لها خاصة بالبحرين: «جاء في تقرير مركز ابن خلدون حول الأقليات لسنة ١٩٩٣ أن سكان البحرين ينقسمون إلى ثلاث مجموعات:

العرب الشيعة ونسبتهم ٤٥٪ من مجموع السكان، والعرب السنة ونسبتهم كذلك ٤٥٪ أما الإيرانيون ٨٪، وثلثهم سنة والثلثان من الشيعة، وبذلك يصل الشيعة العرب والإيرانيون إلى حوالي ٥٢٪، أما السنة العرب والإيرانيون البلوش فنسبتهم ٤٨٪ (التقرير ص٣٠٢).

إلا أن تقرير ابن خلدون ذاته الصادر سنة ١٩٩٩(ص١٩٥) قام برفع نسبة الشيعة في البحرين إلى ٧٠٪، وهي نسبة غير واقعية ومنافية للواقع السكاني في البحرين، ولم يذكر التقرير الأسس التي استند عليها لرفع نسبة الشيعة من ٥٢٪ إلى ٧٠٪ خلال ٦ سنوات، على الرغم من أنه لم يحصل ما

يدعو إلى ارتفاع النسبة بهذا الشكل وخلال هذه الفترة القصيرة»[1]، وهو أيضًا ما يكشف ـ إلى جوار الإحصاءات الغربية الأخرى ـ عن حجم التعاطف مع هذه الأقلية الكبيرة في البحرين، وهو ما يتضح بجلاء في التغطية المرافقة لأحداث الشغب والمظاهرات العنيفة في البحرين التي يقوم بها الشيعة في البحرين منذ احتلت الولايات المتحدة الأمريكية بغداد، وفي التقرير الذي أصدرته المجموعة الدولية لمعالجة الأزمات والذي دعا الحكومة البحرينية إلى «التوقف عن المناورة والتلاعب في البنية الديموجرافية عن طريق التجنيس السياسي للأجانب ومنح حقوق التصويت لمواطني السعودية»[2].

وإن كان ينبغي من الإنصاف القول، إن الانتخابات البرلمانية تعد مؤشرًا لا إحصاء لعدد السكان، ولو تعززت هذه النتيجة للانتخابات البرلمانية بأخرى بلدية في العام ٢٠٠٢ عندما «نال التيار (الإسلامي) الشيعي ٢٣ مقعدا من المقاعد الخمسين في حين فاز التيار الإسلامي السني ببقية المقاعد الـ ٢٧»[3]، كما أنه يؤخذ أيضًا بالاعتبار ما أوردته وكالة الأنباء الفرنسية غداة الانتخابات البرلمانية من أن الإقبال في مناطق المعارضة كان أكبر من بقية

---

(١) دراسة التجمعات الشيعية في البحرين ـ شبكة الراصد السنية المتخصصة.

(٢) تقرير المجموعة الدولية لمعالجة الأزمات، الذي تم توزيعه في كل من عمان وبروكسل يوم: ٣١/ ٥/ ٢٠٠٥م، والهادف إلى الضغط على الحكومة البحرينية قبل انتخابات العام ٢٠٠٦م.

(٣) وكالة الأنباء الشيعية (إباء): ١٧/ ٥/ ٢٠٠٢م.

المناطق؛ ما يعني أن الشيعة قد حشدوا كل طاقاتهم في هذه الانتخابات التي تقول المصادر الرسمية البحرينية أن نسبة الإقبال عليها بلغت ٧٢٪.

ويعود النشاط الشيعي السياسي في البحرين إلى بداية الثورة الشيعية في إيران ـ كما يقول علي الصادق ـ من خلال تأسيس عدة أحزاب تابعة للنظام الإيراني في مختلف المناطق، و«في البحرين تم التوجيه لهادي المدرسي بتكوين الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين ومقرها طهران، وأصدرت في بدايتها بيانًا تبين فيه أهدافها، وهي على النحو التالي:

١- إسقاط حكم آل خليفة.

٢- إقامة نظام شيعي موافق للنظام الثوري الخميني في إيران.

٣- تحقيق استقلال البلد عن مجلس التعاون الخليجي وربطها بالجمهورية الإيرانية»[(١)].

«وفي ديسمبر ١٩٨١ قامت الجبهة بقيادة محمد تقي المدرسي بتنفيذ المحاولة الانقلابية على الحكم وتم إفشال هذه العملية ... وفي منتصف الثمانينات (تم الاتفاق على التكليف الإيراني للبحرينيين الموالين بتشكيل) حزب الله ـ البحرين، وتزعم الحزب عبد الأمير الجمري وخلفه الآن علي سلمان»[(٢)].

---

(١) علي الصادق - ماذا تعرف عن حزب اللـه: ٣٧ - ٣٨. مختصرًا من فلاح المديرس - الحركات والجماعات السياسية في البحرين: ٩٩ - ١٠٤.

(٢) المصدر السابق.

(وعلي سلمان هو الآن البادي بالوجه السياسي، كزعيم لجبهة الوفاق، والتي تدعي عدم الارتهان لإيران) ونفذ الحزب سلسلة من أعمال العنف القوية خلال فترة التسعينات وأظهرها في ١٩٩٦، وبعد توقف ظاهري للحزب اقتصر فيه الدور على الجانب السياسي، عاد اسم الحزب للظهور مجددًا برغم «المصالحة الوطنية» عندما كشفت التقارير الأمنية عن إعادة هيكلة الحزب بمناصرة قوية من حسن نصر الله زعيم الحزب بلبنان[1].

ولم تزل البحرين تعاني من محاولات تغيير التركيبة الديموجرافية للبلاد على أيدي المخططين الإيرانيين الذين بادروا إلى شراء الأراضي في البحرين ضمن مخطط مدروس كشف عنه في سبتمبر ٢٠٠٦، وبطبيعة الحال لم تتحدث عنه المجموعة الدولية لمعالجة الأزمات!!

أفغانستان:

تحاول إيران الادعاء بأن حجم الشيعة في أفغانستان يقترب من حدود ربع سكانها، إلا أن المصادر السنية تحددهم بنحو ٨٪ من تعداد سكان أفغانستان، وينشط الشيعة في إقليم هيرات الحدودي مع إيران، وبه أكبر تجمع للشيعة كان يتمثل بحزب الوحدة، والذي شارك بقوة في القتال إلى جانب الأمريكيين في حربهم ضد طالبان في العام ٢٠٠١ وتمكن جراء ذلك من الحصول على حصة في حكم هذا البلد الممزق.

---

(١) صحيفة الأيام البحرينية: ٢٠٠٦/٩/٤م، ومجلة الوطن العربي:٢٠٠٦/٩/٢٧م ، المصدر السابق.

وفي أعقاب الحرب التي شنت في أفغانستان وغيرت من خارطة القوى التقليدية التي كانت تمثل التركيبة الديموجرافية للبلادِ سواء أكانت في الحكم أم في المعارضة؛ فإن شيعة أفغانستان قد أفادوا جيدا من حصة المساهمة في الجهد الحربي إلى جوار الولايات المتحدة ودول الاحتلال الأخرى، ما خلف تمثيلاً قفز بزعيم حزب الوحدة عبد الكريم خليلي إلى منصب نائب الرئيس الأفغاني إلى جانب عديد من الرموز الشيعية التي تبوأت مناصب رفيعة في الدولة؛ فوزير العدل ووزير الصناعة ووزير النقل ووزير الأشغال العامة وعدد من نواب الوزراء وحكام بعض الولايات المهمة مثل هيرات وباميان وسمنجان ودايكوندي هم جميعًا من الشيعة.

ويلفت الباحث أبو الفضل نافع في دراسته عن الشيعة في أفغانستان النظر إلى أن «أربعًا من القنوات التلفازية التسع في البلاد يملكها الشيعة مثل قناتي طلوع ولمر الذي يملكها الشيعة الإسماعيلية بدعمٍ وتمويل مباشر من زعيم الطائفة الإسماعيلية كريم أغاخان وقناتي آريانا الوطني وآريانا العالمية اللتين يملكهما رجل أعمال شيعي أحسان بيات، إضافة إلى قناة خامسة واسمها تمدن أي الحضارة فهي في طور الإنشاء والتي ستطلق قريبًا ويشرف عليها المرجع الشيعي المشهور آصف محسني»(١).

وقد نجح مسؤولو الشيعة في النظام الأفغاني في وضع بند في الدستور الأفغاني ينص على أن المذهب الشيعي الجعفري هو مذهب معترف به في البلاد إلى جانب السني الحنفي.

---

(١) أبو الفضل نافع - موقع المسلم: ١٢/ ١٢/ ٢٠٠٦م.

وقد سيطر الشيعة على الاقتصاد والإعلام الأفغاني الذي بمعظمه أضحى حكرًا على الثقافة الإيرانية لاسيما في كابل، حيث يعد النفوذ الحكومي فيها متماسكا، ويضيف الباحث أن «هناك آلاف الطلبة الشيعة الأفغان الذين يتلقون التعليم الديني في الجامعات والمدارس والحوزات الدينية الشيعية في كل من إيران والعراق وبالتحديد في مدن قم ومشهد والنجف. كما أن العاصمة الأفغانية كابل وبعض المناطق الشيعية الأفغانية شهدت قيام العشرات من المدارس والجامعات والحوزات الدينية الشيعية في السنوات الخمس الأخيرة، وتعتبر جامعة خاتم النبيين في كابل أبرز وأهم إنجاز في هذا المضمار، هذه الجامعة عبارة عن مجمع تعليمي ديني شيعي يقع في حي (دهمزنك) وهي منطقة استراتيجية في قلب العاصمة الأفغانية كابل وتم بناؤه على مساحةٍ كبيرةٍ من الأراضي التي تم شراء جزءٍ منها لهذا الغرض وقامت الحكومة بمنح الجزء الآخر، ويشرف على المجمع الزعيم الشيعي آصف محسني وقد تولت أعمال البناء شركة إنشاء إيرانية اسمها أفغان- طوس، ويتكون المجمع من عشرات المباني التي تتضمن مئات الغرف والقاعات الدراسية إضافةً إلى صالات كبرى للندوات والمؤتمرات والمعارض والمكتبات والمباني السكنية للطلبة وقد صرّح آصف محسني بأنه يريد من هذا المجمع أن يكون حوزة علميةٍ في المنطقة مثل حوزتي قم في إيران والنجف في العراق ليدرس فيها الطلاب من أنحاء دول المنطقة»[١].

---

(١) المصدر السابق.

ويلاحظ أن إزاء طغيان النفوذ الإيراني والشيعي في مرتكزات الدولة الأفغانية، ومساهمة الشيعة الأفغان في تحقيق هدوء المقاومة الذي يسعى له الاحتلال؛ فإن ذلك تتم ترجمته على الفور عبر ملاحظة مناطق النفوذ الشيعي وتمركز الشيعة في أفغانستان والتي تخلو الأخبار من تسجيل حدوث عمليات تستهدف القوات الأممية، فيما عدا الأخبار التي تتناول الفتن الداخلية بين الشيعة والسنة بسبب سباب الصحابة على لسان بعض الزعماء الشيعة الدينيين، كمثل ما حدث في ولاية هيرات أثناء إقامة حفل عاشوراء في الجامع الكبير في هيرات وهو مسجد سني تاريخي، من سباب لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، ما خلف فتنة بين الشيعة والسنة هناك.

وتعد مدن هيرات وباميان وبلخ ومزار شريف، هي أكثر تلك المدن التي تشهد اضطرابات طائفية من دون أن تشهد أعمالا عسكرية ضد القوات الأجنبية.

باكستان:

يعد شيعة باكستان هم أبرز التكتلات الشيعية في العالم بعد إيران، وبالتالي فهم ذوو تأثير كبير ليس على الحالة الشيعية الداخلية فحسب، وإنما يعدون مؤشرًا يتجه حال ضعفه أو قوته نحو تغيير الاستراتيجية الإقليمية والعالمية، وهو ما يمكن رصده من خلال ظاهرتي باكستان أثناء حكم آل بوتو الشيعي، وحكم ضياء الحق السني، والاختلاف الجذري للسياسة الباكستانية والدولية من ثم بتغير الحكم في البلاد الباكستانية، ثم التأثير الإقليمي، وتدحرج الوضع الإسلامي برمته صعودًا وهبوطًا تأثرًا بتحرك هذا المؤشر،

ويمكن للدلالة على ذلك القول على سبيل المثال بأن الوضع السياسي في الخليج العربي رهين هذا التأثير، وقد أفرد الصحفي علي مطر دراسة، تلخص الحالة الشيعية في باكستان ذكر فيها أن نسبة الشيعة هناك متأرجحة في الإحصاءات المختلفة ما بين (٥ – ٢٠)٪، ويقول: إن «مصادر الشيعة تؤكد أن نسبتهم تتراوح مابين (١٥ – ٢٠)٪ ولكن التقارير الصادرة عن مكتبة الكونجرس الأمريكي بخصوص الديموجرافية الطائفية في باكستان ينص على أن الشيعة لا يتجاوزون ٥٪ من سكان البلاد وبحسب الإحصائية الصادرة عن دائرة المعارف البريطانية فإن عدد الشيعة في باكستان يبلغ حوالي ٣١٥٠٠٥٦٠٠ نسمة والأقلية الشيعية تعتبر ثاني كتلة شيعيه بعد إيران. تجدر الإشارة إلى أن إحصائية دائرة المعارف البريطانية نصت على أن الشيعة في العالم يشكلون ١٥٪ من إجمالي تعداد المسلمين في العالم حيث يبلغ عددهم نحو ٢١٠٩٠٥١٦٥ نسمة. (وهي نسبة تبدو مبالغًا فيها إلى حد ما)»[١].

ويضيف علي مطر أن «معظم القيادات السياسية البارزة أو التي تم إبرازها على حساب تغييب غيرها والتي كانت تتزعم مسلمي شبه القارة الهندية في كفاحهم الرامي إلى إنشاء كيان مستقل لهم كانوا شيعه مثل: محمد علي جناح، لياقت علي خان، صدر الدين أغا خان، لذلك كانت الأجواء مهيأة للشيعة لأن يستحوذوا على أهم المناصب القيادية إثر بروز باكستان إلى

---

(١) علي مطر – الشيعة في باكستان باختصار ـ موقع المسلم: ٢٨/ ١٢/ ٢٠٠٧م.

حيز الوجود في عام ١٩٤٧م وظلت هذه الظاهرة سائدة إلى عهد ضياء الحق الذي كان سنيا محضا، فحاول جهد مستطاعه أن يحجم النفوذ الشيعي في الجيش ودوائر صنع القرار ونجح في هذه المحاولة نسبيا، ويتمثل هذا النفوذ في المظاهر التالية:

١- يعتبر وسام حيدر أعلى وسام عسكري بباكستان وقد سمي كما هو واضح تيمنا بالخليفة الراشد علي بن أبي طالب حيث يعتبر حيدر لقبه.

٢- أثناء التمارين التي يمارسها المتدربون في القوات المسلحة يهتف أحدهم بين آونة وأخرى بكلمة «حيدر» والبقية يرددون «يا علي مدد» ومعناه أغثني يا علي وهنالك من أنكر ذلك فتم طرده من الجيش ومن أبرز من تم طردهم الدكتور مسعود عثماني.

٣- في المناسبات الخاصة بالشيعة وبالذات في طقوسهم التي يمارسونها يوم العاشر من شهر محرم تسخر الحكومة كافة إمكاناتها لحمايتهم وتفرض حالة الطوارئ في البلاد حتى إن المناطق التي يعد فيها الشيعة على الأنامل تحاط مآتمهم الحسينية بسوار أمني مكثف، وفي المقابل فإن احتفالات بقية الطوائف لا تحظى بهذه العناية المركزة، البريلوية مثلا يحتفلون بالمولد النبوي الشريف في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول الذي يشارك فيه الملايين، ولكنهم لا يحظون بالاهتمام الذي يحظى به الشيعة.

٤- ثبت ضلوع إيران في أحداث العنف الطائفية التي اندلعت في المناطق الشمالية ذات الكثافة الشيعية في عام ١٩٩٨م وراح ضحيتها المئات جلهم من السنة ولكن الحكومة أبدت انحيازها للشيعة حيث زجت بزعامات السنة

في السجون وألقت باللائمة عليهم، ولم تستدعِ السفير الإيراني في باكستان لتسجيل الاستنكار، وقد جاهر الشيعة بمطالبتهم بإنشاء كيان مستقل لهم في المناطق الشمالية باسم «جمهورية قراقرم».

٥- خلال الأيام العشرة الأولى من شهر محرم تغلق الحكومة دور السينما وتصدر أوامرها الصارمة بعدم تشغيل الأغاني في المحلات التجارية والسيارات وتعاقب بشكل فوري كل من سولت له نفسه ولم يذعن للقرار الحكومي وتكف القنوات التلفزيونية عن بث الموسيقى بشكل مطلق حتى الأصوات الموسيقية التي تسبق نشرة الأخبار، في حين أن شهر ربيع الأول الذي شهد مولد ووفاة النبي ﷺ لا تغلق فيه دور السينما وتعرض الأفلام الإباحية فيها والمسرحيات الهابطة في القنوات التلفزيونية دون أن تنبس الحكومة ببنت شفة. (وهذا للمقارنة فقط).

٦- يتم تخصيص القنوات التلفزيونية الحكومية والخاصة في الأيام العشرة الأولى من شهر محرم لبث البرامج الشيعية وتغطية طقوسهم وهذا ما لا تحظى به أية طائفة أخرى.

٧- توجد قنصليات ومراكز ثقافية إيرانية في كافة العواصم الإقليمية (كراتشي ولاهور وبيشاور وكويتا) وفي مدن ملتان وحيدر آباد بدون دواعٍ دبلوماسية معقولة، وثبت ضلوعها في أعمال وأنشطة مناوئة لباكستان ولكن الحكومة تغض الطرف عن ذلك مما يدل على نفوذ الشيعة القوي في باكستان.

٨- حاول بعض العلماء السنة أن تتزامن مواعيد الصيام والعيدين مع الدول العربية وخصوصا السعودية، ولكن طائفة الشيعة حالت دون ذلك

رغم كونهم أقلية في البلاد وفي لجنة رؤية الهلال لذى الحجة فإن الحجيج يكونون اليوم في عرفة وغدا عيدهم بينما عيد الأضحى في باكستان بعد يومين[1]!!».

وكباقي دول العالم التي تهتم فيها الأجهزة الإيرانية بتنوع المنظمات الشيعية الموالية لها تبرز أسماء مختلفة للمنظمات والحركات الشيعية، منها أبرزها:

«١ـ حركة تطبيق الفقه الجعفري: أسسها المفتي جعفر حسين عام ١٩٧٩م وهذه المنظمة تعرف بغلوها وعدائها للسنة وهي تحتفل في اليوم الثامن من شهر شوال بيوم أسود احتجاجا منها على ما تزعمه بـ«هدم السعودية لمزارات آل البيت في بقيع الغرقد»، وتعج أدبياتها المطبوعة والالكترونية بالطعن في السعودية وفي دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب ﵀، وتتبعها المنظمات التالية: منظمة شبابية طلابية باسم مختار، وجيش المختار: وهي منظمة مسلحة تأسست في عام ١٩٨٦م، والملة الجعفرية: تأسست في عام ١٩٨٨م بزعامة ساجد على نقوي وهو يعتبر ممثل ولي الفقيه في إيران (الخميني فالخامنئي) في باكستان.

٢ ـ منظمة فرع طلابي باسم هيئة الطلاب الإمامية ويرمز إليها برموز آي إس أو، سباه محمد: هي منظمة شيعية إرهابية تأسست في عام ١٩٩٣م على يد مريد عباس يزداني، وقد حظر الجنرال مشرف هذه المنظمة يوم

---

(١) المصدر السابق.

١٨/ ١٠/ ٢٠٠٣م وألقي القبض على قائدها في عام ١٩٩٦م بسبب تورطه في اغتيال ٣٠ قائدا سنيا وعدد كبير من عامة السنة، لدى المنظمة ٣٠٠٠٠ شاب مدرب على فنون القتال ومهاراته الأولية ولديها ثلاثة معسكرات تدريب في إيران جمدت أرصدتها البنكية يوم ٢٣/٨/٢٠٠١م ويقع المقر الرئيسي للمنظمة في ضواحي مدينة لاهور في حارة توكار نياز بيغ، اكتشفت السلطات الباكستاينة فيه معتقلات سرية حيث كانوا يعذبون فيه مناوئيهم من السنة.

٣ ـ شيعة بوليتكل بارتي: وهو الحزب الذي يترأسه ذو الفقار حسين بخاري، و«سند» شيعة اركنائزاشن التي يقودها إمام علي كاظمي ولكنها تفتقر إلى قاعدة جماهيرية يعتد بها.

ويعتبر الولاء لإيران القاسم المشترك في كافة الفصائل الشيعية فهي تدعم كافة المواقف السياسية التي تصدر من طهران أو تتبناها الحكومة الإيرانية»[1].

وتحدد الدراسة المناطق التي يشكل فيها الشيعة أغلبية بباكستان هي كالتالي:

«أ- المناطق الباكستانية الشمالية الملاصقة للصين مثل جلجت وهنزا وبلتستان واسكردو وغازارو وشيغر والتي تقطنها أغلبية شيعية اثنا عشرية وتندلع فيها بين حين وآخر أعمال عنف مسلحة بين الشيعة والسنة، ويخطط الشيعة لإنشاء كيان لهم في هذه المنطقة.

---

(١) المصدر السابق.

ب- منطقة جترال وتقطنها الإسماعيلية الأغاخانية وهناك مخطط مدعوم من قبل دول غربية ومن «إسرائيل» لإنشاء وطن مستقل للأغاخانية في منطقة جترال.

ت- منطقة ومدينة جنك بإقليم البنجاب وتقطنها شيعة اثنا عشرية وتندلع فيها أحداث عنف طائفي بين الشيعة والسنة بشكل شبه دائم.

ث- منطقة اتك بإقليم البنجاب وفيها حضور ملحوظ للشيعة الاثني عشرية وفي المنطقة تقاطع طرق رئيسي باسم الخميني.

ج- منطقة كورم ايجينسي القبلية الخاضعة إداريا للحكومة الفيدرالية في إسلام آباد وتندلع فيها أحداث عنف مسلحة خطيرة وبخاصة في الأيام العشرة الأولى من شهر محرم.

ح- المناطق الداخلية في إقليم السند وخاصة المدن لاركانة ونواب شاه وسقر ويوجد في كراتشي أعداد كبيرة من الأغاخانية جلهم أثرياء ثراء فاحشا.

خ- في مدينة كويتة عاصمة إقليم بلوشستان يوجد عدد كبير من الشيعة الذين يتحدثون الفارسية وهم من العرق المغولي ولهم ممثل بالبرلمان الإقليمي.

د- من أبرز الرموز الشيعية: قيادات حزب الشعب الذي كانت تتزعمه بينظير بوتو وعائلتها وزوجها وأمها وغالبية القيادات المنحدرة من المناطق الداخلية بإقليم السند، وقيادات حركة المهاجرين القومية التي تحتفظ بنفوذ لها بإقليم السند، وهذه الحركة مليئة بالشيعة. وهناك شخصية إعلامية بارزة هي

مشاهد حسين سيد والذي برز إبان حكومة نواز شريف الأولى وظهر كذلك في السنوات السبع الأولى من حكم الجنرال مشرف»[1].

تركيا:

يغلب على شيعة تركيا المذهب النصيري الذي يدين به غالب شيعة سوريا، ونظامها الحاكم، لكن ما تم تطويره من العلاقة بين المذهبين في سوريا يمكن استنساخه في تركيا، وهو ما قد يشكل حينها تطورًا استراتيجيا كبيرًا بالنظر إلى التجاور بين البلدين، وما يحمله التاريخ بينهما من قرون احتراب.

ويتمركز الشيعة الإثنا عشرية في تركيا في شرق تركيا وتحديدًا في محافظة قارص، ولهم حضور محدود في المدن الرئيسية كأنقرة واسطنبول وإزمير، ولا تغير كبيرا في نشاط الشيعة الإمامية، لكن الملاحظ مؤخرًا أن ثمة نشاطًا يمضي حثيثًا في اتجاه تغيير ديموجرافية التشيع في تركيا، بغية تجسير العلاقة بين إيران وشيعة تركيا، وهو ما يهم إيران للّعب بورقة التشيع في تركيا إلى جانب ورقة العلاقة مع حزب العمال الكردستاني الانفصالي التي تجيد استخدامها منذ تسعينات القرن الماضي؛ حيث «لم تكتفِ طهران بدعم الكردستاني، بل دعمت (حزب الله) التركي أيضًا، والذي أنشأته الاستخبارات التركيَّة أصلاً لمواجهة المدّ الكردي، لكنه انقلب على الأتراك مطلع التسعينات. وبدأ الجاران يتبادلان الاتهامات في هذا الصدد، وبدأت العلاقات بينهما تشهد أزمة، على خلفية اغتيالات طاولت بعض

(١) المصدر السابق.

الصحافيين الأتراك العلمانيين والمنتقدين للسياسات الدينية في عهد الرئيس السابق هاشمي رفسنجاني. فاتهمت أنقرة طهران بالتورط في تلك الاغتيالات، وبدعم الكردستاني و(حزب الله) التركي»[1]، لكن مع ذلك لا يتوقع أن تستطيع إيران أن تنشر مذهبها في تركيا لأسباب عديدة إلا إذا تمكنت من نشر مذهبها أولاً بين النصيريين محاكاة للنموذج السوري الناجح نوعيًا في هذا الصدد، وما عدا ذلك فليس متوقعًا نجاح للإيرانيين في تغيير الخارطة الدينية. فلقد «أدى المذهب العلوي المختلف عن الاثني عشرية السائدة في إيران إلى فجوة كبيرة بين الشيعة الأتراك وإيران، هذا بالإضافة إلى العامل الجغرافي السياسي والإثني، مما جعل الشيعة في تركيا مسألة تركية لا تشكل امتدادا سياسيا وأيديولوجيًا لإيران كما هي الحال في أفغانستان والعراق على سبيل المثال»[2].

ووفقًا لشبكة الرضا الشيعية؛ فإن «الشيعة الإماميّة في تركيا تصدر مجلّة شهرية تدعى (عاشوراء)، وقاموا حديثًا بإصدار مجلّة أسبوعية تدعى (عَلَمدار)»[3]، و«يسعى شيعة تركيا إلى إنشاء جامعة تعليمية خاصة بهم تحت اسم جامعة آل البيت»، وقد تمكنوا من تعميم احتفالاتهم لأول مرة عبر

---

(١) هوشنك أوسي - العلاقات الإيرانية - التركية بين تباين المسارات الاستراتيجية وتلاقي المصالح - فولتير(النسخة الدولية): ٣/ ٢/ ٢٠٠٨م.

(٢) فرنسوا تويال - الشيعة في العالم - استعراض إبراهيم الغرايبة - الجزيرة نت: ٣١/ ٧/ ٢٠٠٧م.

(٣) شبكة الإمام الرضا.

«احتفال كبير في ميدان خلقالي بدعم ورعاية هيئة شئون الديانة التركية، شارك فيه عدة آلاف من شيعة تركيا رجالا ونساء، خاصة أتباع المذهب الجعفري» استنادًا إلى رغبة حزب العدالة والتنمية على الانفتاح وعلى إتاحة هامش متسع للحريات الدينية يسمح له بالولوج إلى النادي الأوروبي، وقد أفادت الشيعة الإمامية من ذلك كثيرًا؛ «فقد أعلن صلاح الدين أوزجوندوز رئيس جمعية آل البيت الخيرية الثقافية للصحفيين يوم ٢٨/ ٢/ ٢٠٠٤ عن تشكيل اتحاد يضم الجمعيات والمؤسسات الخيرية الشيعية بتركيا للمرة الأولى» والتي تشرف بدورها على أنشطة الأقلية التي «تشير أرقام غير رسمية إلى أن عددها في تركيا يتراوح ما بين ٢ و٣ ملايين نسمة»[١].

الولايات المتحدة الأمريكية:

تفاجأ المسلمون في الولايات المتحدة الأمريكية أن أكبر مسجد في الولايات المتحدة ساهمت جهات سنية في الإمارات العربية والسعودية وغيرهما في تأسيسه[٢] قد وقع في أيدي الشيعة منذ افتتاحه إذ أسندت إمامته إلى ما يُسمى بـ«سماحة السيد حسن القزويني»، وهو الذي حضر «إلى الولايات المتحدة منذ أكثر من ١٢ عاما وهو من مواليد مدينة كربلاء في

(١) سعد عبد المجيد - تركيا.. التبرع بالدماء بدل اللطميات بعاشوراء ـ إسلام أون لاين.نت: ١/ ٣/ ٢٠٠٤م.

(٢) منها مؤسسة مكتوم الخيرية ومقرها دبي بـ ٧ ملايين دولار لبناء المسجد ـ مجلة الوطن العربي الباريسية: ١٧/ ٦/ ٢٠٠٥م.

العراق ودرس الشريعة والفقه الإسلاميين في مدينة قم الإيرانية ... وقد ألقى سماحته محاضرات في أكثر من ١٧٠ كلية وجامعة وكنيسة ومعبدا منذ هجمات الحادي عشر من سبتمبر الإرهابية عام ٢٠٠١»[١]، وهو أيضًا «مستشار الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش في الشؤون الإسلامية إلى جانب أنه من الأشخاص المقربين في الجالية الإسلامية إلى الرئيس بوش»[٢].

هذه القفزة الاحترافية التي أحدثها الشيعة في الولايات المتحدة بالسيطرة على أضخم مسجد بها والموجود في مدينة ديترويت. ويتسع الصحن الرئيسي للصلاة الذي يتكون من طابقين في المسجد لأكثر من ألف شخص. أما قاعة الاحتفالات والولائم فتتسع لما يزيد عن ألفي شخص، وافتتحه القزويني بالقول: علينا أن نضمن «بناء جالية إسلامية حقيقية في الولايات المتحدة الأمريكية وليس مجرد بناء مسجد ضخم وجميل»[٣]. ما يترجم كرغبة لدى القزويني في بث الأفكار الشيعية من خلاله.

بيد أن النشاط الشيعي لم يقف عند حد «قفزة القزويني» هذه، بل إن التقارير حول الجهد الشيعي في الولايات المتحدة الأمريكية أكثر من أن تحصى، وهو يعتمد على محورين، الأول يعني بالتأثير على أهم جالية في العالم الغربي وهي التي تضم ٨ ملايين مسلم في أقل التقديرات الإحصائية، والثاني

---

(١) موقع وزارة الخارجية الأمريكية: ٣/ ٦/ ٢٠٠٥م.

(٢) صحيفة الرياض السعودية: ١٩/ ٥/ ٢٠٠٥م.

(٣) موقع وزارة الخارجية الأمريكية ـ مصدر سابق.

التواصل القوى مع مراكز القوى في الولايات المتحدة بغية تجيير هذه العلاقات باتجاه دعم الهيمنة الإيرانية على «الشرق الأوسط»

«وللشيعة في الولايات المتحدة الأمريكية قرابة ٢٦٥ مسجدا، و٦٦٦ مصلى، وقرابة ٦٣٤ حسينية ... إضافة إلى ذلك فهم يملكون قرابة ٧٠٠ جمعية ومنظمة شيعية، وقرابة الـ٢٩٧ مركزا ثقافيا، وأكثر من ٧٧٠ فصلا دراسيا ابتدائيا، و ٥٥ فصلا ثانويا، ولهم أكثر من ٦١ نشرة دعوية، وقد عُقد لهم قرابة ١١٤٠ اجتماعا دينيا وثقافيا إلى عام ١٩٩٥ للميلاد.

أما في كندا فقد أسس الشيعة قرابة ٢٧ مسجدًا، و٦٤ مصلى، و١٠٧ حسينية، وقرابة الـ ١٢٠ جمعية ورابطة، و ٤٠ مركزا ثقافيًا، و٩٦ فصلا دراسيا ابتدائيا، و١٤ فصلا دراسيا ثانويا، وقرابة ٢٢ نشرة، وعُقد لهم أكثر من ١٨٩ اجتماعا دينيا وثقافيا حتى عام ١٩٩٥ للميلاد»[(١)].

«ويتجاوز عدد الجالية الشيعية في الولايات المتحدة المليون نسمة وتنقسم وفقا لمرجعيتها. فقسم منها أو غالبيتها تتبع المرجع الشيعي علي خامنئي مرشد الثورة الإيرانية. بينما يؤكد ممثل علي السيستاني في الولايات المتحدة الأميركية محمد باقر الكشميري أن هناك أكثر من ٧ مكاتب في الولايات المتحدة لنشر التوجيهات الدينية للسيستاني وعلى تواصل مع ١٩٢ مركزًا شيعيًا في الولايات المتحدة (..) وأكد أن الزعامة الدينية والسياسية للشيعة في الولايات المتحدة هي للسيستاني بنسبة ٧٠ بالمائة بينما

---

(١) ممدوح الحربي - الأخطبوط الشيعي في العالم ـ موقع البينة.

٣٠ بالمائة لخامنئي ومحمد حسين فضل الله. ويذكر أنه لدى المرجعية الإيرانية حوالي ١٠٠ مليار دولار كوقف شيعي.

ومن أهم المراجع الشيعية في أميركا مؤسسة الشيرازي العالمية التي أسست مركز الرسول في الولايات المتحدة. وقد أسسها محمد مهدي شيرازي الذي تنقل ما بين مدينة قم والكويت وكربلاء وبعد وفاته تولى أخوه صادق الشيرازي وابن أخيه مرتضى الشيرازي مهمة المؤسسة الشيعية»(١).

وكعادة الإيرانيين؛ فإن عدد الشيعة في الولايات المتحدة صار في إحصاءاتهم نحو ٣,٢ مليون شيعي يمثلون نحو ٤٠٪ من مسلمي أمريكا!! وهو ما أكده ممثل السيستاني هناك، ويتوافرون على عدد كبير من المجلات والدوريات والنشرات، منها الحق والقبلة والجعفرية وحسيني نيوز وغيرها.

روسيا:

مع انهيار الاتحاد السوفيتي، شرعت إيران في استثمار علاقتها المتميزة مع روسيا على كافة الأصعدة؛ فالجدير ذكره أن إيران لا تعتبر روسيا «شيطانًا أكبر» مثلما تصم بذلك الولايات المتحدة الأمريكية بشكل معلن(٢)، وتتحاشى توجيه أي نقد لمواقف روسيا في أي قضية إسلامية كاستقلال الشيشان ومجازرها، أو استقلال كوسوفا، واللتان تعارضهما روسيا على أساس

---

(١) مأمون كيوان – موقع العربية.نت: ١٨/ ٧/ ٢٠٠٨م.

(٢) وفي عداء إيران للولايات المتحدة الأمريكية أيضًا نظر، بيد أن الحديث يجري هنا عن ظاهر القول.

استراتيجي يتعلق بمفردات القوة ومن بينها القوة المذهبية الأرثوذكسية، على أن المهم في مسألة الجهد الإيراني لتشييع مسلمي روسيا وما يدور من دول في فلكها تتحقق فيه عدة مصالح؛ فروسيا تسعى من خلاله إلى تسكين النزعات الاستقلالية للمسلمين في روسيا ودول القوقاز، ثم هي تمكنها من قطع الروابط بين مسلمي روسيا وما تدعوه بـ«الوهابية» التي تمد ولاء مسلمي روسيا إلى دول غير حليفة لروسيا وتصنفها روسيا في المعسكر المقابل، كما أنها بذلك تكسر حدة الرفض الإسلامي لدورها خارج حدود روسيا، دواخل منظومة دول الكومنولث الروسي، ويذكر في هذا الخصوص انزعاج روسيا الشديد إبان حكم طالبان في أفغانستان من امتداد تأثيرها في طاجيكستان وأوزبكستان وغيرهما، ما خلف ارتياحًا مشتركًا لدى الطرفين عندما أطاحت الولايات المتحدة الأمريكية بحكم طالبان في العام ٢٠٠١.

وروسيا من خلال إيران تسعى لإيجاد تأثير على العالم الإسلامي إن هي نجحت في تنصيب إيران كقائدة له في العالم.

كما أن روسيا تعي جيدًا الدور الذي كانت تلعبه الدولة الصفوية قبل قرون في عزل روسيا عن التأثير الإسلامي و«طموحاته» التوسعية.

ثم إن إيران من جهتها تسعى لتصدير ثورتها ومفاهيمها الشيعية إلى كل دول الاتحاد السوفيتي السابقة عبر موسكو التي لم تفارقها مركزيتها ونفوذها في كل دول المنطقة الأسيوية وأوروبا الشرقية التي كانت دائرة في فلكها بالسابق.

وبالتالي؛ فإن إفساح المجال للتشييع في صفوف مسلمي روسيا من قبل سلطات موسكو، ومن قبل كنيستها المركزية في موسكو هو أمر مفهوم ويسير

باتجاه السياسة الصحيح فيما تريده روسيا وإيران على حد سواء، وعنده تتلاقى المصالح السياسية لهما، وتلاحظ دراسة قام بها الباحث ياسر البعلبكي ونشرتها مجلة الفرقان الكويتية أن «الكنيسة الروسية لا تجري محاورات دينية إلا مع الصفويين (الشيعة)، فقد أسست لجنة للحوار بين الكنيسة الروسية وإيران منذ ثمانية أعوام»[١].

وتتعدد المحاور التي من خلالها تنفذ إيران الحاضن الأساسي للتشيع في العالم للمجتمع المسلم في روسيا والذي يمثل نحو ٢٠ مليونًا.

فتتخذ إيران من علاقتها بمسلمي أذربيجان جسرًا لنشر المذهب الشيعي داخل الأقلية الأذرية المتنفذة في روسيا، وأنشأت لهذا الغرض عددًا من الجمعيات الدينية بينهم، مثل جمعية أهل البيت - فاطمة الزهراء - إمام الزمان - إدراك.

كما يكثف «معهد الرسول الأكرم في موسكو معهد صفوي نشاطه في موسكو بين الشباب التتري، (حيث) تخرج منه الكثير (من الطلاب المتشيعين)، واعتمدوا وسائل لنشر مذهبهم، أهمها:

أ - تمويل البرامج التي تدعو إلى منهجهم.

ب - الأفلام التي تدعو بصفة مباشرة وغير مباشرة إلى الشعوبية.

جـ - مواقع الإنترنت»[٢].

---

(١) ياسر البعلبكي - الفرقان الكويتية: ٩/ ٤/ ٢٠٠٧م.

(٢) المصدر السابق.

وبحسب الدراسة فقد تشيع نحو ٤٠٪ من الذين أسلموا من روسيي سلاوان، وتغدق عليهم إيران بالمغريات من شتى الألوان كمنحهم الوظائف مرتفعة الرواتب في موسكو ومدهم بالمال والمنح الدراسية في قم.

وفي موسكو وحدها يوجد أربعة مساجد شيعية، وتحرص السفارة الإيرانية على متابعتها، وتتابع السفارة الإيرانية النشاط الشيعي لاسيما الملحقية الثقافية لها غير البعيدة عن إعداد البرنامج الإسلامي الوحيد في الراديو الحكومي في روسيا، ويتوافد على موسكو من ثم مسؤولون دينيون من قم وحكوميون من طهران بصفة دورية، حيث يتم صرف الأموال للإعلام الشيعي، والعلماء الشيعة ونشطائهم بالإضافة إلى تمويل الجمعيات العاملة في هذا الخصوص.

البوسنة والهرسك:

عندما كانت قوافل الإغاثة الإسلامية تتوالى على البوسنة والهرسك مع بداية العدوان الصربي على البوسنة والهرسك في بداية تسعينات القرن الماضي، كان نائب رئيس وزراء البوسنة والهرسك، محمد جينجيتش، يقوم بزيارة تركيا، بهدف: «إقناع سلطات أنقرة، بالتدخل لدى إيران، وإقناعها بوقف شحنات النفط إلى صربيا؛ إذ إن وقود الدبابات الصربية، التي تدمر قرى البوسنة والهرسك؛ والطائرات الصربية التي تقصف مدنها هو وقود إيراني وليبي. وأن البوسنة والهرسك تتوقع من الدول الإسلامية، أن تقف إلى جانبها، أو أن تلتزم على الأقل الحياد ... فمن المدهش، أن تستمر إيران في اعتبار صربيا صديقًا وشريكًا قويًا»[1].

---

(١) موسوعة مقاتل من الصحراء (للأمير خالد بن سلطان بن عبد العزيز) - بحوث سياسية.

وتفصل الموسوعة حجم ما صدرته إيران (وليبيا على نحو أقل) إلى صربيا إبان الحرب بثلثي احتياجاتها النفطية، وتنقل الموسوعة إحصاءات رسمية إيرانية تشير إلى أن إيران كانت تصدر ٥٥ ألف برميل، بصورة متوسطة، من النفط الخام، يوميًا، إلى صربيا، في الفترة ما بين يونيه ١٩٩١ وفبراير ١٩٩٢م (..علاوة على) مركبات النقل، وعربات نقل الجند والمواد الغذائية؛ فكانت يوغوسلافيا سادس أكبر شريك تجاري لإيران، وبلغت قيمة التجارة الإيرانية ـ اليوغوسلافية، في عام ١٩٩٠، مبلغ ٨٢٧ مليون دولار[١].

وهو موقف مفهوم على الصعيدين السياسي والطائفي؛ فإيران كانت وظلت حليفًا لروسيا التي تمثل الداعم الأكبر لصربيا، كما أن تاريخها خلا من دعم أي دولة سنية تواجه غزوًا أجنبيًا، كما أن رفض إيران الاعتراف بصربيا في ذلك الحين وانضمامها لمنظومة الدول الإسلامية المطالبة بوقف الحرب لم يتعد كونه نوعًا من «التقية السياسية»، ويفسر الكاتب محمد أسعد التميمي موقف إيران من قضية البوسنة بالقول إن إيران «لم تقف يومًا إلى جانب المستضعفين من المسلمين حسب ما كانت تدعي بأنها ثورة المستضعفين في الأرض، فعندما كان المسلمون المستضعفون في البوسنة والهرسك يذبحون على أيدي الصرب الحاقدين كانت تقف موقف المتفرج الذي لا يرى ولا يسمع وكأن الأمر لا يعنيها فلم تقدم أي دعم مادي أو معنوي لهم بل إنها قد أصدرت بعض التصريحات السياسية على خجل حول هذه المذابح ومن باب رفع العتب»[٢].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) محمد أسعد التميمي - هل الثورة الإيرانية إسلاميه أم مذهبيه قومية؟ ـ مدونة الكاتب: ٩/ ٥/ ٢٠٠٧م.

إلا أنه من الغريب أن إيران قد تمكنت بعد ذلك من محو هذا التاريخ، عندما ظهرت بعد الحرب كدولة مشاركة في جهود الإعمار بعد الحرب[1]، واندفعت قوافل التشييع إلى داخل البوسنة من دون أن يعترض الصرب على وجودها مثلما فعل مع القوات غير النظامية التي كانت موجودة هناك على الرغم من أن النشاط التشييعي قد امتزج بالجهد العسكري البوسنوي في زمن السلم؛ فافتتحت في قرية «هفوة» بمدينة «فيسكو» قاعدة عسكرية تدريبية تتداخل فيها السفارة الإيرانية بوضوح عبر الضابط عباس رئيس وحدة التدريب العسكري، ومن خلال وحدة «عبد اللطيف» العسكرية بقيادة صالكو بيكوفيتش، والتي تمول من قبل إيران، وكذلك إنشاء مطار عسكري في المدينة ذاتها[2].

ويلاحظ أن التوغل الشيعي في البوسنة والهرسك لم يكشف عن ذاته أول الأمر؛ فلم يكتنفه ما يحدث في بعض الدول التي يجاهر فيها الشيعة أول دعوتهم بسب الصحابة رضوان الله عليهم والطعن في أئمة المسلمين، بل نحا طريقًا متدرجًا، وحيث تم افتتاح ما يربو عن ١٥ موقعًا إلكترونيًا على الانترنت كادت في البداية أن تخلو مما يعتري غيرها في المحيط العربي من سباب ودخول في مناطق يعتبرها المسلمون السنة محرمة.

---

(١) وهو الدور ذاته الذي قامت وتقوم به في العراق وأفغانستان.

(٢)عمر أحمد مهدتش - الرافضة يغزون البوسنة ـ مجلة البيان: نوفمبر ١٩٩٤م.

واعتمدت الخطة لدى انطلاقها على استقطاب كبار الأساتذة والمثقفين في البوسنة والهرسك، وقد نجحوا في البداية باستقطاب الأستاذ الدكتور رشيد حافظوفيتش مدرس العقيدة في جامعة العلوم الإسلامية في سراييفو الذي أعلن من ثم عن تشيعه، إضافة إلى عميد الجامعة الدكتور أنس كاريتش وزميله الدكتور عدنان سيلايجيتش، وكلاهما أضحى ميالاً للتشيع وقد تم تنصيب أحدهم كعضو في رابطة الأساتذة والأئمة في إيران.

وقد اعتمد الشيعة في البوسنة والهرسك على بث التشيع من خلال عدد من المؤسسات والمراكز، أهمها المركز الإيراني الثقافي الذي تم تأسيسه تحت رعاية السفارة الإيرانية في العام ١٩٩٨م، ويضم المكتبة المفتوحة في سراييفو، ومؤسسة «الإمام الصدر» في سراييفو، وهي مؤسسة (دينية) علمية تعنى بالفتاوى وغيرها، ويليه المركز الإيراني في موستار المدينة الثانية في البوسنة والهرسك، والمركز «الإسلامي» في مدينة سريبرينتسا التي شهدت أكبر المجازر زمن الحرب، ومركز «ابن سينا العلمي للبحوث» في سراييفو، ويقوم بأنشطة بحثية سياسية واقتصادية وتاريخية، والمدرسة «الفارسية البوسنية» وروضة «جلستان» اللتان افتتحتا في العام ١٩٩٩م وتضمان نحو ٥٠٠ طالب، ويترشح الطلاب المتفوقون بعدهما إلى استكمال الدراسة في إيران، ومنظمة «الكوثر» النسوية في مدينة زنيتسا، وتتداخل مع المجتمع النسوي عبر الإغاثة وإعانة الأيتام، وتصدر مجلة «زهرة» الشيعية. ويتم اختراق الإعلام البوسني عبر قناة «سهر» الإيرانية وإذاعة «إيريب»، وكلتاهما تبث مواد تهدف إلى تشييع البوسنيين.

السنغال:

تنوعت الوسائل التي استخدمها الإيرانيون في حملة التشيع في السنغال؛ فاعتمدوا على التجار اللبنانيين في بادئ الأمر، وبعد حصول الثورة الخمينية، حيث يزيد عدد اللبنانيين في السنغال عن خمسة عشر ألف لبناني، من أبرزهم - سابقًا - رئيس البرلمان اللبناني الحالي نبيه بري، إذ لم يكن للبنانيين اهتمام بتشييع السنغاليين إلا بعد انطلاق المرجع الديني الشيعي موسى الصدر في جولة إفريقية جاب بها بلدانًا كثيرة في العام ١٩٦٤ بحسب ما أورد الباحث عبد المهيمن كريم في دراسته عن التوغل الشيعي في السنغال، وجمع أمر الشيعة اللبنانيين في السنغال ونصب عليهم عبد المنعم الزين إمامًا ومرشدًا براتب يتحمله «المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى»، واتخذ من أحد المباني القيمة بالعاصمة دكار مقرًا له أطلق عليه اسم «المركز الاجتماعي الإسلامي» أوائل ثمانينات القرن الماضي[١].

وألحق الزين بالمركز مدرسة الزهراء ومستوصفًا يعالج فيه المرضى بأجور زهيدة، وجمعية «خيرية» ومسجدًا، وذلك بخلاف مسجد الدرويش أكبر مسجد للشيعة في السنغال.

وتمكن الزين بمساندة قوية من السفارة الإيرانية وشيعة الجالية اللبنانية من فتح العديد من المدارس والمساجد والجمعيات إلا أن التواجد الشيعي

---

(١) عبد المهيمن كريم - جهود الرافضة في السنغال بين النجاح والفشل - مجلة البيان: سبتمبر ١٩٩٢م.

قد تقلص مع هروب رؤوس أموال لبنانية شيعية من البلاد حين ابتليت بالكساد الاقتصادي[1].

وفي الواقع؛ فإن التواجد الشيعي في السنغال هو رهين حركة التجار اللبنانيين ازدهارًا وانكماشًا إلى حد كبير، على أنه قد تتغير المعادلة مستقبلاً بالنظر إلى أن الشيعة قد نجحوا في إيجاد قواعد لهم هناك، وهي قواعد لا تلقى معارضة قوية من الحكومة القريبة من فرنسا، تلك الأخيرة التي شهدت انطلاق شرارة الثورة الخمينية، وما زالت تحتفظ بعلاقات أوثق من غيرها مع طهران بخلاف نظيراتها في المنظومة الأوربية الغربية.

ومن بين سبعة ملايين مسلم يدين معظمهم بالإسلام، تلقى دعاية الترهيب من الجهود السنية الدعوية على خلفية مكافحة الإرهاب ما لا تلقاه الجهود الشيعية، التي أفسح لها الباب مشرعًا بعد تمايزها عن الحركات الإسلامية في السنغال والغرب ال إفريقي عمومًا ووضوح المفارقة بينهما.

نيجيريا:

تعتبر نيجيريا البلد الأول في إنتاج النفط في إفريقيا، ولها تتجه أنظار الولايات المتحدة الأمريكية والصين لهذا السبب، وله أيضًا فقد وضعت البلاد على الخارطة الشيعية الأولى بالدعوة، وفي هذا البلد الفقير الذي لا يجاوز نصيب الفرد فيه دولارًا واحدًا يوميًا برغم أن البلاد قد دخلت خزائنها نحو ٣٠٠ مليار دولار خلال الأعوام العشرة الماضية، عرف التشيع طريقه إلى

---

(١) المصدر السابق

البلد الذي يجاوز تعداد سكانه من المسلمين النصف بقليل؛ حيث نجحت البعثات التشييعية التي اتخذت من إنشاء الحسينيات والمراكز الخيرية الهادفة إلى تغيير قناعات الدعاة بالداخل النيجيري، وإيفاد البعض منهم إلى إيران لتعلم المذهب الشيعي، في إدخال المئات من الشعب النيجيري في التشيع، وعملت المجموعات الشيعية على استغلال حاجة الفقراء للمال في نشر المذهب.

يقول الشيخ إبراهيم صالح الحسيني، رئيس هيئة الإفتاء بنيجيريا ورئيس المجلس الإسلامي النيجيري وشيخ الطريقة التيجانية عن بلاده إنها «بلد خالصة للسنة بالفعل، ولكن بعد عام ٧٩ بدأت المشاكل، والمشاكل كانت في فكرة انتشار مذهب التشيع، والذي تواكب مع انتشار الفئات التي تتبنى الدعوة والوعظ والإرشاد بطرق عنيفة والتكفير، كما هو مشاهد في كثير من بلدان المسلمين، هذا كله أتاح الفرصة لمن يدعو لمذاهب أخرى.

والمتابع لتاريخ نيجيريا يجد العديد من المذاهب التي حاولت غزو البلاد في الستينيات، كانت هناك حركة الأحمديين، وهي حركة هندية بالأساس، والقاديانية من تاريخ ٤٨ لكنها عجزت أن تجد لها أنصارا في المناطق الإسلامية، ... والمذاهب الشيعية عندما دخلت البلاد وجدت أن هناك من يخرب، فاقتنصوا بعض الشباب الذين يئسوا من وحدة الأمة ووجدوا أنهم لا يحبون النزاعات والتكفير، فاعتنقوا المذهب الشيعي، وبعدما بدأ الشيعة في التكاثر داخل تلك البلاد، واعتنق المذهب الشيعي مجموعات من الشباب الإسلامي من الطلاب من (منظمة شباب طلاب المسلمين) وهم فرع من (جماعة الإخوان المسلمين) ... وبعدما دخل التشيع إلى نيجيريا تخلوا عن

عباءة الإخوان المسلمين، وحولوا انتماءهم للشيعة، ولكنهم أبدوا مرونة مع المذاهب الأخرى الموجودة في البلاد، ولا يحاربون أحدا، ولكن عندما استفحل الأمر، كانت هناك مشاكل بينهم وبين من ينتمون إلى المذاهب السلفية والوهابية ... والآن نيجيريا تعاني من المذهب الشيعي الذي يدعو إلى مبادئه بهدوء، ... وفي الحقيقة أن عدد الشيعة في نيجيريا ليس كثيرا صراحة، عدد الذين تشيعوا وصل حتى الآن بضع مئات ... الإحصاءات غير موجودة حاليا، ولكن العدد لم يصل إلى الألف ولكنه تجاوز الستمائة أو السبعمائة»[1].

تنزانيا:

أجرى موقع مؤسسة الرسول الأكرم الثقافية التابعة للمرجع الشيعي صادق الحسيني الشيرازي مع جميل كمال مسؤول لجنة «سيد الشهداء سلام الله عليه» الخيرية في الكويت أماط فيها اللثام عن نشاط تشييعي متدثر بالجانب الإغاثي في تنزانيا، منه ما قاله عن «المساهمة في دعم المراكز الإسلامية من بناء فصول دراسية ودعم الطلبة والمبلّغين وبناء المساجد وحفر آبار الماء التي يكلّف حفر كل منها ٦٠٠ دينار كويتي؛ فإن دول إفريقيا تعتمد بشكل كبير على الرعي والزراعة، وبين الفترة والأخرى ترسل اللجنة العديد من الكتب التعليمية، وقد تبرع أحد المحسنين بتشييد مجموعة من المساجد يبلغ تكلفة كل واحد منها ٣٠٠٠ دينار كويتي، وقد أسسنا مكتبًا خاصًا بنا في دولة تنزانيا».

---

(١) حوار مفتي نيجيريا ـ موقع إسلام أون لاين: ٢٨/ ١٠/ ٢٠٠٨م.

على أن نشاط الشيعة في تنزانيا وزنجبار المسلمة خصوصًا لا يقتصر على الجانب المادي الداعم؛ فالتشيع في تنزانيا يستند أساسًا إلى الهنود والباكستانيين والإيرانيين الشيعة في تنزانيا وجهدهم في نشر التشيع، حيث يبرز نشاطهم في أماكن تواجدهم في دار السلام وليندي وتانجا وسنفيدي وتابورا ومتوارا ومبيا وعروشا وزنجبار.

للشيعة التنزانيين مساجدهم وحسينياتهم، التي من أبرزها مساجد «الخوجة في دار السلام وأهل البيت وأنصار الإمامية وجمعية الخوجة الشيعة في عروشا وكيوندا في زنجبار، أما الحسينيات ففي العاصمة الحسينية الحيدرية وحسينية أبي الفضل العباس، ومن أهم مراكز الشيعة في البلاد: مركز دار الهدى (مركز ومدرسة لها فروع عديدة) ومركز بلال مسلم ومركز پياز ومركز السيد الخوئي ومدرسة أهل البيت ومدرسة الزهراء في العاصمة، بالإضافة إلى مراكز أخرى موزعة في البلاد مثل حوزات أهل البيت وحوزة ولي العصر في عروشا ويانكان ودار السلام ومناطق أخرى. ويبلغ عدد الطلبة في هذه المدارس والحوزات ٤٠٠ طالب، يدرسون الدراسة الدينية هذا بالإضافة إلى العشرات من التنزانيين يدرسون خارج البلاد وخصوصًا في إيران وسوريا»[١].

ومن أبرز الكتب المحلية الصادرة هناك (تاريخ الإسلام) و(زواج المتعة صحيح) و (الخمس والزكاة) و(الشيعة)، بالإضافة إلى مجلتين هما الأبرز للتسويق للطائفة الشيعية وهما (صوت بلال) بالسواحلية، و(لايت) بالانجليزية.

(١) الموقع الألكتروني لمركز الأبحاث العقائدية – الشيعة والتشيع ـ تنزانيا.

كينيا:

يرتبط النشاط الشيعي في كينيا باندلاع الثورة الخمينية في العام ١٩٧٩م، فيما تؤكد جميع المصادر على سنية مسلمي كينيا عقيدة وتمذهبهم على المذهب الشافعي في الفقه، وهم يمثلون ما نسبته ٤٠٪ ـ على الأقل ـ من سكان كينيا المتنوعة ما بين الإسلام والوثنية والمسيحية.

ولا يوجد إحصاءات دقيقة عن تعداد الشيعة في كينيا، إلا أنه يمكن قياس الحراك الشيعي في البلاد عبر رصد بعض المؤسسات الشيعية العاملة هناك، والتي يمكن لها أن تفرز نتائج ارتكانًا على ضعف الثقافة الدينية في البلاد، والفقر الشديد الذي تعاني منه فئات من المسلمين لاسيما في المناطق الساحلية.

وتدرك إيران أهمية كينيا الاستراتيجية في القرن ال إفريقي، شأنها كشأن الولايات المتحدة الأمريكية التي تجعل من سفارتها في نيروبي أحد أهم سفاراتها في إفريقيا، وبالتالي فلم يكن مستغربًا أن يكون الفرع الثالث لمؤسسة الإمام علي الكبيرة ـ بعد لندن وبيروت ـ في العاصمة الكينية نيروبي، وأن تخف لترجمة العديد من الكتب الشيعية باللغة السواحيلية التي تعد من اللغات غير المشهورة في العالم، ومن تلك الكتب التي تمت ترجمتها لهذه اللغة بحسب موقع المؤسسة على شبكة الإنترنت: مختصر حياة المعصومين، وحديث الكساء، ودفاع عن الحقيقة، و كلمة حول حديث الثقلين[1].

---

(١) الموقع الألكتروني لمؤسسة الإمام علي.

وبحسب المصدر عينه؛ فإن فرعها في نيروبي «قد تأسس في عام ١٤٢١هـ لنفس الأغراض التي أسس من أجلها المركز الرئيسي في قم خاصة وأن الساحة ال إفريقية أحوج ما تكون إلى مدها بالثقافة الحية من فكر أهل البيت عليهم السلام ومعارفهم وعلومهم ويشرف عليه حاليًا سماحة السيد مرتضى وقد أخذ على عاتقه ترجمة مجلة مجتبى إلى اللغة الانجليزية وقد تم إصدار العدد الأول والثاني منها وسيصدر قريبًا العدد الثالث وقد كانت الطلبات عليها كثيرة جدًا من مختلف جهات العالم»[1].

علاوة على تلك المجلة؛ فثمة ست مجلات على الأقل تصدر في كينيا للشيعة هي: «مجلة (رسالة التقريب) الفصلية، ومجلة التوحيد، ومجلة الهدى، ومجلة الوحدة، ومجلة الراصد، ومجلة الطاهرة ... وأغلبها مكتوبة باللغة العربية والفارسية»[2].

ويقول الباحث محمد حسين معلم إن المركز الرئيسي للشيعة في نيروبي «يقع وسط البلد وفي مكان استراتيجي في العاصمة نيروبي، ويعتبر من أكبر المراكز في كينيا وهو تحت إشراف القنصلية الإيرانية ؛ حيث يتلقى منها التمويل والدعم المادي والروحي علاوة على الحماية السياسية، وهذه المراكز يديرها مجموعات شيعية مدربة تتقن عدة لغات مثل الإنجليزية والعربية إضافة إلى لغة السكان المحليين» ويلحظ أن نشاط الشيعة بعد أن كان متواريًا في كينيا قد بدأ يعلن عن نفسه مستندًا إلى تحالفات نجح في عقدها مع الصوفيين لاسيما في المناطق الساحلية مثلما تقدم[3].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) محمد حسين معلم – نشاط مشبوه في شرق إفريقيا ـ مجلة البيان: مارس ٢٠٠٠م.

(٣) المصدر السابق.

ويشي حديث للمدعو عبد الغني عثمان الذي تشيع من خلال مركز «الرسول الأكرم» في العاصمة الكينية نيروبي والذي بث على شريط فيديو على مواقع يستخدمها الشيعة عن جهد يقوده أساتذة ومعلمون شيعة في البلاد لحرف المسلمين السنة عن معتقدهم، وتواصل الجهود ما بين الشيعة في نيروبي ودار السلام العاصمة التنزانية في هذا الصدد.

غينيا:

تتحد المصادر السنية والشيعية عند نسبة ٥٪ من الشيعة في غينيا، فيما يغلب على البلد المذهب السني ومعظم السنة فيه من المالكية، غير أنه لا هؤلاء ولا أولئك يستندون إلى ما يؤكد أو ينفي هذه النسبة، غير أن ما يمكن التحقق منه من معلومات حول التشيع في غينيا يدور حول بعض الحقائق التي ساقتها دراسة قام بها الباحثان أبو عثيمين الفوتي وأبو عمر عبد المجيد الغينيان وتتلخص حول آليات العمل الشيعي في غينيا كوناكري، والتي تدور حول الإغراء بالمال لبسطاء الناس في مسعى لاستغلال حالة الفقر التي تعاني منها غينيا، وتحديدًا تعمل الحركة الشيعية في غينيا على استخدام بناء المدارس في الترويج للفكر الشيعي، وكذا المستشفيات الخيرية، ومدن إسكان الطلاب المجانية، والتي تسمح أجواء البلاد ببث ما يمكن من أفكار من خلال هذه الروافد.

ومن جهتها ترجع المصادر الشيعية السبب في نمو النشاط الشيعي في غينيا إلى التجار اللبنانيين الذين توافدوا على هذا البلد بعد سنوات الثورة الخمينية، وتخص ذكرًا «الطلبة الغينيين الذين درسوا وتعلموا مباديء مذهب أهل البيت في سيراليون وسوريا وإيران»[1].

---

(١) الموقع الألكتروني لمركز الأبحاث العقائدية - الشيعة والتشيع ـ تنزانيا.

ويقول المصدر ذاته أن في غينيا «ثلاثة وزراء متشيعين: هم وزير المواصلات ووزير الداخلية ووزير التعليم العالي»، ويحصي عددًا من المراكز الرافدة للمذهب أبرزها: «جمعية أهل البيت وفيها مدرسة الثقلين، ومركز الزهراء، ومدرسة محمد رمضان في العاصمة كوناكري، ومركز حمد الله وفيه حوزة دينية، ومدرسة الإمام المهدي في كيكدو، ومدرسة فاطمة الزهراء في بيتا، ومدرسة أهل البيت في كالبيز. ويبلغ عدد الطلبة الذين يدرسون في هذه المدارس والمراكز ٦٠٠ طالب بالإضافة إلى العشرات من الطلبة الذين يدرسون خارج غينيا وبالخصوص في إيران ولبنان وسوريا.. كما أن للشيعة في غينيا مساجد وحسينيات خاصة بهم يقيمون فيها نشاطاتهم»(١).

ويعد عبد الكريم باتي باري أحد البارزين في حقل التشييع في الداخل الغيني، ولديه محاضرات علمية هناك، ويقوم بجولات في خارج غينيا، ويسجل موقع «حواريات البلاد القديم» الشيعي بالصوت والصورة محاضرة له في البحرين في العام ٢٠٠٥م مقدمًا له باعتباره أحد «المستبصرين» أي المتشيعين الذين اعتنقوا المذهب الشيعي ودرسوا في حوزات قم الإيرانية لمدة ١٢ عامًا، وحصل منها على إجازة للتدريس وانتقل من بعدها إلى المدرسة الإيرانية في غينيا(٢).

---

(١) المصدر السابق.

(٢) موقع حواريات البلاد القديم.

إندونيسيا:

تعتبر إندونيسيا أكبر دولة إسلامية على الإطلاق، وقد حظيت لهذا السبب باهتمام خاص من قبل «المبشرين» الشيعة، وإليهم تعود جهود التشيع الكبيرة الحاصلة منذ غزو بغداد وانسياب النشاط الشيعي بقوة أكبر خارج حدود المعتاد، وعالميا زاد الاهتمام بإندونيسيا لدى دوائر صنع القرار في أكثر من عاصمة مهمة ترافقًا مع توصية تقرير راند لعام ٢٠٠٧ والذي «طالب الإدارة الأميركية بتركيز رسائلها الإعلامية على أطراف العالم الإسلامي مثل إندونيسيا والهند وماليزيا وأوروبا وأميركا بدلا من المركز المتمثل في المنطقة العربية، معتبرا أن التغيير في الأطراف أسهل ويحقق مكاسب أكبر»(١).

وقد اعتمد الشيعة بعد نجاح الثورة الإيرانية في العام ١٩٧٩، واتجاهها إلى تصديرها في البلدان الإسلامية على نشر مذهبهم بين أتباع الطرق الصوفية، ويقول فريد أحمد: أن «السفارة الإيرانية تمتلك برامج قريبة المدى وبعيدة المدى وهي تعمل ليل نهار في نشر مذهبها وكان موظفوها يستدرجون الناس في تعاملهم بالظهور بالأخلاق الطيبة، ولما توطدت علاقة (حسين الحبشي) بالسفارة الإيرانية (وهو صاحب المعهد الإسلامي في نانجيل) بدأ يرسل خريجي المعهد إلى (قم) بـ (إيران) عن طريق (ماليزيا) و(باكستان) وبعد أربع سنوات أو أكثر رجع هؤلاء الشباب وأصبحوا دعاة للرفض: بعضهم بالمواربة وبعضهم بالمصارحة، ولما كثر أفرادهم وعددهم بالمئات قاموا

---

(١) محمود جمعة - استعراض لتقرير راند ـ الجزيرة.نت: ٩/ ٤/ ٢٠٠٧م.

بتنظيم أنفسهم وتوزيع المهام حسب المدن والحاجة، وذلك بربط المدعوين من عامة الناس بعلماء الشيعة، وبجهودهم المتواصلة قامت أكثر من أربعين مؤسسة شيعية تنتشر الآن في أنحاء البلاد»[1]، وقد نجح الشيعة الذين تضاعفت أعدادهم في إندونيسيا في أن يوسعوا من نفوذهم بإندونيسيا بعدما وصل إلى منصب نائب الرئيس الإندونيسي شيعي يدعى حمزة حاز. وهو تطور لافت بالنظر إلى نجاح الشيعة في العالم في تولي مناصب رفيعة جدًا في بلدان سنية كباكستان وجزر القمر وغيرهما.

وقد نجح الشيعة الإندونيسيون كذلك في إنشاء العديد من الجامعات والمعاهد والمدارس الشيعية؛ فقد «ظهرت جامعة في (بونجيت جاكرتا) باسم (الزهراء) يمولها أحد رجال الأعمال (اسمه فاضل محمد) وحلقات كثيرة، منها حلقة في (جيبنانج تشمبيداك) كل ليلة سبت، وظهر معهد (مطهري) في (باندونج) يرأسه (جلال الدين رحمت) (دكتور في السياسة من أستراليا) وظهر معهد خاص في (بكالونجان) يرأسه (أحمد بارقبة) (زعيم الرافضة حاليًا بلا منازع)»[2]، ويتوافرون على العديد من المجلات والدوريات من بينها، مجلة القدس التابعة للسفارة الإيرانية، ومجلة الحكمة، ومجلة الحجة، ومجلة (الأمة) من جاكرتا.

---

(١) فريد أحمد - دور الرافضة في إندونيسيا ـ مجلة البيان السعودية: يونيو ٢٠٠٧م.
(٢) المصدر السابق.

الفلبين:

تبلغ نسبة المسلمين في الفلبين نحو ١٢٪ من تعداد السكان، وبدأ النشاط الفعلي للشيعة بشكل منظم في أعقاب الثورة الخمينية، وتجلى النشاط في الفلبين من خلال عدة آليات رتيبة؛ ففي بلد يعاني الفقر حيث الجنوب الفلبيني أكثر مناطق الفلبين فقرًا، وإفقارًا من قبل الحكومة الفلبينية، يلعب المال دورًا كبيرًا في تنفيذ سياسة «تبشيرية» كهذه المتبعة في الفلبين.

وإذ لا تتسم الجزر الفلبينية الجنوبية في ميندناو بالحضور العلمي الشرعي المطلوب؛ فإن ترويج الأفكار الشيعية لاسيما إذا اقترن بالمال يعد أمرًا يسيرًا ويتفهم معه حجم التشيع النامي في البلد الأسيوي المسيحي الأشهر.

ويتم من جانب آخر تسفير عدد كبير من أهل العلم المسلمين في الفلبين إلى إيران في دعوات رسمية، وتتحدث دراسة نشرتها مجلة البيان السعودية عن تلقي الدعاة وأهل العلم في الفلبين لدعوات رسمية لزيارة إيران، وتقدم معها كافة التسهيلات المالية للزيارة، ويلقى هؤلاء احتفاء كبيرًا من الرؤساء ومسؤولي الحكومة في طهران، وتضيف الدراسة أن التعتيم على زيارات غير رسمية يقوم بها الدعاة أحيانًا بلغت حدًا من الحيطة بحيث يتم «إصدار وثائق سفر إيرانية خاصة لبعضهم وتسفير من يريد عن طريق أوروبا بطريقة غير مباشرة؛ حتى لا تعرف ذلك عنه الحكومة الفلبينية، مع عدم وضع تأشيرات على جواز سفره الأصلي»، وتشير الدراسة ذاتها إلى أن اثنين فقط ممن دعتهم الدراسة بـ«العلماء» قد أفلتوا من جهد التشييع بعد زيارتهم لإيران[1].

---

(١)مجلة البيان: فبراير ١٩٩٧م.

ومنذ أن احتضنت محافظة لاجونا المجاورة للعاصمة مانيلا أول مؤتمر إيراني الذي نظمه علي ميرزا في العام ١٩٨٤م، وأطلق عليه اسم «توحيد صفوف علماء مسلمي الفلبين»، وضم نحو سبعين من مشايخ الفلبين، اختار منهم ميرزا سبعة أرسلهم لإيران وعادوا وقد أشربوا في قلوبهم التشيع، ومنهم علوم الدين سعيد.. والتشيع في ازدياد حتى ارتفعت وتيرته خلال السنوات القليلة الماضية بعد أن أصابه فتور نسبي سبق غزو العراق.

ويوفر شيعة الفلبين لأتباعهم والمتعرفين على مذهبهم جملة من الكتب المترجمة إلى لغة المراناو وتوزيعها على المسلمين أينما كانوا، ومن أشهر هذه الكتب التي يتم توزيعها على نطاق واسع كتاب «ثم اهتديت»، كما أنهم يقومون بتأجير ساعات في إذاعة مدينة مراوي الإسلامية، يبثون من خلالها مواد عادة ما تتعرض لعلماء السنة ودعاتهم بالهجوم، علاوة على جهد القسم الثقافي في السفارة الإيرانية في التسويق للمذهب الشيعي عبر برنامج أسبوعي في إذاعة «الهداية صوت الإرشاد».

وقد نجح الشيعة الفلبينيون في إنشاء ثلاثة مساجد تغطي الجزر الثلاث الرئيسية في الفلبين، أشهرها «مسجد كربلاء» بمدينة مراوي التي يقطنها أغلبية مسلمة تقارب ٩٥٪ من سكانها، ويلحق بالمسجد مدرسة للأطفال ويشرف عليه علوم الدين سعيد، كما أن المدرسة العربية نجحت في التسويق للغتهم الفارسية على حساب العربية وتدريسها في المدرسة التي هي بالأساس عربية عن طريق الإغراءات المالية.

وتوجد في مدينة مراوي ذاتها مكتبتان الأولى تسمى «حزب الله» تضم مطبعة، والثانية «ورد الزمان»، وبقرب العاصمة مانيلا توجد مكتبة ثالثة تدعى «مكتبة الإمام خميني».

وتنتشر الجمعيات الشيعية في الفلبين على نحو مشابه لكثير من الدول التي يستهدفها الشيعة بدعوتهم، حيث لا تغيير كبيرًا في نمط الدعوة الشيعية التي تستند إلى حزمة من الجمعيات المتنوعة الأغراض؛ فـ«منظمة أهل البيت» في مراوي للترويج العلمي للتشيع وتضم عددًا من الدعاة والمتفقهين في التشيع، وهي موجهة للتثقيف «الديني» ونشر المذهب، و«مؤسسة حزب الله» المعنية بالتغلغل داخل الأوساط الشبابية في مراوي، و«مؤسسة فاطمة» في العاصمة الفلبينية للتسويق للمذهب بين النساء وتحزيبهن[1].

الصين:

لا توجد إحصاءات دقيقة للشيعة في الصين، غير أن المتوافر من المعلومات بشأنهم يتلخص في كونهم يعيشون في مناطق مختلفة من الصين لاسيما في مدينة «باركن» و«كاشغر» الواقعة في محافظة «مين كيانك»، وهم يرجعون إلى قوميات طاجيكية وأيجورية، وهم ينتمون إلى المذهب الإمامي والإسماعيلي.

و«تنشط الدعوات إلى التشيّع في المناطق ذات الأكثرية المسلمة في الصين،

---

(١) المصدر السابق.

وذلك بدعم من الحكومة الإيرانية التي تقوم بابتعاث مئات الطلاب سنويًا إلى إيران لتدريسهم العلوم الشرعية على المذهب الشيعي، ويشير أحد المسلمين إلى أنه تلقى دعوة من السفارة الإيرانية في الصين، للدراسة في إيران، ووصل العرض إلى توفير سكن خاص بالطالب داخل إيران وتوفير سيارة خاصة وزوجة يختارها من إيران.ويمكن لأي صيني الحصول على بعثة للدراسة في إيران عن طريق تقديم طلب لدى السفارة الإيرانية، إذ يأتي الرد دائمًا بالموافقة والدعم»[1].

* * *

---

(١) عبد الله أبا الخيل - مسلمو الصين.. هل يكونون شركاء في النهضة؟ - الإسلام اليوم: ٢٨/ ١٢/ ٢٠٠٥م.


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



خطورة الاستراتيجية الإيرانية على أهل السنة ودولهم

بطبيعة الحال؛ فإن الغلو مذموم دومًا في الفكر الإسلامي، والتوازن والعدل، ووضع الأمور في أنصبتها الصحيحة بقدر من التعقل والحكمة لا يجنح بالمخططين في اتجاه دون آخر، فثمة من يتجاهل ـ من أهل السنة ـ تمامًا الخطر الإيراني أو يجعله دون الحد الملموس وفقًا للمعطيات الحقيقية التي تضعه في مصاف الأخطار العظمى الحائقة بالأمة الإسلامية والعربية، وعلى الجانب الآخر ـ وعلى نطاق محدود نوعًا ما ـ هناك من يغالي من أهل السنة في الخطر الإيراني والشيعي بحيث يتجاهل الخطر الصهيوأمريكي ويتغافل عن استراتيجيات عسكرية وسياسية وثقافية واقتصادية واجتماعية للسيطرة على عقول وقلوب وجيوب الشعوب المسلمة من المحيط إلى المحيط، ومن شأن تجاهل هذه الأمور إحداث عرج في المسيرة الإسلامية حين تتعدد مشاريع الهيمنة بكافة صورها، وتنحصر الرؤية في هذه الزاوية أو تلك.

هناك خبراء استراتيجيون ينزعون إلى الاعتقاد بأن التمدد الإيراني هو محكوم بقدرات إقليمية وداخل سياج محدود لا يمكن الانسياب خارجه، وبالتالي فلا عذر لهذا الترقب والحذر من النشاطات الإيرانية هنا أو هناك، ويبقى العداء الأظهر لقوى «الاستكبار العالمي» على حد وصف الثقافة الإيرانية الذائعة.

وهؤلاء هم أفضل حالاً بكثير ممن ارتموا في أحضان الإيرانيين أو عقدوا أحلافهم معهم ارتكانًا إلى قناعة بأن علينا أن نلتجئ إلى قوة «إسلامية» صاعدة وهي المأمولة الآن في صد الهجمة الغربية، وإذا كان الواقع لا يفي لهؤلاء بما يسند قناعاتهم؛ فإنهم في أفضل أحوالهم لم يجنوا من جراء التصاقهم بإيران بأكثر مما كان يتقاضاه الأجير الفقير في زمن الإقطاع، ولو كان الواقع يؤكد أن استعانتهم أو تعويلهم على المشروع الإيراني يزيدهم رهقًا.

آخرون في أقصى اليمين يكادون من شدة غضبهم من الاستراتيجية الإيرانية وطموحها وأطماعها في الدول الإسلامية، وخشيته على سلامة العقيدة الإسلامية ونقائها يكاد لا يرى أكثر بشاعة من هذا الخطر في نظره.

والواقع أن الاتزان أصل في الرؤية وسند في التخطيط المقابل؛ فإن المرتجى هو مشروع نقي مقاوم ثالث لكلا الخطرين وما يستجد من غيرهما، ولا يستقوي بهذا اتقاء لذاك، ويعلي من شأن أمة ينبغي أن تحفر اسمها من جديد على ألواح التاريخ؛ فالمشروع الصهيوني هو الأكثر امتدادًا وأصل الشرور والأبعد مدى، لكن المشروع الإيراني ذو طبيعة فريدة فهو مشروع عقدي يتدثر بالإسلام ويتحدث عن آل بيت النبي بما يمكنه أن يخدع حتى متنفذي السلطات في البلاد الإسلامية فضلاً عن رجل الشارع البسيط.

وإذا كان من شأن هذه الدراسة أن تتناول المشروع الإيراني؛ فلأنه العقدي، الأيسر انتشارًا ودعاية، والأخطر في مضمونه لا في أسلحته وقوته، والذي قد تخطئه عين الحاذق الأريب بخلاف المشروع الصهيوني، لأنه ربما الأقوى، لكنه الأكثر وضوحًا وظهورًا.

على أنه ومع ذلك، ولو أدار الباحث الفكرة في رأسه قليلاً، لقد يرى في المشروعين قواسم تمكنهما أن يستبدا بالكعكة الإسلامية والعربية إذا ما تعاونا، وكذلك يفعلان!

بالتأكيد لا يمكن إدخال الغزو الأمريكي - الإيراني للعراق، وتغيير التركيبة السكانية للعراق عبر هجرة إيرانية واضحة المعالم في محافظة البصرة الغنية بالنفط إلا في هذا السياق، كما لا يمكن فهم زيارة الرئيس الإيراني للعراق قبيل زيارة ديك تشيني نائب الرئيس الأمريكي له، وتمتعهما بالحماية ذاتها، وتقاسمهما الثروة العراقية، والمباحثات الدورية بين بلديهما بشأن العراق إلا في سياق من تعاونهما معًا في دك معقل الخلافة العباسية السابقة، ولا حكم الأقلية الشيعية في العراق له برعاية أمريكية كاملة إلا في هذا السياق.

ولا الضغوط المتواترة على البحرين والكويت أمريكيًا لمنح الشيعة هناك جزءًا أكبر من حجمهم في حكم البلاد، والأمر غير بعيد عند الحديث عن أقلية شيعية في السعودية يجري تضخيمها جدًا في المنطقة الشرقية بوسائل الإعلام الغربية حتى لكأن غير السعودي يتبادر له لأول وهلة أن الأقلية الشيعية في المنطقة تمثل غالبية، أوكما تحدثت دراسة حدود الدم التي خرجت من رحم البنتاجون الأمريكي عن دولة شيعية ممتدة من شرق الخليج العربي إلى غربه وتستحوذ على ثروة نفطية هائلة، ولا هزليات العقوبات الغربية على إيران، وصمتها المطبق على شروع إيران في إنتاج سلاح نووي ربما يبدي العالم مستقبلاً «مفاجأته» لانطلاقه مع أول تجربة نووية هناك!!

أو التصريحات الجوفاء التي تخدم الإيرانيين وأشياعهم إن في لبنان أو في سوريا أو في الخليج من قبل الإعلام الغربي الناقد لهم ظاهريًا.

وكما تقدم؛ فإن الاستراتيجية الإيرانية، تبدو ماضية في طريقها في ظل غياب استراتيجية عربية إسلامية مجابهة، وفي ظل معطيات بائسة لتمدد مدروس على غير ما محور رئيسي في عصب المحيط المجاور، وما لم تنضج الدول العربية والإسلامية استراتيجية واعدة تنأى بالمنطقة عن محوري «الصمود» و«الاعتدال»؛ فإن تيار التغريب أو التفريس سيقتلع الأشرعة البالية، وصواريها النخرة.

* * *

توصيات

١- لا يمكن في الحقيقة أن تتصدى دعوة أيديولوجية أو أفكار معاكسة للفكر التوسعي الإيراني أو الشيعي من دون تبني دولة رائدة أو أكثر في العالمين العربي والإسلامي مهمة التصدي لهذا المشروع الطموح، والذي لا يبدو في أفقه إلا التوسع الداخلي (أي داخل الحوض الإسلامي) استنادًا إلى معطيات تاريخية وردت سلفًا في الدراسة وتغذيها حوادث مرت بمعظم الدول العربية التي هي الآن تبدو وكأنها تستقبل هذا المشروع الداهم لأول مرة، وشواهد أطماعه تضيق بها الدراسة وتنساب غزيرة من بين أوراق كتب التاريخ الموسوعية القديمة والحديثة.

ليس منطقيًا أن تضع دولة إقليمية كبيرة إمكاناتها وراء مشروعها النازع نحو ريادة العالم الإسلامي ابتداء وابتلاعه انتهاء، من دبلوماسية، وحراس ثورة، ودعاة، وثروات اقتصادية، ومشاريع اجتماعية، وميليشيات نظامية إن استدعى الأمر، وتخفق المنظومة العربية والإسلامية في إنضاج مشروع مقابل.

٢- لابد في الحقيقة للدول الإسلامية والعربية ألا تدع مكتسباتها السابقة تفر من بين يديها؛ فأوراق اللعبة الفلسطينية تنسحب شيئًا فشيئًا إلى الإيرانيين، والتأثير في الخليج، يتضاعف للإيرانيين على حساب العرب، وفي لبنان يتقلص، وهكذا..

٣- لابد وأن يفسح المجال بشكل واضح للتصدي للأفكار الغريبة التي بدأت تتسلل في مجتمعات إسلامية للأكاديميين والباحثين في هذه الشؤون العقدية والتاريخية والاستراتيجية لبث الوعي بين الشعوب المغيبة عن فهم جوهر الأزمة وملامحها.

٤- على المؤسسات الدينية السنية البارزة التي يمكنها أن تمنح المسلمين في العالم حصانة معرفية بهذا المخطط بألوانه الطائفية والسياسية أن تتحرك وفق خطة توعوية رائدة، مفيدة من هذا العطاء الدعوى الممتد إلى مختلف أرجاء المعمورة لتحصين الشعوب السنية من التقيّة السياسية الإيرانية والعقدية الشيعية، والتي تمنح أرباب هذا المخطط مجالاً رحبًا ارتكانًا إلى إتاحة الكذب في هذه الطائفة على الشعوب المسلمة تحت ذريعة الاستضعاف والمظلومية المتوهمة.

٥- هناك بالتأكيد الكثير من الكتب والإصدارات التي اكتظت بها المكتبة الإسلامية والآلاف من المقالات التي تحذر من مغبة هذا المشروع الإيراني الطائفي، لكنها تظل جهدًا مبعثرًا هو في حاجة إلى ما ينقله إلى حيز الفاعلية والتأثير، لأن الاستراتيجية الإيرانية التوسعية لا يمكن مناهضتها في الحقيقة بسلة من الأوراق ورفوف من الكتب، وإنما بجهد تأثيري فاعل ينتقل من حيز التصنيف المبهم إلى الحركة الفاعلة؛ فأولئك الموظفون الكبار الذين هم محل استهداف من الجانب الآخر لترويج الفكرة الشيعية أو احتضانها أو تسهيل شيوعها في البلدان الإسلامية، لابد من وضعهم في صورة الأزمة بمفرداتها المتعددة التي قد تغيب في زحمة العمل وتوالي الأحداث.

٦- ينبغي التنبيه والملاحظة إلى أنه بالعودة إلى التاريخ، وجدنا أنه في الحالات التي هددت فيها الخلافة العباسية وصار الخلفاء رموزًا شكلية لا تقوى على تغيير المشهد ولا حكم شعوبها، هي تلك التي شهدت استوزار الشيعة ووجهائهم، ما أدى في النهاية إلى ضياع حكم هؤلاء أو ذهاب هيبته، وهذا الحال قد يتكرر في بعض الدول التي بدأت في إفساح المجال لنشطاء هؤلاء.

٧- يطيب للإيرانيين كثيرًا مد يد التعاون لبعض الجماعات والأحزاب الإسلامية، وبعضها لم يزل يحافظ على مسافة غير بعيدة من المشروع السياسي الإيراني ـ دون العقدي إلا قلة نادرة ـ وهذه كما تقدم مردها خفة في الإدراك السياسي والتاريخي والعقدي، ولربما من الجيد التطرق لمثال ما زال ماثلاً أمام كثير من هؤلاء؛ فإيران التي أطلقت منذ أوائل الثمانينات اسم خالد الإسلامبولي قاتل السادات على أحد أهم شوارع العاصمة لم تفعل الشيء ذاته لأسماء كحكمتيار في أفغانستان وجوهر دوداييف في الشيشان وأمثال هؤلاء؛ إذ إن إيران لم تنظر لخالد كـ«مناضل» مثلما قد يظن بعض البسطاء، وإنما لأنه قد قتل السادات الذي استضاف شاه إيران عدو الخميني، وانتقد في أواخر خطاباته قبل اغتياله النظام الإيراني الخميني بقوة لافتة، وعدد خطايا هذا النظام وقتله معارضيه بالآلاف وعقد مقارنات إحصائية بين ثورة يوليو ١٩٥٢ وضحاياها وضحايا الخميني في شهور قلائل من الثورة، لم تكن بطبيعة الحال في صالح الأخير؛ إذ كانت الفجوة الرقمية هائلة، ما لم يفطن له بعض البسطاء لحد الآن، وظل الإيرانيون وسيظلون يجدون من يستمع إليهم وينخدع ببريق حديثهم «النضالي».

والواجب أيضًا عدم استثناء هؤلاء المخدوعين أيضًا من دائرة التوعية، ولاشك أن الخطة الخمسينية تشير بجلاء إلى ثغرة يبتغي الإيرانيون النفاذ منها بين الشعوب المسلمة والحكام.

٨- هناك خيط رفيع إعلامي ينبغي في الحقيقة ألا يقطع إعلاميًا وهو خيط التوعية بحق الصحابة وزرع العقيدة الإسلامية الصحيحة وعدم الاستنكاف عن فعل ما ينمي معرفة دقيقة بالواقع السياسي بشكل لا انفعالي ومدروس، وإلا فطريق السباب والشتائم ليس سبيل المؤمنين، فضلاً عن أنه ضعيف الحجة متهافت الرأي، وبالتالي فمن الواجب أن يبث وعي بالابتعاد دومًا عن الجدل والدخول في مهاترات لفظية؛ فإن ذلك ليس من شأن المسلم، فضلاً عن الدعاة والمصلحين.

ويجب في هذا الخصوص، اتباع منهج توعي مؤصل، وترتيب الأولويات المعرفية بعيدًا عن الدخول في التفاصيل والفروع، وبناء الرأي على ثوابت وأركان لا يتنازع فيها اثنان.

٩- ينبغي ملاحقة أي مظاهر للتغول في المجتمعات السنية بالتوعية وتنبيه المسؤولين من الغيارى والحريصين على لحمة الشعوب المسلمة وبناها الإسلامية ونسيجها الاجتماعي والثقافي، وتنبيهم لإغلاق الثغرات التي تثير البلبلة والفتن والاضطرابات، وإجهاضها قبل أن تولد.

١٠- نشر أسماء المتسللين إلى مراكز صنع القرار والتوجيه الإعلامي ممن يحملون أجندات إيرانية، ويتحينون الفرص لبثها بين الشعوب السنية.

١١- العمل على إنضاج رؤية سياسية غير متشنجة للأحداث وتحديد الموقع الذي تتواجد فيه الاستراتيجية الإيرانية ودعاياتها الطائفية دون اعتساف أو ضجيج صوتي والاقتصار على الجوانب التوعوية المؤصلة.

* * *

المحتويات

الموضوع الصحفة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

❊ ❊ ❊

* صدر حديثًا:



نصوص مختارة

من

مقدمة ابن خلدون

اختارها وقدم لها وعلق عليها

د. محمد العبدة

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

مركز الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية

مصر، القاهرة، مدينة نصر

تليفاكس: ٠٢٠٢٢٤٧١١٠٦٤ - جوال: ٠٠٢٠١٦٢٦٥٩٥٩١

* تحت الطبع:



الطاقة الشمسية

سبيل استراتيجي لنهضة الأمة

خميس البكري

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

مركز الدراسات والبحوث الإنسانية

مصر - القاهرة - مدينة نصر

تليفاكس: ٠٢٠٢٢٤٧١١٠٦٤ - جوال: ٠٠٢٠١٦٢٦٥٩٥٩١



المصطلحات الوافدة

وأثرها على الهوية الإسلامية

دراسة تحليلية لأبرز مصطلحات الحقيبة العولمية

الهيثم زعفان

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

مركز الدراسات والبحوث الإنسانية

مصر - القاهرة - مدينة نصر

تليفاكس: ٠٢٠٢٢٤٧١١٠٦٤ - جوال: ٠٠٢٠١٦٢٦٥٩٥٩١

* إصدارات سابقة لمركز الرسالة:



حرب بلا نصر

لبنان

ربيع التغيير ..

وصيف الحرب ..

وشتاء الإضراب ..

أمير سعيد

مركز الدراسات والبحوث الإنسانية

مصر - القاهرة - مدينة نصر

تليفاكس: ٠٢٠٢٢٤٧١١٠٦٤ - جوال: ٠٠٢٠١٦٢٦٥٩٥٩١



رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠٠٨/٢٥١٥٧





"الكتاب الذي بين أيدينا من الدراسات العلمية الجادة، وأحسب أن الباحث قد أجاد كثيراً في جمع شتات الموضوع، وعالج كثيراً من أبعاده بمنهجية علمية جيدة، وقدم رؤية متوازنة يشكر عليها كثيراً".

الأستاذ/ أحمد الصويان

رئيس تحرير مجلة البيان

"يعتمد هذا الجهد المشكورعلى (المعلومة والحقائق والأرقام) في وقت نحتاج فيه إلى مثل هذه الدراسات الرصينة، نظراً للظروف العصيبة التي تمر بها الأمة وبخاصة استغلال إيران لهذه الظروف والأزمات لتحقيق مكاسب عقيدية وسياسية عن طريق تحالفات مشبوهة مع أعداء الإسلام الأزليين".

أ.د. ناصر بن سليمان العمر

المشرف العام على موقع المسلم

"لقد أحسن الكاتب حين تكلم بعد الحديث عن عقائد الشيعة وأمورهم الغريبة عن النظام السياسي الإيراني، حيث المؤسسات التي تحكم السيطرة و على رأسها "ولاية الفقيه" بينما هو في ظاهر الأمر نظام "ديمقراطي" يعتمد على اختيار الشعب لمؤسساته. وأحسن أيضا حين تتبع النشاط الشيعي في كثير من أنحاء العالم الإسلامي".

دكتور/ محمد العبدة

مفكر إسلامي



مركز الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية
مصر - القاهرة - مدينة نصر
تليفاكس: 0020224711064 جوال: 0020162659591